جامعـــة الجزائـــر -2-

كليـــة العلـــوم الانسانيـة والاجتماعيـــة

قســـم التاريـــــخ.

العلاقات النوميدية الرومانية بين السيادة والتبعية 203 ق،م- 46 ق،م.

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم.

إعـــداد :

توريرت مصطفى.

إشـــــراف:

د:حموم توفيق.

السنة الجامعية: 2014/2013.

جامعـــة الجزائـــر-2-

كليــــة العلــوم الانسانيــة والاجتماعيــة

قســـم التاريــــخ.

العلاقات النوميدية الرومانية بين السّيادة والتبعية

203 ق،م-46 ق،م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم.

إعـــداد : | إشـــــراف:

توريرت مصطفى. | د:حموم توفيق.

لجنة المناقشة:

أ.د/ رحماني بلقاسم	رئيسا
د/ حموم توفيق	مشرفا
أ.د/ بشاري محمد لحبيب	عضوا.
د/ بومريش ليلى	عضوا.

السنة الجامعية: 2014/2013.

الاهـــــــــــداء.

إلى من علمني النجاح والصبر

إلى من افتقده في مواجهة الصعاب

ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه... أبي

وإلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها

من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه

وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها ليخفف من آلامي .. أمي.

إلى من كانوا يضيئون لي الطريق

ويساندوني ويتنازلون عن حقوقهم

لإرضائي والعيش في هناء

إخوتي.

دون أن أنسى زملاء الدراسة ما بعد التدرج، وكل زملاء العمل، وأسرتي الجامعية.

توريرت مصطفى.

كلمة شكر وعرفان.

إنه ليسعدني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى جميع أساتذة التاريخ القديم بجامعة الجزائر 2، مع جزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف الدكتور حموم توفيق على ما أولاني به من عناية وتوجيه في إنجاز هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة، وأخص بالذكر الأستاذين خلفة عبد الرحمان و أونيس ميلود من جامعة سطيف 2.

دون أن أنسى الزملاء عباس مسرور، بولخراص حمادوش، نجوى راشي، و كذلك زملائي في العمل في ثانوية تيزي نبشار -سطيف-، وأخص بالذكر الأساتذة: قهلوز مراد، خرف الله بلقاسم،

توريرت مصطفى.

قائمة المختصرات:

- A.A.A. = Atlas Archéologique de l'Algérie.
- Anti. Afr = Antiquité Africaine.
- Afr. N. L’An = L’Afrique du nord dans L’antiquité
- Ancy.ber =Encyclopédie berbère.
- A.C = Antiquités Classiques.
- B, d'Archéol = Bulletin d'Archéologie.
- Bull. C.H = Bulletin de correspondance hellénique.
- C.B = cahiers Byrsa.
- C.I.L. = Corpus Inscriptionum Latinarum.
- C.N.R.S.= Centre National de recherche Scientifique .
- D.H.A. = Dialogue d'Histoire Ancienne.
- édit. = édition.
- Encyc. Bé = Encyclopédie berbère.
- E. N. Liv. = Enterprise Nationale de livre
- H.A.A.N =Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord.
- Hist. Nat. = Histoire Naturelle.
- Liv. = Livre.
- M.A.H. = Mélange d'Archéologie et d'Histoire.
- M.E.F.R.A. = Mélange de l'Ecole Française de Rome, Antiquité.
- P.U.F= presses universitaires de France.
- R.C. Afr = revue de correspondance Africaine.
- R. His. = Revue. Historique.
- R.S.A.C = Recueil des notes et Mémoire de la société archéologique de Constantine .
- R.T = Revue Tunisienne.

مقدمــــــة:

لا زالت دراسة تاريخ المغرب القديم تحتل مكانة معتبرة في الجدل التاريخي لما لها من موروث مادي وأدبي، ونظرا لحجم وطبيعة الطروحات التاريخية التي تناولت تاريخ المنطقة، فقد ظل الوجود النوميدي القديم محل إجحاف المصادر التي لم تتكلم عنه إلا في ظل الصراع القرطاجي – الروماني، وكأنهم لم يكن لهم وجود قبل القرن الثالث قبل الميلاد وحتى الفترة اللاحقة لهذا التاريخ، والتي شهدت صراعا بين روما وقرطاجة أولا، ثم بين روما وممالك بلاد المغرب القديم عندما اختفت قرطاجة من الخريطة السياسية وأصبحت روما سيدة الموقف في المنطقة، باعتبارها وريثا لأملاك القرطاجيين كغنيمة حرب منذ إزالتها من الوجود عام 146 قبل الميلاد، ما فتح المجال واسعا أمام التوسع الروماني لتحقيق أهدافها التي اتبعت في ذلك سياسة المراحل.

بالمقابل من ذلك استطاع العديد من الملوك الأفارقة من توحيد نوميديا، خاصة ما بين الحربين البونيتين الثانية والثالثة (218 ق.م—146 ق.م)، وإعطائها شهرة كبيرة في جميع الميادين، لكن من جهة ثانية كثيرا ما كان لسياسة بعض الملوك نتائج سلبية على المنطقة، حيث استغلت روما سعي الحكام الأفارقة لتوسيع ممالكهم على حساب جيرانهم من بني جلدتهم، وأدى هذا إلى اتخاذ مواقف تتنافى مع مصلحة المنطقة وشعوبهم، تبعا لتطورات الحرب ومراعاة لمصالحها وصونا لسيادتها.

فماسينيسا الذي اختار الطرف الروماني، وترتب عن ذلك انهزام قرطاج وسيفاكس في معركة زاما 202 ق،م، وإعلان روما اعترافها بماسينيسا ملكا حليفا على أراضي مملكتي الماسيل والمازيسيل، ومنحوه تاج النصر مهنئين إياه على النجاح الباهر، وأجبروا القرطاجيين على التنازل له على ممتلكات أبيه من مدن وأراضي، ونصصوا على ذلك في معاهدة السلم التي أملوها عليهم في عام 201 ق،م، فقد استطاع ماسينيسا بذلك أن يعطي الدولة تنظيما داخليا محكما في جميع الجوانب العمرانية والاقتصادية وحتى خارجيا حيث ربط نوميديا بعلاقات تجارية ودبلوماسية مع مختلف قوى البحر المتوسط .

غير أن نظرة المصادر الرومانية لسيادة هذه المملكة وشرعية ملوكها نابعة من مواقف سياسية لأصحابها، وتعبر بصدق عن انتمائهم، ذلك أن ساليست و تيت ليف يَعْتَبران مملكة نوميديا آلت شرعيا إلى حوزة الرومان بعد هزيمة سيفاكس، ويشككان في مدى استقلال المملكة عن الجمهورية الرومانية ابتداء من سنة 203 ق،م، وأن مسينيسا لا حق له في العرش وأنه لم يكن سوى وكيل لمجلس الشيوخ الروماني على هذه المملكة، وأن أبناءه وأحفاده كانوا كذلك أيضا.

ساليست في كتابه حرب يوغرطة ذكر أن نوميديا لم تكن مملكة سوى بالمجاملة وأن وجودها كان وهميا وأن اسمها مدين للشعب الروماني الذي دفعت به الضرورة إلى تكليف شيخ قبيلة بتسييرها باسمه فسلمته الحلة الأرجوانية وداعبته بلقب ملك، ثم أورد خطابا نسبه لأذربعل قال بأنه ألقاه أمام مجلس الشيوخ ذكره فيه أن أذربعل لا يملك سوى وكالة تسيير المملكة النوميدية، أما تيت ليف لم يخرج عن الاطار الذي رسمه ساليست بشأن تبعية نوميديا لروما، وحاول أن يستدل ذلك بعدم قبول المملكة لتعويضات بعثت بها روما إليها عن الحبوب التي تلقتها منها أثناء حروبها في اليونان، أن مسينيسا –على لسان ابنه– لا يقبل هذه التعويضات أنه مدين للشعب الروماني الذي عينه ملكا، وحسبهم تحولت نوميديا من مملكة حليفة إلى مملكة تابعة، وبذلك فهذه الصفقات التجارية لم تكن سوى هبات قدمها العاهل النوميدي لروما لرد الجميل.

غير أن القرن الثاني قبل الميلاد مَثَّل نقطة تحول كبيرة في تاريخ نوميديا، لتصبح روما بذلك كيان مجاور لها، بعد أن أنشؤوا مقاطعة إفريقيا الجديدة في الإقليم القرطاجي، واتخذوا اجراءات سياسية تتعلق بالمملكة النوميدية المجاورة لهذه المقاطعة، تمثلت تلك الاجراءات في تعديل تحالفهم مع نوميديا كي يصبح وصاية، بحيث تتحول نوميديا من مملكة مستقلة حليفة لروما إلى مملكة خاضعة لها، وبذلك ثَبَّتت روما أقدامها في أرض إفريقيا، دون أن تبدي رغبتها في ضم نوميديا بل فصلتها عن مقاطعة إفريقيا بخندق ملكي.

فالجوار الروماني لمملكة نوميديا الحليفة قد مثّل خطوة كبرى نحو التدخل المباشر في شؤونها الداخلية تمهيدا لضمها، وقد مكنهم هذا الجوار من متابعة تطورات الأوضاع السياسية بالمملكة عن كثب والمساهمة في توجيهها بما يتلاءم والمصلحة الرومانية، وهذا ما ذهبت إليه معظم المصادر والمراجع

بأن روما كانت توجه المملكة النوميدية وتراقب تطوراتها الداخلية، ومن أمثلة هذا التدخل نجد قضية قدوم سكيبيو الإشراف عن ترتيب إجراءات خلافة الملك مسينيسا عام 148 ق،م، وكذلك تدخل روما الصريح في شؤون المملكة عقب وفاة مكيبسا عام 118 ق،م، حيث أوفدت لجنة لتقسيم المملكة بين الورثة الثلاثة، وبعدها ارسال لجان لتسوية الخلافات فيما بينهم، ثم تحول هذا التدخل السياسي إلى تدخل عسكري مارسته روما ضد يوغرطة، لأنه رفض الانصياع لإرادة منتهجا الاستقلال بالرأي والتخلص من الوصاية الروماني، حيث أظهر حنكة ودهاء سياسيا وعسكريا في مقاومة الرومان، بهدف الحفاظ على السيادة النوميدية وتوحيدها كما فعل من قبل ماسينيسا.

لكن نوميديا بعد ذلك سوف تدخل مرحلة من التدهور بسبب التغيرات السياسية التي حدثت في المنطقة، لكن دون ضمها للممتلكات الرومانية، وإنما اكتفت بتجزئتها من أجل إضعافها، وأصبح مصيرها مرتبط بإرادة روما، فوصول غودا إلى الحكم كان بفضل الإرادة الرومانية و كان وفيا لأوامرها، حتى أن كثيرا من المصادر وصفت غودا بشخص غير سوي، فبذلك فإن ضعف شخصيته ستجعله يخشى روما ومن ثمة ستجعله خاضعا ومخلصا، وبعده هيمصال الثاني الذي تميز حكمه مثل والده بالولاء لروما.

لقد انعكست النزاعات الداخلية في روما على أوضاع المملكة ومصيرها، فيما يعرف بالحروب الأهلية بين حزبي العامة والأشراف في بداية الأمر، وبين الجمهوريين والإمبراطوريين فيما بعد، كالصراع بين ماريوس وسيلا، ثم قيصر وبومبي، وأخيرا بين أوكتافيوس وأنطونيوس، حيث أقحمت نوميديا نفسها فيها رغم أن هذا الصراع لا يعنيها بأي شكل من الأشكال، لكن يمكن أن نستثني دور هيرباص و يوبا الأول التي يمكن إدراجها في ضمن الرفض النوميدي لكل أشكال الوجود الروماني، وهي بذلك ذات أبعاد وطنية، لكنها ساهمت في التعجيل بإنهاء وجود نوميديا بعد أن أنشأ يوليوس قيصر على الجزء الذي احتفظ به منها لروما مقاطعة سماها إفريقيا الجديدة، وبذلك نلاحظ أن الملوك النوميد فشلوا في الحفاظ على نوميديا لأنهم لم يغتنموا فرصة الفوضى والصراعات الداخلية السائدة في روما لتعزيز قواهم والتخلص من التبعية.

إذن منذ أن حققت نوميديا وحدتها السياسية الممتدة من خليج السرت إلى نهر الملوية إلى غاية سقوطها سنة 46 ق.م موضوع الدراسة، اختلفت علاقتها بروما ما بين السيادة والتبعية، حسب طبيعة الملوك الذين حكموها، وحسب الظروف التي مرت بها نوميديا، أو في إطار تبادل المصالح، وكذلك حسب الزاوية التي نظر إليها المؤرخين خاصة الغربيين منهم الذين دائما ينظرون بعين النقص لكل ما هو محلي، إلا ما يتماشى مع مصالحهم،

من هذا المنطق، ومما سبق كان اختياري لموضوع علاقة نوميديا بروما بين السيادة والتبعية من الفترة الممتدة من اعتلاء ماسينيسا العرش سنة 203 ق.م وهي الفترة التي مثلت الظهور الرسمي والبارز لمملكة نوميديا والتي أكدت عن شخصيتها المغربية قبل أي وقت آخر، إلى 46 ق.م التي مثلت نهاية السيادة النوميدية كليا، دون أن نغفل ما في هذه الفترة من مسائل حساسة أكدت بالمقابل عن فشل الملوك النوميديين عن الحفاظ على هذه الوحدة السياسية بل والأكثر من ذلك دخلوا في صراع بينهم، ولم يستغلوا فترة الفوضى والحروب الأهلية في روما و التخلص من التدخل الروماني في المنطقة.

أما السبب الرئيسي لاختيار هذا الموضوع فكان بعد مطالعتي لمقال كتبه الأستاذ لحبيب بشاري حول علاقة روما بالممالك النوميدية بعد سقوط قرطاج، فاستهواني الموضوع باعتباره يتناول عدة مسائل سياسية حساسة، ولعل اهتمامي الشخصي بالتفاعلات الحضارية التي عرفها المغرب القديم في فترات السلم والحرب من خلال احتكاكه بالحضارات التي عرفها البحر المتوسط عموما، فمثلا تحالف ماسينيسا مع الرومان ضد قرطاج وسيفاكس يربطه أبيان و ديون كاسيوس بالصراع حول سوفونيزبة، أما تيت ليف فيذكر أن تحالفه مع روما بهدف استرداد الملك، و كذلك وصف ساليست ليوغرطة بجميع النعوت والحط من قيمته لأنه مناهض للوجود الروماني .

وفي إطار الصراع بين هيمصال، اذربعل، يوغرطة كثيرا ما تحدثت المراجع عن استنجاد هيمصال بروما لتنصفه و كأنها وصية عليه، وربما صدق ساليست حينما تحدث عن نوميديا سنة 111 ق،م و كأنها أرض رومانية، وبالمقابل بعث يوغرطة ممثلين إلى رومـا يدافعان عنه، وبذلك تصرف الملكان النومديان وكأن نوميديـا مقاطعة رومانية وأنهم موظفين لدى روما أو أتباع لها، وبذلك كان اختياري لهذا الموضوع للوقوف على مدى صحة هذه المصادر،ذلك أن اختلاف الرأي

بين المؤرخين القدامى حول موضوع استقلالية المملكة أو تبعيتها لروما ترك الباب مفتوحا لاجتهادات المؤرخين المحدثين، فحاول بعضهم دراسة هذه الاشكالية على ضوء النصوص القديمة واستقراء الأحداث المتعلقة بالعلاقات النوميدية الرومانية.

إذن قضية السيادة النوميدية من تبعيتها لروما، حيث يحدث أن تتحول كتابات بسيطة غير موضوعية مفعمة بالذاتية والتحيز إلى مستجدات وحيدة في موضوع تاريخي حساس، هذه شأن كتابات بعض المؤرخين الرومان أمثال ساليست و تيت ليف التي تحولت إلى مستندات فيما بعد، والتي أخذ عنها المؤرخين المحدثين خاصة الغربيين، وهنا يكمن وجه الخطورة ويبرز احتمال التزييف والبعد عن الحقائق التاريخية للأحداث، وبالتالي تعتيم الرؤيا التاريخية، وهي أمور تدعونا إلى أعمال الفكر والتأمل عسى أن نجد سبيلا لرفع الزيف وتوضيح المسلك.

وبذلك تبلورت الإشكالية العامة لموضوع الدراسة حول سيادة نوميديا من تبعيتها لروما في الفترة الممتدة من 203 ق.م إلى 46 ق.م،وهذا يقودنا إلى التساؤل التالي: إلى أي مدى نقبل هذه الاتهامات ؟، إلى ماذا يعود ولاء ماسينيسا المطلق لروما وثقته في الرومان ؟، ألم يتفطن إلى نوايا روما ومخططاتها تجاه المنطقة ؟، ألم يكن من الأرجح له احترام التقاليد النوميدية القائمة على اعتلاء اكبر العائلة الحاكمة للعرش عند خلوه ؟، ألم يشرف القائد الروماني سكيبيو ايميليانوس على تقسيم السلطة بين أولاد ماسينيسا، وما درجة تقبل ذلك ؟، لماذا سار مكيبسا على خطى أبيه؟، وفي إطار الصراع بين هيمصال وأذربعل ويوغرطة ألم يحتكم الملوك إلى روما لتنصفهم، ألم تتعامل روما مع نوميديا كمقاطعة رومانية قبل احتلالها؟.

إن النجاح النسبي والسهولة التي وجدها الرومان في تكريس احتلالهم للمنطقة يدفعنا إلى التساؤل مرة أخرى : هل كان ذلك فعلا بتواطؤ من بعض العناصر المحلية، كما تبرز ذلك الكتابات الأجنبية، أم أن هناك بعض الحقائق التي ظلت خفية عن تاريخ المنطقة؟، ما هو تأثير الحروب الأهلية في روما على نوميديا؟، هل مشاركة نوميديا فيها من باب التبعية أم من باب فرض السيادة ورفض التدخل الروماني؟.

لكن بالمقابل ألم يكن الملوك النوميد سادة على ممالكهم ؟، ما ذهب إليه كل من ساليست وتيت ليف لا يستند إلى حقائق تاريخية تدعم ما ذهبا إليه في حين أن بوليب و أبيان اليونانيين لهما طرح آخر للقضية مفادها أن العلاقة بين مملكة نوميديا وجمهورية روما علاقة حلف وصداقة ولا مجال للتبعية فيها، ألم يوحد ماسينيسا نوميديا ويعطيها بعدا دوليا؟، ألم يحقق إسهامات كبيرة في جميع الميادين، ومن بعده مكيبسا؟، وفي قضية تقسيم السلطة بعده، لماذا لا نعتبره إصلاحا إداريا ونحن نجد نماذج للحكم الثلاثي في مدن نوميدية قبل هذه الفترة ؟، ألم يكن يوغرطة رمزا للمقاومة النوميدية ؟، ألم يكن يوبا الأول يهدف إلى استعادة أملاك نوميديا و توحيدها ؟، وفي الجانب الاقتصادي ارتبط مسينيسا ومن بعده مكيبسا بعلاقات تجارية مع مختلف شعوب البحر المتوسط، وبذلك هذه الصفقات التجارية تفند ما ذهبت إليه بعض المصادر من أنها هبات قدمها الملوك لروما لرد الجميل، خاصة أننا نجد عملات نوميدية في كل مناطق المتوسط ؟.

في معالج هذا الموضوع بالذات كونه يتعلق بالسيادة النوميدية على المنطقة وعلى أمورها الداخلية، سأتبع المنهج التاريخي القائم على التحليل والوصف في معظم الأحيان، وبعد اطلاعي على بعض المصادر والمراجع واستخلاص المادة الخبرية، قسمت بحثي إلى أربعة فصول ومدخل تمهيدي :

حيث أبرزنا في المدخل التمركز الجغرافي والسياسي لقبائل النوميد وأصولها التاريخية، من حيث تحديد الموقع الجغرافي لبلاد المغرب بالتطرق إلى إشكالية المصطلحات التي أطلقت على بلاد المغرب القديم، ثم تحديد الموقع الجغرافي بالعودة إلى المصادر القديمة، وكذلك فيما يخص التسمية والسكان، تحدثنا عن التسميات التي أطلقت على شعوب المنطقة وأصل السكان، ثم عالجت الأصول التاريخية والإشارات الأولية لظهور الممالك النوميدية وصولا عند القرن الثالث قبل الميلاد.

أما الفصل الأول فقد أدرجناه تحت عنوان العلاقات النوميدية الرومانية السابقة للاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم، بحيث تطرقنا لفترة حكم سيفاكس، بالتعرض لدوره في توحيد نوميديا لأول مرة، وسعيه إلى إبعاد الصراع القرطاجي الروماني عن منطقة المغرب بفضل نشاطه السياسي، ثم عندما فشل في ذلك تطرقنا إلى تحالفه مع قرطاجة والأسباب التي كانت وراء ذلك، كما حاولنا التطرق لفترة حكم مسينيسا، من خلال إبراز السفارات المتبادلة بينه وبين قادة روما، التي توجت

بالتحالف مع هذه الأخيرة، بحيث أبرزنا الأسباب التي كانت وراء اختياره الطرف الروماني، ثم تناولنا دور مسينيسا في استعادة العرش النوميدي، بعد أن أحسن استثمار أحد بنود معاهدة زاما التي تحق له استرجاع أملاكه وأملاك أسلافه، دون أن نغفل الإشارة إلى موقف روما من توسعات مسينيسا خاصة ضد قرطاجة، كما عالجنا كذلك اسهامات مسينيسا في جميع الميادين والذي منحها شهرة وقوة كبيرة في حوض المتوسط، وهذه القوة برزت في علاقات نوميديا الخارجية بالتركيز على علاقاته بروما سواء السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية، دون أن ننسى علاقاته مع بلاد الاغريق أو شبه الجزيرة الابيرية، ثم حاولنا الكشف عن العلاقات النوميدية الرومانية في فترة مكيبسا، بالتطرق إلى قضية تقسيم السلطة بعد وفاة مسينيسا، وهي المسألة التي حاولت فيها بعض المصادر والمراجع ابراز مساهمة روما في هذا التقسيم، وبعدها أبرزنا اسهامات مكيبسا الداخلية، وأخيرا تطرقنا إلى علاقته بروما.

أما الفصل الثاني فخصصناه للعلاقات النوميدية الرومانية في بداية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، حيث ارتأينا التعرض فيه إلى الحكم الثلاثي الثاني في نوميديا، من خلال معالجة قضية تبني يوغرطة بين السّيادة والتبعية، وكذلك تناولنا الصراع الذي حدث حول العرش النوميدي وآثاره على وحدة المملكة النوميدية، بالتركيز على التدخل الروماني في شؤون المملكة، ودورهم في إثارة النزاع وتأليب الملوك ضد بعضهم البعض، واحتكام الملوك النوميد إلى روما، ثم أبرزنا موقف يوغرطة من هذا الموقف، والذي اسميناه بالحرب اليوغرطية كنموذج للرفض المحلي للتدخل الروماني، وحددنا انعكاسات هذه الحرب على نوميديا، ثم استعرضنا الحرب الأهلية الأولى في روما ودور نوميديا فيها، وذلك بالإشارة إلى التطورات السياسية في المملكة النوميدية بعد هزيمة يوغرطة، ثم ذكر أسباب الحرب الأهلية في روما، وكيف انتقلت إلى نوميديا، وكيف استغل هيرباص ذلك في محاولة توحيد المنطقة.

أما الفصل الثالث فقد أدرجناه تحت عنوان موقف يوبا الأول من الحرب الأهلية الثانية وانعكاساتها على نوميديا، فقد مهدنا له باستعراض أسباب هذه الحرب، ثم كيفية انتقالها إلى بلاد المغرب، وموقف يوبا الأول من الحرب، من خلال تحديد أسباب انضمامه للبومبيين، وتطرقنا كذلك إلى ابراز دوره في القضاء على حملة كوريو سنة 49 ق،م، والتصدي لحملة قيصر على إفريقيا التي

انتهت بانهزام أنصار بومبي ويوبا، وبذلك مثل نهاية الكيان النوميدي، والنتائج المترتبة عن هذه الحرب على نوميديا وعلى روما، ولقد عمدنا التطرق إلى محاولة أرابيون لاسترجاع المملكة النوميدية الذي استغل الصراع بين حاكمي الافريقيتين القديمة والجديدة.

في حين خصصنا الفصل الرابع والأخير لدراسة طبيعة العلاقات النوميدية الرومانية بنظرة تحليلية، جمعنا فيها كل الأطروحات التي أيدت أو فندت قضية السيادة النوميدية من تبعيتها لروما، سواء على مستوى العلاقات السياسية أو العسكرية، وأخيرا الاقتصادية. ثم ختمنا هذا البحث بخاتمة جمعنا فيها النتائج التي توصلنا إليها في هذا الموضوع.

و لدراسة ذلك استوجب الرجوع إلى عدة مصادر تناولت الموضوع، والمعروف أنها نادرة و لم تشر إلى التاريخ المغاربي إلا عرضا، و التي يمكن أن نذكر على وجه الخصوص : "التاريـــخ الطبيعي" (Histoire Naturelle) للمؤرخ بلين الكبير (Pline L'Ancien) وتحديدا الجزء الخامس منه الذي أشار فيه إلى الكثير من المدن النوميدية والقبائل القاطنة بها، وكتاب "التاريخ العام" لبوليب (Polybius) الذي يعتبر من المصادر الهامة عن الجمهورية الرومانية منذ أوائل الحروب البونيقية والتي لمح فيها للمالك المحلية، وكذلك أشار للصراع القرطاجي الروماني، إضافة إلى معالم عن فترة حكم ماسينيسا، و كذلك كتاب "التاريخ الروماني" (Histoire Romaine) للمؤرخ تيت ليف (Titius Livius) والذي يبقي رغم تحيزه للرومان من أهم المصادر الرومانية بالنسبة للباحث في التاريخ القديم، نظرا لما يحتويه من تفاصيل حوا الاحداث الجارية في تلك الفترة، ودور الممالك المحلية، دون أن ننسى كتاب " حرب يوغرطة" (La guerre de Jugurtha) للمؤرخ ساليستيوس، وهو المصدر الوحيد الذي أشار إلى هذه الحرب بنوع من التفصيل لكن دون أن ننسي تحيز ساليست الواضح للرومان، وما فيه من مواطن ضعف كثيرة، بالإضافة إلى مذكرات قيصر خاصة "حرب إفريقية" الذي أشار فيه لأوضاع المغرب في ظل الحرب الأهلية بين قيصر وبومبي، والذي كان خير عون لنا في تناولوا عصر يوبا الأول، كما ساعدتني كتب التراجم مثل حياة المشاهير لبلوتارخوس وسير القياصرة الاثني عشر لسويتونيوس بمعلومات وافية.

هذا فضلا عن مراجع عديدة متخصصة والتي رأينا فيها أهمية لمذكرتنا ومن أهمها كتابات وبحوث قزال Gsell S, *Histoire ancienne de l' Afrique du nord*, 8 vol و كامبس غبريال Camps G, *Aux Origines de la berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire*، وكتاب فنطر و دوكري بعنوان *L'Afrique du nord dans L'antiquité (dés origine ou V^{e} siècle)*, بالإضافة لمرجع الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق،م–40 م) للمؤرخ شنيتي محمد البشير، وكتاب التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا (منذ اعتلاء مسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203 ق،م–46 ق،م)، وكتاب نوميديا من حكم الملك غايا على بداية الاحتلال الروماني (203 ق،م– 40 ق،م).

وكذلك بعض الدراسات والمقالات التي نشرت باللغة العربية كان أبرزها مقال شنيتي " السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة" في مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، ومقال محمد الصغير غانم" علاقة نوميديا بالرومان" نشر في مجلة التراث لسنة 1987.

وتجدر الاشارة إلى أنني واجهتني بعض الصعوبات في انجاز هذا البحث، منها تضارب الآراء حول موضوع السيادة النوميدية منذ اعتلاء مسينيسا العرش سنة 203 ق،م، ذلك أن ما وصلنا من أخبار عن هذه المملكة مصدره كتابات يونانية لاتينية، تتركز عند بوليب وأبيان اليونانيين، وسالوست وتيت ليف الرومانيين، وأن كثيرًا من هذه المعارف تختلف فيما بين اليونانيين والرومان، فضلاً عن اتصاف الإخباريين اليونان إزاءها بالحياد النّسبي والاعتدال في الحكم على قضايا تاريخية هامة فيها، بينما يَبرُز انحياز الكتاب الرومان وتطرُّف أرائهم في نفس القضايا، كما درج المؤرخون المحدثين أمثال قزال وكامبس وفنطر على الأخذ من هذه المصادر، رغم الاتفاق على ضعفها وتحيزها أحيانا، فأصبحت مستندات في الوقت الحالي، وهي أمور تدعونا إلى الحذر والتأمل عسى أن نجد سبيلا لرفع الزيف وتوضيح المسلك.

المدخل : التمركز الجغرافي و السياسي لقبائل النوميد و أصولها التاريخية .

1 الموقع الجغرافي لبلاد المغرب .

- إشكالية الموقع.
- الموقع حسب المصادر .

2 -التسمية والسكان.

- أصل السكان .
- تنوع التركيبة البشرية.

3 – ظهور الممالك النوميدية :

- نوميديا الشرقية (الماسيل).
- نوميديا الغربية (المازيسيل).

المدخل: التمركز الجغرافي والسياسي لقبائل النوميد و أصولها التاريخية

اجتمعت آراء أغلب المفكرين والباحثين، على أنّ الوحدات السياسية تطورت بالشكل التالي: الفرد ثم الأسرة فالقبيلة، ونظرا لزيادة عدد أفراد القبائل وزيادة حاجياتها المعيشية، اضطرت هذه القبائل للتحالف مع قبائل أخرى أكبر وأقوى منها من أجل حماية نفسها، وعليها قامت الأحلاف، وتقاربت القبائل وتصاهرت فيما بينها، وأدى اندماجها هذا إلى ازدياد هيبتها وتضاعف قوتها الاقتصادية، مما دفع بها لأن تحمي أرضها وخيراتها فنشأت الدولة .

إرهاصات تشكل الكيانات السياسية في بلاد المغرب القديم محل إشكالية، و فيها اختلاف كبير بين المؤرخين القدامى و المحدثين، هذه المنطقة التي سكنتها تكتلات قبلية عديدة أشهرها قبائل الماسيل والمازيسيل، التي تمتد من غرب تونس الحالية لتشمل الجزائر الحالية وجزء من المغرب الأقصى الحالي واستطاعت أن تكون لنفسها كيانا سياسيا مكتمل الشروط في حدود القرن الثالث قبل الميلاد وأوائل القرن الثاني قبل الميلاد، وقد جاء ذكرها في المصادر الكلاسيكية والأثرية تحت اسم المملكة النوميدية.

ومما يثير الانتباه بخصوص هذه المملكة، أن كل ما نعرفه عنها مصدره كتابات كلاسيكية يونانية لاتينية، تتركز عند بوليب وأبيان اليونانيين، وسالوست وتيت ليف الرومانيين، وأن كثيرًا من هذه المعارف تختلف فيما بين اليونانيين والرومان، فضلاً عن اتصاف الإخباريين اليونان إزاءها بالحياد النّسبي والاعتدال في الحكم على قضايا تاريخية هامة فيها، بينما يَبرُز انحياز الكتاب الرومان وتطرُّف أرائهم في نفس القضايا.

1 - الموقع الجغرافـي لبلاد المغـرب :

أ - **إشكـالية المـوقع** : اختلفت وتعددت المصطلحات التي أطلقت على منطقة بلاد المغرب أو تحديدا على شمال غرب إفريقيا، وذلك بحسب الفترات التاريخية وكذا الشعوب التي استقرت بالمنطقة، سواء الأصلية منها أو المجاورة لها أو الوافدة إليها من العالم الخارجي.

فكان التصور الجغرافي للمنطقة القديمة من أصعب الأمور، ذلك أن الأقاليم تحدد بجنس سكانها[1] فاختلفت بذلك التسميات من حيث ظهورها واستعمالها وتطور مدلولها، إذ لا يمكن أن نجد حدا بين الحدود الإثنولوجية للشعوب إلا إذا فصل بينها فاصل طبيعي كبير كالبحر أو النهر أو الصحراء[2]، و بين هذه التسميات التي أطلقت على منطقة شمال غرب إفريقيا نجد ما يلي:

-**بلاد الغرب** : أقدم ما ورد في النقوش المصرية، والتي تدل على منطقة الغرب هي كلمة "أمنت imnt" وتم العثور عليها في رسم ريشة النعـام كميزة تقليدية لازمت رأس الليبي في التاريخ الفرعوني[3] .

و قد خلدت الآثار المصرية هؤلاء الغربيين قبل ظهور الكتابة الهيروغليفية، وهذا في تلك الصليات التي تتضمن رموزا وأشكالا تصويرية تعبر عن مدى الاتصال بينهم وبين جيرانهم الغربيين[4]، ومع ظهور العلامات الكتابية الأولى نلاحظ أن النصوص المصرية تشير إلى أسماء هؤلاء الجيران، ولعل أشهرهم قبيلتي "تحنو" و" تمحو"[5].

ذكر "تحنو" أو "تحني" في النقوش المصرية منذ فج التاريخ المصري، وأقدم إشارة إليهم ترجع إلى عصر الملك " العقرب" الذي حكم مصر قبيل الوحدة، في لوحة أردوازية صور الفنان على أحد وجوهها أربعة صفوف، نجد في الصف العلوي رسم ثيران، وفي الثاني حمير، والثالث أغنام، أما الرابع أشجار الزيتون وإلى جانب الأشجار من الناحية اليمنى نجد علامة تصويرية تذكر "التحنو"[6].

---

[1] Gsell St., *Histoire ancienne de l’Afrique du nord*, T5, libraire Hachette, paris, 1920, p 50.

[2] الزوكة محمد خميس، جغرافية العالم العربي، ط 3، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص ص 50-51.

[3] زرقانة إبراهيم، الحضارة المصرية في فجر التاريخ، دار المعارف، القاهرة، 1948، ص 152.

[4] بالزمه محمد مصطفى، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، دار مكتبة الفكر، طرابلس ، 1975، ص ص 66.69.

[5] بن السعدي سليمان، علاقات مصر ببلاد المغرب القديم من فجر التاريخ إلى القرن السابع قبل الميلاد، رسالة الدكتوراه دولة في التاريخ القديم تحت إشراف محمد البشير شنيتي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009، ص ص 14-19.

[6] جاردنر ألن، مصر الفراعنة، تر. نجيب ميخائيل، مر. عبد المنعم ابوبكر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص427.

وفي عهد الملك "مينا–نعرمر" ذكر "تحنو" في عبارة على أسطوانة من العاج نقش اسم الملك "نعرمر"، وفي أمامه أعداء مكبلون بالأغلال نقش فوقهم اسم "تحنو"، وفي معبد الملك "ساحورع" نجد عبارة" ضرب تحنو"[1].

أما "تمحو" فقد ورد ذكرهم في عهد بيبي الأول على الشكل التالي" من بلاد التمحو"، وفي عهد الدولة الوسطى نجد ذكر"تحسيو والتمحو"[2]، واتفقت الآراء أنهم ذوو البشرة البيضاء والشعر الأشقر الطويل ويذكر بن السعدي سليمان نقلا عن Moller و Holscher أنهم الأجداد الأوائل لأحفادهم المنتشرين حاليا في شمال إفريقيا والمعروفون بالبربر، الذين تتمثل فيهم الثقافة الليبية الأصيلة[3].

- **ليبيــا**: يرجع أول استخدام لكلمة "لوبة" إلى المصادر المصرية والتي تعود إلى النصف الثاني من الألفية الثانية قبل الميلاد، وذلك على نقش يرجع إلى عهد "رمسيس الثاني" (1298–1222) بصيغة R.B.W [4] وفي عهد مرنبتاح (1224-1194) قصد تحديد السكان القاطنين إلى الغرب من نهر النيل[5]، كما ورد اسم "الليبيين" في التوراة باسم "ليهابيم Lehabin" أو "لوبيم Loubim " حيث ورد في سفر الوقائع أن الليبيين حاربوا ضمن جيوش الفراعنة ضد الملك "رحبعام"[6]، وقد اتفقت المصادر المصرية على ذكر الشعوب الغازية لمصر، ومن بينها الليبيين بقيادة حكامهم من أجل الاستيطان في مصر[7].

---

1 سليم حسن، مصر القديمة، ج 7، عصر مرنبتاح و رعمسيس الثالث، ولمحة من تاريخ لوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 23.

2 بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 39.

3 نفسه، ص44.

4 Camps G., *Aux Origines de la berberie, Massinissa ou les débuts de l' histoire,* in Libyca, Archéologique Epigraphie, T., VIII, 1960, p 26.

5 Decret F., Fantar M., *L'Afrique du nord dans L'antiquité (dés origine ou V^e siècle)*, Payot, paris, 1981, p 16.

6 خشيم علي فهمي، آلهة مصر العربية، ج 1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 83 .

7 Gaid M., *Aguellids et romains en berberie,* SNED, Algérie, 1972, p 70.

تذكر مصادر أخرى أن تسمية ليبيا مأخوذة من اسم ملكة كانت تحكم شعبا يقطن إلى الغرب من نهر النيل، ثم عمم على شعبها، ورأي آخر يذكر ربة معبودة في المنطقة منذ القديم[1] ، وثالث لا يستبعد الاسم السامي بمعني أرض السباع، وتعني اللبؤة، ورأي رابع يرجعه إلى "لوب" أي الجفاف أو الحر[2] .

أما المصادر الإغريقية فقد تغنى شعراؤهم منذ أيام هوميروس بخيرات ليبيا الاقتصادية العجيبة[3] وتطلق على كل القارة، فهيرودوت يذكر ليبيا أو لوبا على أنها القارة الثالثة من قارات العالم، مستقلة بثقافتها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها وأزيائها، ومعروفة بقبائلها وبمميزاتها المختلفة[4]، مؤكدا على وحدة السكان والأرض، فساحل ليبيا الشمالي إلى رأس سولييس الذي هو نهاية ليبيا، تسكنه قبائل كثيرة من الليبيين على امتداده، عدا الجزء الواقع في يد الإغريق و الفينيقيين[5]، كما أن البحارة الإيجيين والكريتيين يطلقون على السكان المحاذيين للشاطئ المتوسط اسم"ليبوس Libus"[6] واستخدم بلين الكبير مصطلح "الليبيين" للإشارة إلى سكان شمال إفريقيا، وعلى منتجاتهم بـ" الليبية"[7]، في حين استعمل بوليب اسم الليبيين للدلالة على السكان الأصليين الخاضعين لقرطاجة[8]

كما تحدث فرجيل على ليبيا و دبتها في ملحمته الانيادة Eneide[9]، و جوستان الذي أورد مصطلح "ليبيا" في ذكره لهجرة الفينيقيين إلى ساحل المتوسط الجنوبي الغربي[10]، دون أن ننسى النقوش، فقد ذكر حارش أنه تم العثور على نصب بونية في معبد صلامبو ومعبد الحفرة بسيرتا حملت مصطلحي "L.B.T"و "L.B.Y " وكذا ترجم فيفري النقيشة التالية "BSD LBYB" بمعني "في بلاد

---

1 Gsell St., *Hérodote, textes relatifs à l'histoire de L'Afrique du nord*, topographie Adolph Jourdan, paris, 1915, p70.

2 Ibid, p 70.

3 Decret F., Fantar M., op-cit., p15.

4 شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ، ص154.

5 Hérodote, *Histoire*, Liv., IV, trad. par PH , E, Le grand, 5e Edi , les belles lettres, paris, 1972, IV, 197.

6 Camps G., *Berbères aux marger de L'histoire*, Hespérides, France, 1980, p 88.

7 Pline L'Ancien, *Histoire Naturale*., L, trad. Jehan Desanges, édi. les belles lettres, paris, 1980, XIII, 24 ; XIV, 3.

8 Polybe, *Histoire romaine*, trad., D, Rourrel, édi., Gallimard, Paris, 1970 , I,77.

9 فرجيل، الانيادة، تر عنبرة سلام الخالدي، دار العلم للملايين، بيروت، 1995، ص 98.

10 Decret F., Fantar M., op - cit, p15.

الليبيين"[1]، وتجدر الإشارة إلى أن أصل الكلمة محلي باتفاق معظم المؤرخين مثل كامبس وفنطر ودوكري.

- **إفريقيا:** لقد تراجع استخدام مصطلح "ليبيا" مع مرور الوقت فاسحا المجال أمام ظهور مصطلح جديد وهو إفريقيا مع نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، فبعد أن سيطر الرومان على أرض قرطاجة سنة 146ق،م أطلقوا عليها إفريقيا الجديدة، كما لقب سكيبيو scipion بالإفريقي Africanus[2]،و طبقت الصفة "أفريكانوس" على النباتات ذات الأصل الإفريقي، ففي مؤلف كاتون ذكر"التين الإفريقي" Figus Africanus"، ثم اتسع مدلول الكلمة تدريجيا ليشمل كل الشمال الإفريقي من طرابلس إلى المحيط ثم كل القارة بعد ذلك[3].

عن أصل التسمية، هناك اشتقاقات عديدة كلها ترجع إلى الجذع F.R.G التي تعبر عن تفريق المستوطنات، كما نجد أيضا الجذع Ifri وتعني الكهف، و "أفر Afer" وتعني سكان الكهوف، و"إفرو Ifro" الإله المحلي[4]، كما ورد عند حارش كلمة Frigi أو Pharikia وتعني بلاد الفواكه، وAprica التي تعني المناخ الحار ، وفيه من يدرج قصة البطل الأسطوري "إفريقش"[5].

وحسب علماء ودارسي اللغة السامية القديمة ربما تعود إلى أصول سامية تعني المعفّرة وجوههم بالأتربة نتيجة للرياح التي كانت تهب على المنطقة[6] .

- **البربر:** أطلق العرب مصطلح البربر على سكان إفريقيا الأصليين[7]، وخاصة أولئك الذين لم يندمجوا في الحضارة الرومانية[8]، ويذكرهم ابن خلدون نسبة إلى جدهم الأول " إفريقش" الذي قال عنهم عندما سمعهم يتحدثون "ما أكثر بربرتكم"[9]، بمعني كثرة الأصوات غير مفهومة فسموا بربر.

---

[1] حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري من فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1992، ص 22.

[2] Decret F., Fantar M., op - cit, pp 15-23.

[3] Ibid, p 22.

[4] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص ص 24-25.

[5] نفسه.

[6] Decret F., Fantar M., op - cit, p 25.

[7] Ibid, p 23.

[8] ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، مجلد 3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ص 87.

[9] Gsell S., H.A.A.N, T.5, p 337.

غير أن هذه التسمية تختلف في أصلها ومدلولها وتاريخ استخدامها عن تسمية Barbars والتي اشتقها البعض من Barbarus اللاتينية بمعني همجي[1]، وأطلقها الإغريق ثم الرومان فيما بعد على الأهالي الذين بقوا مستعصين على حضارتهم كما أشرت من قبل، وإذا كان كامبس وقزال يستخدمون بلاد البربر و كذا شارل أندري جوليان، الذي يذكر أن أفضل تسمية هي بلاد البربر إذ أن سكانها يكاد يكون جميعهم من البربر [2]، لكن أهلها يفضلون الاحتفاظ بتسمية أصيلة هي بلاد الأمازيغ[3].

بناء على ما سبق، فإن كلا من "لوبة" و "إفريقيا" تدلان في أصلها على مصطلح يحمل معني واحد، غير أن التسمية الأولى أطلقت من قبل المصريين، ثم الإغريق من بعد، وشاع بعد ذلك استخدامها في المصادر الإغريقية، أما التسمية الثانية فكانت تعني في البداية أملاك الدولة القرطاجية التي استولى عليها الرومان سنة 146 ق،م ، و التي تعني الخارجين عن الحضارة الرومانية، أما تسمية البربر فقد جاءت متأخرة نوعا ما بالإضافة إلى إفريقيا أو شمال إفريقيا أو بلاد المغرب القديم فهي كلها مصطلحات متنوعة ذات مدلول واحد تدل على رقعة جغرافية واحدة، وإن اختلفت مسمياتها وفقا للتطور الزمني.

ب -الموقع حسب المصادر: من خلال المصادر الكتابية الإغريقية والرومانية نلاحظ أن الحدود السياسية للمغرب القديم تضيق وتتسع وفقا لتحركات القبائل المحلية التي كانت مواطن انتشارها تمثل حدود المنطقة، وقد تغيرت هذه الحدود عبر عدة محطات تاريخية، لكن الثابت أنها تمثل المنطقة الممتدة من غرب النيل شرقا إلى رأس سولييس[*] على أطراف المحيط الأطلسي غربا، ومن ساحل البحر المتوسط شمالا إلى التخوم الصحراوية جنوبا، فالمصادر القديمة التي تناولت تاريخ المنطقة حددت جغرافية المنطقة على الشكل التالي:

---

[1] Decret F., Fantar M., op - cit, p 27.

[2] شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر محمد المزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط 4، تونس، 1983، ص12.

[3] نفســه، ص18.

[*] رأس سولييس: يقع جنوب طنجة على المحيط الأطلسي، أنظر: سيف الدين الكاتب و آخرون، أطلس التاريخ القديم، ط1، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 2009، ص65 .

- **جغرافية بلاد المغرب القديم حسب هيرودوت:** في ذكره لقارات العالم القديم صنف هيرودوت لوبة بأنها القارة الثالثة بعد أوربا وآسيا، تمتد من غرب مصر إلى رأس سولييس[1]، وفي وصفه للمنطقة –يتفق مع معظم المصادر القديمة– يقسمها إلى ثلاثة أقاليم:

- **الإقليم الساحلي:** الذي تنتشر فيه القبائل اللوبية على طول الشريط الساحلي المطل على بحر ليبيا، حيث يقسمه إلى منطقتين تفصلهما بحيرة التريتون، الشرقية تمتد من نهر النيل حتى نهر التريتون غربا ساحلها رملي منخفض، وهي موطن قبائل البدو، والغربية تمتد من التريتون شرقا إلى الأطلسي غربا، موطن الليبيين المزارعين وهي منطقة جبلية تعج غاباتها بالحيوانات الضارية[2].
- **الإقليم الداخلي:** الذي يعتبر امتدادا لمواطن القبائل اللوبية الساحلية، يوازي الإقليم الساحلي.
- **الإقليم الصحراوي:** هو الإقليم ذو المناخ القاسي، تغطيه الكثبان الرملية، والذي تعتبره القبائل صعب المعيشة.

وهيرودوت بذلك يتفق مع معظم النصوص القديمة في أن حدود لوبة أوسع كلما اتجهنا جنوبا حيث تنتشر الحيوانات المفترسة، ثم تشكل شريطا يمثل منطقة صحراوية بمحاذاة الأطلس[3].

- **جغرافية بلاد المغرب القديم حسب سترابون:** في كتابه السابع عشر قدم لنا سترابون وصفا لجغرافية لوبة في قوله:" ....الواقع أن مساحة لوبة أوسع بكثير مما ورد في المصادر السابقة، إذ تمتد بين الإسكندرية شمالا و ميروي عاصمة إثيوبيا جنوبا على امتداد 10 آلاف ستاديوم، حيث تقع على حدود المنطقة المشتركة بين المنطقة المحرقة، وبين الأرض المأهولة، ونستطيع حساب مسافة 3000ستاديوم، وبذلك تقدر أقصى امتداد جغرافي طوليا للوبة بحوالي 13000 ستاديوم، ومع ذلك فإننا لا نستطيع وضع تحديد دقيق لكامل المساحة..."[4].

---

[1] Hérodote, IV, 198.

[2] علوات محمد، "جغرافية ليبيا القديمة عند سترابون و بطليموس"، ***مجلة آراء و أبحاث في التاريخ و الآثار القديمة***، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012، ص ص 101-102.

[3] Hérodote, Histoires, IV, 251.

[4] Strabon, *Géographie*, T3 – la Libye- trad., Par Amédée Tardieu, Librairie Hachette , Paris, XVII, 1.

يطلق سترابون على ليبيا اسم"ليفي" وهي تأتي بعد آسيا في مساحتها، وتأخذ شكل مثلث قائم[1]، و تقسم إلى ثلاث مناطق:

-المنطقة الأولى: تمتد من بحرنا، وهي خصبة، تتاخم الحدود القرطاجية إلى غاية موريطانيا وأعمدة هرقل.

-المنطقة الثانية: تمتد على طول المحيط وهي أقل خصوبة من الأولى.

-المنطقة الثالثة: تتوسط المنطقة الخصبة والصحراوية، وهي لا تنبت إلا السلفيوم[2].

ويضيف سترابون أن المنطقة – ليبيا- كثيرة الخلجان والنتوءات والألسن البحرية، وفي وصفه الخليج بين السرت الصغرى والسرت الكبرى، يقول أن السواحل الشرقية لليبيا هي سواحل ضحلة غير عميقة، مما يسبب فترات المد والجزر اصطدام السفن بالشواطئ، لكن بالنسبة لسواحل الأطلس لا يذكر شيئا عنها[3].

أما الظروف المناخية للمنطقة فيقدم سترابون وصفا دقيقا، يخلص إلى أن التباين الكبير بين المنطقة الشمالية الساحلية والجنوبية الصحراوية، وهو راجع لموقعها في العروض الجغرافية، فالقسم الشمالي الغربي من ليبيا يسوده المناخ الرطب مما انعكس على الاستيطان البشري، مع تميز الجزء الجنوبي الغربي بهبوب رياح قوية صباحا ومساءا وضباب كثيف، أما الجزء الجنوبي فهو حار جدا قليل المطر قاحل[4] .

- **جغرافية بلاد المغرب القديم حسب بلين الكبير**: لوبة هي المنطقة المنحصرة بين الحدود الغربية لمصر حتى المحيط الأطلسي[5]، وبها خليج السرت والتريتون وأعمدة هرقل[6]، كان الإغريق يسمون إفريقيا ليبيا، والبحر الذي يحدها يسمى البحر الليبي تمتد أقصى حدودها إلى مصر وسواحلها على

---

[1] علوات محمد، المرجع السابق، ص 101.

[2] Strabon, *Géographie*, XVII, 2.

[3] محمد علوات، المرجع السابق، ص 102.

[4] المرجع نفسه، ص 103 .

[5] Pline L'Ancien, XIV, 2.

[6] Ibid.

خط منحرف متواصل بداية من الغرب، وهي أكثر المناطق قلة للخلجان[1]، وقد ذكر ساليست بأنها :"..بلا موانئ[2]، أما بالنسبة لسترابون فالساحل الليبي يشكل مع نهر النيل زاوية المثلث القائم[3]، أسماء شعوبها – ليبيا- و مدنها حسب بلين هي أكثر من أسماء بلد آخر، يستحيل نطقها على الأجانب[4] وفي وصفه لنوميديا تبدأ من لمبساجة ،والتي كان الإغريق يدعونها أرض ميتاغونيس، وسمي النوميديون بالنوماد لأنهم كانوا يغيرون أماكن رعيهم وينقلون المباليا الخاصة بهم على العربات ... نهر توسكا حد نوميديا، ولا شيء مذهل في هذا الإقليم، غير الخزف النوميدي والحيوانات المفترسة التي تعج بها... ومن توسكا تبدأ منطقة زوجيطانيا، المسماة إفريقيا"[5].

- **جغرافية بلاد المغرب القديم حسب ساليست:** في وصفه لجغرافية المنطقة يذكر ما يلي: "تتميز إفريقيا بالحرارة الشديدة وبصحاري .... وتكون إفريقيا الجزء الثالث من العالم، إلا أن بعض الكتاب لا يعدون إلا قسمين هما أسيا وأوربا، ويلحقون إفريقيا بأوربا ... و يحدها من الغرب المضيق الذي يصل بحرنا بالمحيط وفي قسمها الشرقي تمتد هضبة كاتاباتموس.."، وأما وصفه للظروف المناخية يذكر:" أرضها جيدة للزراعة وتربية الحيوانات و السماء مدرارة..."[6].

- **جغرافية المغرب القديم حسب بطليموس:** يقسم ليبيا إلى خمسة أقاليم فرعية هي:
  - مافريتانيا تينغيتاني و هي موريطانيا الطنجية.
  - مافريتانيا كايسارينسيا و هي موريطانيا القيصرية.
  - نوميديا أفريكي (إفريقيا).
  - كيرينايكي (قورينائية).
  - مارماريكي وهي ليبيا الحالية[7].

---

[1] Pline L'Ancien, I, 1.
[2] Salluste, *Guerre de Jugurtha* , trad par : Charles du rozier et Yves Germain, éd Paléo, Paris, 2003, XVII .
[3] Strabon , XVII ,1 , 3.
[4] Pline L'Ancien, I, 1.
[5] Ibid , II, 1 ; III , 1.
[6] Salluste, XVII ,
[7] كلاوديوس بطليموس، جغرافية ليبيا و مصر، تر محمد المبروك الدويب، دار العلم، القاهرة، 2003، ص 25.

وتحد هذه الأقاليم جنوبا إثيوبيا القديمة، كما أورد أسماء أغلب الوديان بالمنطقة منها نهر خولماث (شلف)، كينويس(كعام)، و كان لعدد الأودية المنتشرة عبر سواحل المتوسط الأثر المباشر في ازدهار و كثرة عمرانها[1].

- **جغرافية المغرب القديم حسب علم الجغرافيا الحديث**: تقع منطقة المغرب القديم في شمال القارة الإفريقيــة، حيث تظهر خريطتها في شكل رباعي غير منتظم، و يتميز الحد الشمالي لهذا الرباعي بجبال الأطلس[2]، تمتد بين خطي طول 18°- 38° شمالا، وبين خطي عرض 25° شرقا و 17° غربا، وهو ما أعطاها موقعا استراتيجيا، جعلها تنتمي إلى الحوض الغربي للمتوسط ،بالإضافة إلى انفتاحها على الحوض الشرقي من خلال سواحل بلاد المغرب الشرقية، وكذا حلقة وصل بين ضفتي المتوسط و القارة الإفريقية[3].

يمكن تمييز قسمين من تضاريس بلاد المغرب، أحدهما شمالي والآخر جنوبي، كما ينقسم الجزء الشمالي إلى سلسلتين تلية وصحراوية، تمتد هاتين السلسلتين على طول بلاد المغرب من الغرب إلى الشرق باستثناء بعض التقطعات، بالإضافة إلى سهول ساحلية مثل مجردة، ثم السهول الجزائرية – المغربية، ثم هضاب داخلية مثل هضبة المزيتة، والهضاب العليا الجزائرية.

أما القسم الجنوبي فهو عبارة عن صحراء تمتد من ليبيا شرقا حتى المغرب الأقصى وموريطانيا غربا تغطي سطحها الكثبان الرملية والحصى، وللإشارة الصحراء لم تكن تشكل جزءا من المغرب القديم، إذ هي تشكل كيانا حضاريا مختلفا له خصائصه المتميزة[4].

---

[1] محمد علوات، المرجع السابق، ص 102.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 12.

[3] حارش محمد الهادي، دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة، ط 1، دار هومة، الجزائر، 2001، ص28.

[4] الناضوري رشيد، تاريخ المغرب الكبير (العصور القديمة أسسها التاريخية و الحضارية و السياسية) ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص52.
أنظر أيضا: Decret F., Fantar M., op- cit, p 14.

مما سبق، نجد أن تباين التضاريس والمناخ والغطاء النباتي أعطي منطقة المغرب القديم صعوبة في الاتصال بين مختلف أقاليمه، وكان لوجود الصحـــراء أثر في ازدواجيـــة النمـــط المعيشي بين البدو والحضر[1].

2 -التسمية و السكان:

أ -**أصل السكان:** تعتبر المصادر الأدبية والبقايا الأثرية والأنتروبولوجية أهم ما يساعد الباحث في الوصول إلى هدفه، فدراسة أصل سكان المغرب القديم، يجب العودة إلى المصادر اليونانية مثل هيرودوت الذي أشار في كتابه الثاني إلى الأقوام التي سكنت بلاد المغرب القديم بقوله:" تسكنه قبائل كثيرة من الليبيين على طول امتداده عدا الجزء الواقع في أيدي الإغريق والفينيقيين..."[2]، وفي كتابه الرابع يقول:" تعيش هنا أربعة أمم لا أكثر، اثنتان منها أصليتان واثنتان غير أصليتان، فالليبيون Lybiens في الشمال والإثيوبيون Ethiopiens في الجنـوب، والفينيقيون Pheniciens والإغريـق Grecs استقروا فيها فيما بعد...."[3]. وفي موضع آخر يقول :" المنطقة الساحلية الممتدة من مصر إلى رأس سولييس الذي يسجل نهاية القارة الليبية إلى الغرب آهلة بالليبيين .."[4]، حيث يؤكد حارش أن ذلك يشكل ضمنيا الوحدة الإثنية لسكان شمال إفريقيا من مصر إلى المحيط[5] ، حيث صنفهم هيرودوت على أساس نمط معيشتهم إلى ليبيين رعاة متنقلين وهم يشكلون قبائل عديدة تعيش في المنطقة الممتدة من مصر شرقا إلى بحيرة التريتون غربا، ومن بين قبائل هذا الصنف ذكر الآدروماشيد، الجيليقام، الأسبت، الأوشيز، النسامونيس، البسيل، الماسيز الجينداس، الماشيل، الأوسيس، أما الليبيين المزارعين ساكني البيوت فينتشرون في المنطقة الممتدة من بحيرة التريتون حتى رأس سولييس المطل على المحيط الأطلسي والذي يشكل نهاية القارة، فقد ذكر منهم الماكسويس، الأوزيس، الزويس، الجيزنت.[6]

---

[1] الزوكة محمد خميس، المرجع السابق، ص ص 44- 45 .

[2] Hérodote, II, 32.
[3] Ibid, IV , 197.
[4] Ibid, IV , 180.

[5] حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي ،ص ص 26-27.

[6] Hérodote , II, 32 ,

أما في المصادر الرومانية فقد ورد ذكر سكان بلاد المغرب عند ساليست بقوله:" إن السكان الأوائل لإفريقيا هم الليبيون والجيتول Gétules، ثم أضاف إليهم المور Maures والنوماد Numides نتيجة امتزاج السكان الأوائل ببقايا جيش هرقل، من ميديين Mèdes وفرس Perses والأرمن.."[1].

لكن شارل أندري جوليان ينفي رواية ساليست ، مؤكدا أنها لا نصيب لها من الصحة[2]، أما حارش فيذكـر أنه يوافـق اقتراح قــزال الذي حـاول التقريب بين Persae الواردة عند ساليست و peror أو pharusi الذي توجد أراضيهم على السواحل الأطلسية في المغرب الحالي[3].

كما نفي أيضا جوليان رواية بروكوب الزاعمة بحدوث هجرة فينيقية بعد دخول العبرانيين إلى بلاد الشام مرجعا ذلك إلى مصادر يهودية متأثرة باليونان قائلا :" أن ليس لطرحها أية قيمة تاريخية.."[4].

وهناك من ربط سكان بلاد المغرب الذين ذكرهم ساليست من جيتول وليبيين بمعطيات أنتروبولوجية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ بأصول السكان إلى سلالتين:

- إنسان مشتي العربي في الشمال بين التل و البحر المتوسط.
- الإنسان القفصي الذي شغل القسم القاري الداخلي الذي أصبح لاحقا لقبائل الجيتول[5].

لكن حارش يخلص إلى أن التركيبة الأساسية لسكان البلاد المغاربية تنتمي إلى العمق الأمازيغي القديم الذي كان موجودا في المنطقة، منذ ما قبل التاريخ كتركيب لم يتوقف عن الإثـراء بواسطة مساهمات إثنية وثقافية[6]، ليضيف أنه في الجانب الإثني لم تكن مساهمة كبيرة، حيث ينتهي بالذوبان في العنصر البربري الغالب، أما ثقافيا فكانت المساهمة أنشط وأكثر تأثيرا دون إلغائها[7].

---

[1] Salluste, XVII, 1-12.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص71.

[3] حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي...، ص 27.

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 71.

[5] Camps G., Op - cit, pp .16-18

[6] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 32.

[7] المرجع نفسه، ص 33.

ب –**تنوع التركيبة البشرية**: وبذلك ظهرت عدة تسميات مع الرومان الذين أطلقوها لتعيين القبائل والمناطق التي تسكنها، أو ورثوها عن الإغريق، ومنها:

-المـور : هي كلمة ذات أصل فينيقي تعني عندهم الغرب[1]، واسم موريطانيا أو موريزيا قد اشتق من المور الذين أشار إليهم ساليست في حديثه عن السكان الأوائل لإفريقيا[2]، واشتق منها الإغريق فيما بعد كلمة "موريزيا"[3]، ويذكر سترابون أن الأهالي يسمون أنفسهم "ماوري"، ويسميهم الإغريق المورزيين[4]، وكان يقصد بهم البعض ذوي البشرة السمراء، وفي بعض الأحيان سكان غرب إفريقيا بما فيهم النوميد[5]، وقد استخدم المصطلح حتى في العهد البيزنطي، فأخذ معني أوسع ليشمل كل سكان إفريقيا[6]، كما أن بلين أشار إلى أن بين قبائل موريطانيا الطنجية قبيلة رئيسية اسمها "ماوري" أفنتها الحروب و جعلتها عشيرة صغيرة من بضع عائلات، ثم شغل مكانها الجيتول [7].

وحسب كامبس فهي مشتقة من الكلمة السامية " ماهاوريم Mahaurim"[8]، وبذلك حدد سترابون و بومبونيوس ميلا، بلين موقع تمركز المـور في أقصى غرب ليبيا، كما أن تيت ليف حدد بلاد المـور غرب المازيسيل، هذه الأخيرة وضعها في جهة مقابلة لقرطاجنة ،كما ذكر على لسان الملك بوخوس أن مجري واد الملوية هو الحد الفاصل بينه وبين أقاليم مملكة مكيبسا إلى المحيط الأطلسي[9].

---

1 عبد الرحمان خلفة، الديانة الوثنية المغاربية القديمة من النشأة الى سقوط قرطاج سنة 146ق،م، رسالة ماجستير في التاريخ القديمٍ، جامعة منتوري قسنطينة، 2007- 2008،.ص 15.

2 Salluste, XVIII.

3 خلفة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص15.

4 Strabon, XVIII, 3 ,2.

5 Muller L., *Numismatique de L'ancienne Afrique*, T3, Imprimerie de biance luno , Copenhague , 1865, p78.

6 Gsell St., *H ,A,A,N*, TV , p 95.

7 Camps G., Op- cit , p181, ; Gsell S., *H .A.A.N*., T.,V, pp 95-97.

8 Ibid, pp 147-148.

9 Ibid, pp 181-182.

ومنهم من جعله يقارب كلمة Tamurt التي تعني الأرض[1]، أما رين L, Rinn فيرد أصل هذه الكلمة إلى Our الموجودة في اسم جبل عمور [2]، أي أن اسم مور في هذا التفسير بمعنى سكان الجبال أي السكان المستقرين، وقرب البعض اسم مور بالاسم القديم للأوراس أوراسينوس[3].

- **النوميــديون**: وردت أول إشارة إليهم عند هيرودوت بصيغة نوماداس Nomades قاصدا بهم الليبيين البدو[4] ، أما في القرن الثالث قبل الميلاد فقد أخذت كلمة نوميديا مدلولا جغرافيا تمتد شرقا من قرطاجة إلى واد الملوية غربا، كانت حدودها تتسع وتتقلص حسب قوتها أو ضعفها، وسمي السكان بالنوميديين[5].

- **الجيتــول**: هو الشعب الثالث الذي يعمر إفريقيا الشمالية [6]، كانت قبائل الجيتول تنتشر من الهضاب العليا إلى الصحراء جنوب موريطانيا، ومن المحيط الأطلسي إلى فزان[7]، وقد ذكر Cagnat أن سترابون شبه مناطق انتشارهم بالبقع على جلد الفهد[8]، لم ترد هذه التسمية عند هيرودوت مما يدل على أن الجيتول ظهرت بما بعد، إذ لم ترد في المصادر اللاتينية إلا بداية القرن الثاني قبل الميلاد.

كان الجيتول منقسمين إلى عدة قبائل منها الأتوتول، هذه الأخيرة لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة، فهي القبيلة الأقوى، وقد خص ساليست الجيتول بلعب دور هام في تكوين الشعب النوميدي[9] في حين أشار تيت ليف إلى أنهم يشكلون قسما من جيوش حنبعل[10]، أما قزال ومعه كاركوبينو فيرى أن الجيتول الأتولول كانوا يتواجدون في البداية بجوار واد بورقرق ومدينة سيلا، وكانوا

---

1 محمد العربي عقون، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص159.

2 Rinn L., *Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha*, **Rev. Afr**, 29, 1885, pp 242-243.

3 Camps G., Op - cit , p 147.

4 شنيتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق،م-40م)،ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص163.

5 نفســه، ص ص 163-164.

6 Salluste, XVII ; Camps G., Op - cit, p187.

7 Cagnat R.L.V., *L'armée romaine et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Imprimerie nationale, Paris 1913, p 4.

8 Carette E., *Origine et migration des principales tribus de l'Algérie*, Imprimerie Impériale, Paris, 1853, p 4.

9 Salluste, XVII , III, 11.

10 Polybe, *Histoire romaine*, T., XXIII, trad M. Nicard, J ,J, Duboucher, Paris,1941,18.

يهددون خطوط الاتصال بالأطلس ويشكلون خطرا على المستعمرات الرومانية، وحسب كاركوبينو (Carcopino) فقد طردوا إلى الجنوب من طرف البقواط[1]، أما ليفريزول(Frezouls) فيرى أن موطنهم رأس سولييس ومنطق السوس[2] Le quesenus، وفي مجمل القول فهم يتمركزون في السهـوب والمرتفعات الجنوبية والحواف الشمالية للصحراء فيما بين المحيط الأطلسي حتى فزان شرقا و اشتهروا بممارسة الرعي[3]

3 - **ظهور الممالك النوميدية:**

ليس لدينا من المصادر التاريخية الكافية، التي تثبت بالضبط دخول بلاد المغرب في التاريخ، وعن وجود كيان سياسي مكتمل الشروط قبل ظهور قرطاجة، ولكن هناك مصادر كتابية وأثرية وردت فيها أسماء عدد من المجموعات القبلية في تعداد شعوب الشمال الإفريقي القديم ما قبل الاحتلال الروماني، وتدلُّ هذه الأسماء على مجموعة قبائل محكومة بروابط التقاليد والعادات، وأبرز هذه الأقاليم نجد النوميد.

عُرفت نوميديا في كتابات المؤرخون القدماء بأسماء عديدة، اختَلفت في تسميتها المصادر الإغريقية واللاتينية- كما أشرنا إليه سابقا-، ففي المصادر الإغريقية مثلا، كان اسم نوميديا اسمًا وصفيًا يعني نمط حياة ينطبق على البدو والرحل، ثم تطورت التّسمية وأصبحت تدل على شعوب كانت تعيش في شمال إفريقيا فعرفوا عند المصريين باللوبيين، وعند هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد الذي أعطاهم صفة الرحالة و المزارعين. وردد الكتاب الإغريق عبارة نوماداس، أمثال هيكاتي (Hecatee) وتيمايوس (Temaius) وسترابون (Strabon) الذي علل كونهم رحالة لكثرة الوحوش الضارية، و قد كرس الرومان التسمية وأعطوها مدلولا سياسيا[4].

---

[1] Carcopino J. *le Maroc antique*, éd, Gallimard, paris,1943 , p226.

[2] Frezouls E., *Les Baquates et la province romaine de Tingitane*, T, II, **Bull, d'Archéol,** Maroc, 1957, pp. 65-116

[3] حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي، ص 32 .

[4] شنيتي محمد البشير، نوميديا الشعب و المملكة، في الجزائر النوميدية، متحف سيرتا، 2007، ص 45.

فديودور الصقلي يذكر أنهم قوم عاشوا في أواخر القرن الرابع ق،م في جزء كبير من ليبيا حتى الصحراء(1)، في حين بومبونيوس ميلا Pomponius Mêla يحدد امتدادها من نهر الملوشا إلى لمبساقا(2) أما بوليب فقد أطلق التسمية على سكان شمال إفريقيا عامة في المنطقة الممتدة من ليبيا حتى المغرب الأقصى(3) وفي موضع آخر يتكلم عن نوميديا التي أصبحت تمتد إلى لمبساقا غربا، ونفهم من خلال المقارنة بينهما أن حدودها قد تقلصت، فقد ألحقت هذه المملكة المور عندما أصبحت مستوطنة في عام 42م(4)، إلا أن ساليست فقد خص بهذه التسمية فقط سكان لبدة Leptis magna، الواقعة بين خليجي سرت(5)، وفيما بعد اقتصرت على المنطقة الواقعة مابين قرطاجة شرقا إلى مملكة موريطانيا غربا، وبقيام مملكتي الماسيل والمازبسيل أطلق المؤرخون الإغريق والرومان على ملوك المنطقة اسم "ملوك نوميديا" Rex Numida(6) وأصبحت البلاد الممتدة من طبرقة شرقا حتى نهر الملوية غربا بعد أن قضى ماسينيسا على سيفاكس تحمل اسم "نوميديا"(7).

ويؤكد كامبس (G.Camps) بأنهم – النوميديون- كانوا ضحية الكتاب الإغريق الذين أخلطوا اسمهم بصفة رحالة أي أناس دون مدن، ودون قوانين، ودون زراعة (8)، ولكن بالمقابل هناك أثار مادية تؤكد أن كلمة نوميد لها أصل عرقي، وليست صفة، فمثلا الاسم القديم لمدينة خميسة بالشرق الجزائري دليل على ذلك Thubursicu Numidarum، فقد جاءت كلمة Numidarum في حالة المضاف إليه الجمع و تقرأ توبورسيكو النوميديين(9).

أما في فترة الاحتلال الروماني فانحصر اسم نوميديا على منطقة الشرق الجزائري الحالي، أي من نهر الامبساجة "Amsaga ،Ampsaga" إلى رأس التريتون " بوقرعون" في شبه جزيرة القل(10)، إذ

---

[1] Diodore de cisile, *bibliothèque Historique*, XX, trad. par A .F .Miot, paris, 1934 ,55 ,4.
[2] Pomponius Méla, *Géographie*, trad. M, Louis purosoir, Panckoucke, paris, 1865, I , 6.
[3] Polybe, III, 32, 15.
[4] Gsell S., *H.A.A.N*, T.,V, p108.
[5] Salluste, XC, 6.
[6] فرحاتي فتيحة، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني،213-46 ق،م، منشورات أبيك، الجزائر، 2007, ص22.
[7] Camps G., *Massinissa*..., p.159
[8] Camps G., *Les numides et la civilisation punique*, dans **Anti. Afr**., 1979, p44.
[9] مهنتل جهيدة، النوميديون ضحية المصادر القديمة، **مجلة آراء و أبحاث في التاريخ و الآثار القديمة**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2012، ص 109.
[10] Polybe, VI, 22.

يؤكد كامبس أن تسمية نوميد من أصل محلي بدليل استمرار وجود قبائل في العصر الروماني ووجود شعب النومادي في موريطانيا حتى الآن[1]، كما نجد في قائمة الأساقفة في محاضرة قرطاجة سنة 411م بموريطانيا القيصرية اسم أحد الأساقفة وهو Numida، وهذا الاسم هو الكنية بالتأكيد، فقد كانت الكنية في الفترة القديمة هي الاسم المعبر عن الشخص باتخاذه صفة عرقية كما هو الحال هنا أو جسدية أو روحية[2].

وفي دراستها لنوع المساكن التي كان سكان نوميديا يقطنون فيها، خلصت فرحاتي إلى كل من فرجيل تيت ليف، بمبينيوس ميلا، بلين، تاكيتوس، أشاروا إلى "ماباليا" وهي مساكن مستطيلة الشكل وأحيانا دائرية، تميل جوانبها لتشكل السقف، وهي تخص الرعاة المتنقلين، في حين يذكر هيرودوت أن مساكن الرعاة الرحل الليبيين كانت مصنوعة من "الأسفودالوس" و ذكر ديودور ذلك كاسم لقبيلة، في حين يري المؤرخون المعاصرون – قزال، لكور– أن الماباليا أو النوالة كما سموها تشبه الأكواخ، في حين باس يري أنها مساكن الزراع المستقرين و عمال المدن الفقراء[3].

جاءت الإشارة إلى كلمة "ملك" والتي تعني تنظيم سياسي أو ما شابه ذلك في النصوص القديمة ثلاث مرات قبل الحرب البونية الأولى، فذكر جوستين أن حيرباص Hairbas كان ملك الماكسيتاني Maxitani مع بداية تأسيس قرطاج سنة 814 ق،م[4]، ثم في القرن الرابع قبل الميلاد جوستين يذكر ملك موري استنجد به القائد القرطاجي "حانون" عام 360 ق،م للقيام بانقلاب ضد الحكم في قرطاجة[5]، على أنه يبدو أنَّ في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد قد شهد نوعا من الأنظمة السياسية في بلاد المغرب المجاورة لقرطاجة، بدليل ما ذكره المؤرخ ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) من أن ملكًا نوميديًا يدعى ايليماس حالف أغاثوكليس(Agathocles) الإغريقي الذي غزا السواحل القرطاجية عام 310 ق.م [6]، إلاّ أنه يصعب اعتماد هذه الإشارة

---

[1] Camps G., Op - cit , p160.

[2] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 109.

[3] نفسه، ص ص 23-26.

[4] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة، ص19.

[5] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 44.

[6] Diodore de cisile, XVII, 3, 15.

كدليل عن وجود مملكة مغربية مكتملة الشروط ولكنها إشارة إلى النضج السياسي والوعي الوطني، من أجل الحد من توسّعات القرطاجيين وطردهم من المنطقة[1].

وقد بدأت النصوص القديمة تذكر النوميد بهذا الاسم منذ القرن الثالث قبل الميلاد، كشعب وقوة سياسية تبسط سيادتها على منطقة واسعة، تمتد من حدود قرطاجة شرقا إلى وادي ملوية غربا، كما أننا نجد أن الجغرافي سترابون يذكرهم في عدة فقرات، غير أنه لا يفرق بين مصطلحي نوميد (Numidi) ونوماداس (Nomadas)، ويعتقد أن التسمية نمطية، وقدم لنا وصفًا لهذه المنطقة وسكانها على الشكل التالي:"... إنها تحد من قرطاجة إلى أعمدة هرقل، المنطقة على العموم ثرية وخصبة ولكنها مليئة بالحيوانات المتوحشة، مثلها في ذلك مثل بقية مناطق الليبو الداخلية، ويطلق اسم نوماداس (Numadas) على جزء من سكان المنطقة الذين كانوا قد استمدوا اسمهم من الحياة التي كانوا عليها، من صراعهم مع الحيوانات المتوحشة التي يستحيل معها الاهتمام بزراعة الأرض."[2]، ويضيف نفس المؤرخ في نص آخر متحاملا على النوميديين: " إن النوميديين كانوا يفضلون السطو و اللصوصية دون توقف، ويتركون الأرض للزواحف والحيوانات المفترسة"[3].

أما بوليب فقد استعمل كلمة نوميديا (Nomidia) على كيان سياسي وعلى شعب معين[4]، والظاهر أنه استقى هذا المفهوم من الوثائق الرومانية الرسمية، أين ظهر فيها مدلول نوميديا ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد أثناء الحروب البونية.

لا شك أن حياة النوميديين كانت شبيهة بحياة بقية الأمم والشعوب في المسكن والملبس والمكسب، ولكنهم تَرَقَّوا وفق طبيعة النَّشوء والارتقاء، وتأثروا بمجاورة الإغريق ثم بمعاشرة الفينيقيين ثم فيما بعد بالرومان، لكن لا نستطيع أن نضع صورة عن الكيان السياسي للمملكة النوميدية في بداياتها الأولى، إلا في شكل تتقاسمه الصراعات بين تكتّلات قبلية، وكانت أشهر هذه التكتلات

---

[1] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص18.

[2] Strabon, XX, 17,1
[3] Ibid, II, 5,33.
[4] Polybe, III, 23, 2.

قبائل المازيسيل والماسيل، حيث كانت قبائل المازيسيل تتوضع في الغرب الجزائري الحالي، أما قبائل الماسيل فكانت مضاربها تشمل الشرق الجزائري وشمال تونس فيما عدا أراضي الدولة القرطاجية [1].

فالدولة النوميدية قد تشكلت في صورتها التاريخية من قبائل الماسيل والمازبسيل، ولم تكن لتلك القبيلتين حدود معلومة فيما بينها، بل كانت تتراوح بين المد والجزر، وحتى تكون دراستنا أشمل عن هذه الدولة النوميدية التي تم توحيدها فيما بعد فإننا سنجزئها إلى شطريها الغربي والشرقي، أي نتناول قبائل المازيسيل والماسيل كلا على حدى .

أ –مملكة نوميديا الغربية أو (المازيسيل):

المصادر التاريخية القديمة لم تشر للقبائل المازيسيلية إلا في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، فظهورها كقوة هامة في بلاد المغرب القديم يعود إلى التطورات التي عرفتها المنطقة في تلك الفترة، وهذا في ظل الصراع بين قرطاج وروما، أما تحديد المجال الجغرافي لمملكة المازيسيل فيصعب تثبيتها، إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار تمركز القبائل التي تتشكل منها.

تذكر فرحاتي أن لفظ "مازيسيل" أطلق على قبيلة استوطنت شمال إفريقيا منذ أقدم العصور، فالعثور على نقش في موريطانيا يرجع إلى اسم شخص Masasilen يؤكد فرضية تتطابق الأسماء الليبية القديمة للشكل المفرد[2].

عن بداية تأسيس المملكة فهو مبني على جملة من الافتراضات، فهي تعود إلى قبيلة عاشت في إقليم عرف فيما بعد بموريطانيا الطنجية، زالت نتيجة حروب مع قبائل الجدالة، فتنقلوا نحو الشرق واستقروا مابين حدود نهر الملوية غربا والامبساجة شرقا[3]، فشكلت بذلك هذه القبيلة الخلية الأم لهذه الشعوب التي زحفت نحو الغرب يقول جوليان[4]، والتي أشار إليها كل من بلين و بطليموس إلى أسماء قبائل المازيسيل خلال العهد الروماني في موريطانيا القيصرية[5].

---

[1] غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص 53.

[2] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 111.

[3] Gsell St., H.A.A.N, T., V, p 96.

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص95.

[5] Pline L'Ancien, *H. N*, T., V, 17.52. ; et Ptolémée, *Géographie*, IV, 2. 5.

تعود أولى الأخبار التي وصلتنا عن مملكة المازيسيل إلى حوالي 213 ق.م، حيث يذكر بوليب بأن القرطاجيين كانت تربطهم صداقة متينة مع ملكهم سيفاكس (Syphax) ،وأن المازسيليين كانوا يكوّنون جزءا كبيرا من الجيش القرطاجي في اسبانيا وبلاد المغرب القديم[1]، أما بلين فيذكر أن:" نهر الملوشة يفصل بين مملكة بوخوس و المازيسيل"، في حين تنتهي حدودها الشرقية عند رأس التريتون، حيث قدر طول الشريط المازيسيلي حوالي 6000 ستاديوم[2]، من رأس تريتون شرقا حتى رأس ميتاغونيوم غربا، أما حدودها الجنوبية فرغم سكوت المصادر عن تثبيتها فهي تنتهي عند قبائل الجيتول، أما تيت ليف فيتفق مع ما جاء به بلين فيذكر أنه توجد بلاد المازيسيل بجوار قبائل تقع في مواجهة منطقة قرطاجنة باسبانيا[3]، هذا فضلا على أن حدود الممالك النوميدية كانت تتحكم فيها عامل القوة و الضعف، والظروف السياسية السائدة.

ووفقا لما يذكره المؤرخ والباحث الفرنسي جابريال كامبس (G. Camps) عن هذه القبائل، أنها كانت من حيث الامتداد الجغرافي تتوضع في المنطقة الممتدة ما بين قبائل الماسيل شرقا والقبائل المورية غربا بحيث تغطي مساحتها كامل الوسط الجزائري، وتبقى حدودها الشرقية والغربية غير واضحة [4].

ومن هذا المنطلق يتساءل كامبس هل كان انتقال هذه القبيلة من الغرب إلى الشرق بهدف استغلالي[5]، وإذا كان ذلك صحيحا ألم تشر المصادر القديمة في وصفها لمازيسيليا بأنها كانت منطقة مزدهرة ومستثمرة بصفة أحسن، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ سترابون بأن البعض من المازسيليين يقطنون أرضًا تنتج غلالها مرتين في السنة، حيث يقول[6]:" البعض منهم يقطنون أراضي تغل مرتين في العام، في الصيف والربيع وأن طول ساق نبات القمح يصل إلى مترين و 20سم، و سمكه كان يبلغ نحو سمك الأصبع الصغير، وإنتاج الحبة يصل إلى 240 للحبة الواحدة، ولا يبذرون في الربيع

---

[1] Polybe, III, 32.15.
[2] Pline A., V, 19.
[3] Tite Live,, XVII, 9
[4] Camps G., Op - cit, p165.
[5] Ibid, pp. 166-167
[6] Strabon, XVII, 3, 9

حيث كانوا يكتفون بكشط الأرض بمكنسة من الغصن الشائك، والحبوب التي تقع على الأرض خلال الحصاد تكفي لإعطاء محصول كامل في الصيف".

لقد ذكر تيت ليف " سيرتا على أنها عاصمة لسيفاقس سنة 203 ق،م"[1]، حيث يتساءل كامبس عن تاريخ ضم سيرتا لمملكة مازيسيليا، هل كان أثناء النزاع الذي كان بين الأمراء الماسيل واستغل الظرف لصالحه-سيفاكس- داعما اعتلاء كابوسا عرش الماسيل، أم أنها كانت منذ وقت سابق جزءا من الأقاليم المازيسيلية [2]؟، نلاحظ أن قزال يؤيد الاحتمال الأخير استنادا إلى إشارة تيت ليف.

أما كامبس فيرفض ذلك باعتبار سيرتا خارج أقاليم المازيسيل إلا أن تم ضمها، وذلك لعدة اعتبارات منها التحولات المحسوسة في التقاليد الجنائزية ومظاهر الدفن ظهرت غربي سيرتا، بالإضافة إلى أن الروابط القوية كانت موجودة دائما بين سيرتا وروسيكادا، واللتان شكلتا في وقت لاحق مع ميلاف وشولو الكنفدرالية السرتية، والتي يؤكد أنها ليست من صنع الرومان[3]، كما يضيف محمد عقون أن القل تقع شرقي رأس بوقرعون، وكانت الفرق المصاحبة للاكومازن قد وجدت الأمان خلال مطاردة ماسينيسا له في روسيكادا، وقد استولى ماسينيسا على روسيكادا دون أن يتدخل سيفاقس، ولعل موقعها إلى الشرق عن القل دليل على تبعيتها للمملكة الماسيلية[4].

وتجدر الإشارة إلى أن شخصية الملك سيفاكس الذي حكم نوميديا الغربية، كان يتصف بالرزانة وتغليب العقل على العاطفـــة في كثير من الأحيان، وقد ورد اسمـــه في النصوص القديمة عند كل من تيت ليف و بوليب[5] كما سعى هذا الملك إلى تقليد المؤسسات الدستورية القرطاجية لتطبيقه في مملكته، إضافة إلى إضفاء الطابع الهلينستي من حيث المظهر على أمور الحياة اليومية[6].

1 Tite Live,, XVII, 10-11.
2 Gsell St., Op – cit, p 97-98.
3 Camps G., Op - cit , pp. 166-168.
4 محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 178.
5 Tite Live, XXXVIII, 18, 7 ; Polybe, XI, 24
6 Dahmani S., *Les Royaumes Numides, (L'Algérie au temps des Royaumes Numides Ve siècle av. J-C – 1er siècle AP. J-C)*, Smogy éditions d' Art, Paris, 2003. P124.

كما قام بتطبيق نظام اللامركزية من حيث التنظيم الإداري في مملكته بعد توحيد النوميديتين وطرد مسينيسا لفترة زمنية، حيث جعل العاصمتين سيقا وسيرتا تسيران من قبل موظفين ساميين محليين يعينهم الملك بالإضافة إلى مجالس شبه قبلية ورجال دين، ثم جباة ضرائب وضباط في الجيش ويشترط فيهم أن يكونوا موالين للملك[1].

ب **مملكة نوميديا الشرقية (الماسيل– Massyle)**: لم تشر المصادر التاريخية بوضوح للقبائل الماسيلية، أما فيما يخص الامتداد الجغرافي لمملكة الماسيل، فإنه يصعب تحديد أراضيها هي الأخرى، ذلك أن الإشارة إليها في الكتابات القديمة قليلة، كما أن النقوش والعملة لم تتناول المجال الجغرافي الذي كانت تتردد عليه تلك القبائل، وأن أوّل ذكر لهذه المملكة لا يتجاوز نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد غير أن بلاد الماسيل كانت تشمل شمال شرقي الجزائر وشمال تونس باستثناء أملاك الدولة القرطاجية، وأن الحدود الأولى بالنسبة إليهم لم تضبط أو تصبح مراقبة، إلا بعد تكوين النواة الأولى للمملكة الماسيلية التي مرت بالدور القبلي ثم انتقلت بعد ذلك إلى التنظيم السياسي في شكله الملكي [2].

كانت أولى الأخبار التي وصلتنا عن هذه المملكة هو ما نقله إلينا المؤرخ الإغريقي ديودور الصقلي، وذلك عندما غزا ملك سيراقوزة أغاثوكليس (Agathocles) لبلاد المغرب القديم ومحاولته تدمير قرطاجة، كان قد تحالف في بداية الأمر مع ملك لوبي يدعى ايليماس (Ailymas) الذي كانت عاصمته دوقة[3].

يذكر كامبس أن الأسرة الملكية الماسيلية كانت موجودة أثناء حملة أغاثوكليس – 310 ق،م- ذلك أن الملك ايليماس كان يمارس سلطته على هذه المنطقة –دوقة- و يضيف أنه وجد ملك اسمه ماسيتول منافس لماسينيسا و كابوسا، لا ينتمي إلى سلسلة النسب التي ينتميان إليها، ويحتمل حسب كامبس أنه يرجع إلى سلف مشترك لهم سابق بأجيال عديدة[4].

---

[1] Tite Live, XXVIII, 17.

[2] Decret F., Fantar M., op - cit, p99.

[3] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 18.

[4] Camps G., Op - cit, p215.

في حين تحدد فرحاتي حسب نص يوليوس هونريوس موضع الماسيل بقرب من أعمدة هرقل[1] ، أما بلين فيذكرهم ضمن القبائل الإفريقية التي تنتشر في الامبساجة Ampsaga حتى سرت Syrtes، ملتزما الترتيب الجغرافي لمواقعها، بداية بقبائل النتابوتس، القفسيتاني، الموزولامي، السوبوربوراس، الماسيلي، ثم النيكيفاس[2].

استناد إلى تمركز القبائل المشكلة للماسيل يتضح أنها تشمل الجهة الشرقية من شمال شرق الجزائر، وغرب تونس باستثناء أملاك الدولة القرطاجية، غير أن الحدود لم تضبط بدقة، إذ يذكر كامبس أن ثراء المنطقة السرتية بالمعالم الميغاليتية يسمح بالاعتقاد إلى حد ما بوجود تعمير بشري بجوار جبل فورتاس، سيلا، أين تم العثور على معالم ضخمة تضم منحوتات لزعماء نوميديين، وبذلك فالقوة الماسيلية نشأت في سيرتا [3].

ومن جهته تساءل قزال عن حقيقة أن يكون الاوراس هو مهد الاسرة الماسيلية – مشيرا إلى ضريح المدراسن– وأنه موطن القبائل النوميدية الجيتولية وقاعدة خلفية للمقاومة على امتداد التاريخ القديم، وأنه بلد الموزولام وزعيمهم تاكفاريناس، وما إقامة معسكر لامبيس خلال الفترة الرومانية في تلك المنطقة إلا لتمركز مقاومة شرسة فيها استلزمت إقامة مثل ذلك المعسكر[4].

كما ورد في النص المزدوج– البونيقي جد ماسينيسا وهو يحمل لقب شوفيت على مدينة دوقة، لكن بعض الدراسات أظهرت دوقة بنظام نوميدي لا بونيقي، والذي يقوم على أساس سلطة القضاة الحكام لا سلطة الملك، والبعض الآخر يرى أن وجود ضريح الخروب بنواحي سيرتا، وهي مدينة سيفاقس وماسينيسا معا، بالإضافة إلى وجود ضريح المدراسن بنواحي الأوراس يحتمل عودة أصل هذه العائلة إلى هذه المنطقة[5].

---

[1] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 75.

[2] Pline l'ancien, V, 30, 31.
[3] Camps G., Op - cit, pp. 176-177.
[4] Gsell S., *H.A.A.N*, T.,V, p100.
[5] Gsell S., H.A.A.N, T., V, p 178.

وكذلك ذكرت مدينة توبوريسكو نوميداي مابين مدينة هيبون وتيفيست، ولكن ليس دليل مقنعا على أنها الموطن الأم للماسيل[1]، حيث يذكر كامبس أن هذه المدينة الفخورة بأصولها النوميدية محل تنويه من العائلة الحاكمة لا تكفي بمجرد إهداء بسيط للملك يمبسال[2]، أما النقوش فتجعل موقع فبائل الناتابوتاس غرب موقع قبائل توبوريسكو نوميداي، وبذلك تقع قبائل الماسيلي مابين السوبوربوراس وموقع النيكيفاس، وللإشارة تقع السوبوربوراس غرب سيرتا والنيكيفاس شرقها، وتذكر فرحاتي أن وجود مدينة المسيلة في منطقة الحضنة يثير بعض الاهتمام[3].

بناء على ما سبق، فقد اتخذ رأس تريتون كمعلم لنهاية الحدود الشرقية لقبائل المازيسيل ويعتبر الموقع نفسه معلما لبداية الحدود الغربية لقبائل الماسيل، ومن ثمة، فقبائل الماسيل تنحصر مابين أملاك الدولة القرطاجية شرقا، وقبائل المازيسيل غربا، وأراضي الجيتول جنوبا، وقد حدد ديزانج (J.Desanges) مناطق تواجد قبائل الماسيل في سيرتا وما حولها شرقا، وصولا إلى خليج السرت بليبيا الحالية [4]، كما يشير نص تيجيسيس (Tigisis) الذي يعود إلى منتصف القرن الأول ميلادي إلى أن أراضي السابابار، الريجياني، النسيف تقع في المناطق المحيطة بسيرتا [5].

ويضيف بطليموس إلى القبائل الواردة في نص تيجيسيس قبيلتا الهاليارديس (Haliardis) والسيتافيوبيدوس (Sittafioupedus) التين كانتا مستقرتين في سهل سطيف(Setifis) الذي يمتد من جبال البابور إلى مرتفعات باتنة، وقد وجدت تلك القبائل خلال الفترة البيزنطية تستقر بالقرب من نقاوس(Nici vibus) التي يبدوا أنها أخذت من قبائل النسيف التي كانت تستقر في المنطقة[6].

يذكر كامبس أن مملكة المازيسيل لم تستطع الاستمرار بعد فشل السياسة الإفريقية التي انتهجها سيفاكس، عكس الماسيل التي خرجت معافاة من المحنة التي ألمت بها – يقصد بذلك ضمها

---

[1] Lacroix M.F., *L'Afrique ancienne*, **Rer. Afr**., N°.14, 1870, pp. 12-43

[2] Camps G., Massinissa..., p221.

[3] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص ص 76–78.

[4] Desanges J., *Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nile dans l'antiquité classique*, Dakar, 1962, p. 237.

[5] Lancel S., *Suburbures et Nicives*, *une inscription de Tigisis*, in libyca, archéologie-épigraphie, T.III, 1955, pp. 289- 298.

[6] Camps G., Op – cit, p 181.

المازيسيل مابين 205– 203 ق،م فيتساءل عن أسباب هذا النجاح هل يعود إلى شخصية مسينيسا القوية، أو إلى المساعدة الرومانية ؟ ويضيف أن الماسيل في فترات سابقة لم يكن لهم قوة وروابط متينة تسمح لهم بمقاومة جيرانهم القرطاجيين والمازسيليين بشيء من الثقة في تحقيق النصر[1]؟.

---

1 Camps G., Op – cit, pp 222-223.

الفصل الأول: العلاقات النوميدية – الرومانية السابقة للاحتلال الروماني لبلاد المغرب.

المبحث الأول : في فترة حكم سيفاكس.

1 سيفاكس يوحد نوميديا.

2 الملك يتحالف مع قرطاج ضد روما.

المبحث الثاني: في فترة حكم مسينيسا.

1 مسينيسا يتحالف مع روما.

2 مسينيسا يستعيد العرش .

3 إسهامات مسينيسا.

4 علاقات نوميديا الخارجية في فترة مسينيسا.

4-1- مع روما.

4-2- مع بلاد الإغريق.

4-3- مع شبه الجزيرة الإيبيرية.

المبحث الثالث : في فترة حكم مكيبسا.

1 تقسم السلطة .

2 اسهامات مكيبسا.

3 علاقته بروما.

الفصل الأول : *العلاقات النوميدية – الرومانية السابقة للاحتلال الروماني لبلاد المغرب.*

إن التقارب والاحتكاك بين الدول هو من أسس التقدم والتطور، فرغم وجود اختلاف في المبادئ والقيم الاجتماعية، والرؤى والأهداف السياسية التي تقوم عليها كل دولة، ومهما كانت قوة وضعف أية دولة، فالتقارب هو مفتاح مجالات الاتصال والتحاور على ما يخدم مصالح كل دولة، ولهذا فإنه منذ القديم أُنْشِأت جسور العلاقات الخارجية، وفتح المجال للتعرف على الأخر وإمكانياته، وتبادل المصالح في مختلف المجالات، وهذا ما عرفته الفترة القديمة من تاريخ المغرب القديم، وهي الفترة التي ظهرت فيها الممالك النوميدية، وأسست سياستها الخارجية في ظروف خاصة، ميزتها الصراع بين قوتين في حوض المتوسط، وهما قرطاجة وروما، ولقد عمد الملوك المحليين على اتباع سياسة دبلوماسية ساهمت في تطبيع سياستهم وإدارة علاقتهم الخارجية مع القوتين المتصارعتين، واللتان كانتا تهددان سلامة واستقرار ممالكهم.

أولا :فترة حكم الملك سيفاكس :

أ **سيفاكس يوحد نوميديا:** كان من نتائج الحرب البونية الأولى (264ق،م-241ق،م) خروج قرطاجة منهزمة أمام الرومان، حيث وجهت أنظارها إلى استمالة المملكة النوميدية الغربية، عن طريق تحسين علاقتها بها، بحكم موقع المملكة من شبه الجزيرة الإيبيرية، التي كانت تعسكر فيها استعدادا للحرب البونية الثانية و ضمان إمدادها من أقرب الطرق، وهذه العملية لا تتأتي إلا عبر مملكة سيفاكس، الممتدة من سيرتا إلى وادي الملوية(1)، حيث أن أول الأخبار التي تشير إلى الملك سيفاكس تعود إلى حوالي 219 ق،م-218 ق،م، والتي تسجل سيفاكس كحليف لحنبعل(2)، هذا الأخير جند حوالي 4000 مقاتل مازسيلي من المدن الميتاغونية(*)، ويشير بوليب إلى أن سيفاكس

[1] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة، ص 20.

[2] Polybe, XVI, 2, 3-6.

* الميتاغونيس: تشمل منطقة رأس التريتون القديم برأس بوقرعون، وهي موجودة بشبه جزيرة القل، تعرف عند المؤرخين الإغريق تحت اسم الميتاغونيتس (Metagonitis terre) و يصفها سترابون بأنها تتمثل في المناطق الجرداء الجافة الواقعة بالقرب من وادي الملوية (Strabon, XVIII)، أما بطليموس فيطلق ذلك على الشريط الساحلي الممتد من رأس بوقرعون إلى رأس سبارتل بالمغرب الأقصى (Ptolémée, Géo, VI ,p 583).

كانت تربطه علاقة متينة مع قرطاجة حوالي سنة 213 ق،م حيث كانت جيوش الملك تحارب إلى جانب القرطاجيين في اسبانيا[1]، كما تشير المصادر إلى أن حنبعل عمد إلى التخلي لأخيه في اسبانيا عن 1800 ماسيلي ومازسيلي[2]، إلا أن تيت ليف يذكر أن العلاقة لم تستمر طويلا حيث نشب صراع بين الطرفين، بسبب مطالبة سيفاكس بأراضي بونيقية كانت تفصله عنها مملكة غايا[3]، أما فنطر فيذكر أن سيفاكس كان يضغط على قرطاجة للتخلي عن الموانئ والثغور الساحلية التي كانت تحت سلطتهم[4]، والتي كانت تمثل لها قواعد عسكرية تتمون منها من أجل تغطية نفقات الحرب التي تدور رحاها في اسبانيا مع الرومان، أما الجانب الروماني فقد استغل الخلاف الموجود بين الممالك النوميديـة وقرطاجـة، وذلك بإقامة جسر علاقات بين سكيبيو والملك سيفاكس .

وبما أن الأمور لم تكن على ما يرام بين مملكتي الماسيل والمازيسيل[*]، فقد استغل غايا الفرصة بالتقرب من قرطاجة، من أجل حل الخلاف القائم حول الحدود الفاصلة بينهما، بحيث تنازلت عن الأراضي التي شكلت نقطة خلاف بينهما، كما تحالف معها لتجسيد سياسة موحدة[5]، ومنها الدفاع المشترك، بما أن سيفاكس كان يهدده، وتجسد هذا التقارب بالتدخل القرطاجي ضد سيفاكس سنة 213 ق،م، وإمداد غايا القرطاجيين عسكريا باسبانيا ضد الرومان[6] .

تذكر فرحاتي – و نحن نشكك في هذا الرقم- أن سيفاكس انهزم في هذه الحرب وفقد 30 ألف جندي[7] ، وقزال يذكر نفس الرقم[8]، ولجأ بعد ذلك إلى موريطانيا لتجميع قواه، وهو في طريقه إلى جنوب إسبانيا، ثم فاجأه ماسنيسا الذي تولى قيادة جيوش أبيه، فألحق به هزيمة دون

1 Polybe, Liv, III, 33, 15.
2 Tite live, XXI, 23.3.
3 Polybe , XXIV, 48-49.
4 Decret F., Fantar M., op - cit, p 89.

* أنظر الملحق رقم 01 (خريطة) ص 222.
5 فرحاتي فتيحة، نوميديا...، ص 115.

6 Polybe, XXIV,23 .14.

7 فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 116.

8 Gsell S., H.A.A.N, T.,V, p 180.

تدخل قرطاج[1]، أما شنيتي فيذكر "أن أول اصطدام له مع الأمير مسنيسا كان باسبانيا، عندما كان هذا الأخير يقاتل إلى جانب القرطاجيين على رأس الفرسان النوميد، وكان أبوه غايـا قد أوفده إلى هناك لمساعدة القرطاجيين منذ عام 212ق،م[2].

لقد هيأت هذه الأحداث فرصة ثمينة لروما لأن تتدخل و تسيطر على الموقف وتستغل تلك الفرصة عندما كلفت قائد جيشها في اسبانيا بإجراء اتصالات بسيفاكس، للتحالف معه ضد غايا وقرطاجة[3]، ففي 213 ق،م أرسل سكيبيو من اسبانيا بثلاثة قناصل، يدعونه إلى الاستمرار في عدائه تجاه قرطاجة، وأن مجلس الشيوخ سوف يعترفون له بالفضل الجزيل[4]، لكن الرومان لم يكونوا مطمئنين للملك سيفاكس، فاشترطوا عليه بقاء الممثل الروماني عنده في صورة سفير لهم في مملكته[5].

يذكر أبيان أن السلام قد أعيد بين سيفاكس وقرطاجة سنة 212 ق،م قبيل موت الإخوة سكيبيو[6]، لكن تيت ليف يذكر أنه 210 ق،م أرسل سيفاكس سفراء إلى روما ليعيدوا ذكرى العلاقات الودية بينه وبين روما، وأكد للرومان أنه ليس لقرطاجة عدو غاشم، ولا لروما حليف أكيد[7]، وإن صحت هذه المقولة نستنتج أن سيفاكس لا يهدف إلى التدخل كثيرا في الصراع الروماني القرطاجي إلا بضمانات أكثر ومصالح أكثر، لأنه يدرك عواقب ذلك على المنطقة ككل، وعلى مملكته بصفة خاصة، وفي نفس الوقت لم يغلق أبواب الاتصالات والتحالف مع الرومان.

---

1 فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 117.

2 شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة، ص 23.

3 نفسه.

4 Dureau de lamalle, Lacrois Louis, *L'Afrique Ancienne, Numidie et Mauritanie*, T.,II, Edi., Bouslama, Tunis, (S,D) , p 6.

5 شنيتي محمد البشير ، المرجع السابق، ص 23.

6 Appien A., *Histoire des guerres civiles de la république romaine*, Tra par Combes dounous, imp. des frères Mama, paris, 1808, Lib , 10.

7 Tite live , XXVII, 17, 7 ,8.

يذكر شنيتي نقلا عن تيت ليت أن وفد سيفاكس لقي استقبالا حسنا من قبل مجلس الشيوخ الروماني، الذي بعث مع الوفد هدايا إلى الملك[1] تمثلت في حلة رومانية، لباس أرجواني، كرسي من العاج، كأس من الذهب، وبعض الهدايا الأخرى التي كان البعض منها موجها إلى شخصيات مازيسيلية كانت تعمل في حاشية الملك[2].

مثلت هذه الزيارات المتبادلة بين روما وسيفاكس أحد مظاهر السيادة النوميدية على أراضيها، حيث يذكر قزال أن سكيبيو بعث فيما بعد ليليوس إلى الملك النوميدي الغربي للتحالف معه، حيث تظاهر سيفاكس بالاحترام لكنه أعلن عن رغبته في التحدث مع سكيبيو شخصيا[3]، وكان له ذلك في سنة 206ق،م، بعد أن انتقل هذا الأخير إلى مدينة سيغا[*] مقر إقامة سفاقس، وجمع في لقاء بينه وبين القائد القرطاجي صدر–بعل بن جيسكون الذي قدم إلى سيغا في نفس الفترة[4]، أما قزال فيذكر أن سكيبيو وليليوس اتجه إلى سيغا استجابة لطلب سيفاقس على متن سفينتين خماسيتين Quinque Remes، وفي نفس الوقت الذي اقتربوا فيه للميناء رست بمحض الصدفة سبع سفن ثلاثية بونيقية Tri Remes، و كان صدر–بعل عائد من قادس، وبعد رؤيته للسفينتين الرومانيتين، استعدوا لمهاجمتهما، لكن الرياح القوية التي كانت تعصف بشدة، ساعدت الرومان على سرعة الإرساء داخل المرفأ، وأصبحوا تحت حماية سيفاكس، ولم يستطع القرطاجيين تشتيتهم، فتقدم صدر–بعل و سكيبيو إلى سفاقس[5].

---

[1] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص24 .

[2] Decret F., Fantar M., op -cit, p 90.

[3] Gsell S., *H.A.A.N*, Liv. V, p 185.

[*] سيغا: أهم وأقدم مدينة في المملكة المازيسيلية، ذكرتها النصوص كعاصمة أولى لسفاكس، تقع على الضفة الشمالية لنهر التافنة على بعد 90 كلم شرق وادي الملوية، و تبعد بمسافة 5 كلم عن الساحل، و تشرف على خليج جزيرة رشقون التي أنشأ بها الفينيقيون محطة تجارية خلال القرن السابع قبل الميلاد، ميناؤها يقع إلى الجنوب، وكان ضمن الممتلكات القرطاجية، ورد ذكرها في رحلة سيلاكس عند وصفه للمراكز البونيقية الواقعة على الساحل الشمالي، إذ يقول:"..سيغا هي مدينة على النهر، مسبوقة بجزيرة أكرة..".(فرحاتي، المرجع السابق، ص ص 120–121.

كما سمحت أعمال الحفر والتنقيب التي أجراها الباحث الفرنسي ب، غريمال (P. Garimal) سنة 1936 و غيره ممن جلبت المدينة اهتمامهم، من الكشف على العديد من اللقى الأثرية التي تعود إلى فترات متعاقبة : الليبية ، الفينيقية، النوميدية، الرومانية، والمتمثلة في عدة أواني فخارية و أعمدة وقنوات سقي و خزان مياه، كما عثر على قطع نقدية تعود إلى حكم الملك سيفاقس وابنه فرمينا. أنظر: Garimal p., *les fouilles de siga*, **M.E.F.R**, paris ,1937, pp 108-141.

[4] Camps G., Op -cit, pp .169-170.

[5] Gsell S., op - cit, pp 185-186

يصف كامبس ذلك بأنه حدث فريد من نوعه في سجل الأحداث، قائد روماني يترك قيادته ومقاطعته لعدة أيام ويعبر إلى المتوسط ليلتقي وجها إلى وجه مع ملك إفريقي، هذا القائد ذاته استدعى ماسنيسا عنده كتابع وأرغمه أن يترك صوفونيزبة تتجرع الكأس اللعين، ومع إدراك علو شخصية سيفاكس أظهرت روما حلمها في التحالف معه[1]، ويضيف –كامبس- بأنه لقاء قمة، برز فيها العاهل النوميدي سيفاكس كوسيط سلام[2]، لكنه فشل في إيجاد حل للمشكل المطروح لرفض سكيبيو المقترح، لأنه غير مخول له ذلك، باعتبار أن مجلس الشيوخ هو الذي يملك صلاحية تنفيذ القرار[3].

لقد حاول سيفاكس في هذا المؤتمر أن يدفع بالطرفين الروماني والقرطاجي للتحاور، واقترح احتفاظ كل طرف بأملاكه في قارته، وهذا دليل على أن سيفاكس في سياسته العسكرية كان ينبذ الإصتدام المباشر واستعمال القوة، أما صدر-بعل فقد صرح بعد أيام من هذا اللقاء بأن " هذا الرجل – سكيبيو- ظهر له غامضا ومتحججا في الكلام وفي الحرب"[4].

وبذلك أدرك سيفاقس خطورة الوضع، وكذا القوة الكبيرة والخبرة الجيدة التي يمتاز بها الجيش الروماني فحاول استغلال التقارب الروماني من أجل كسب الخبرة العسكرية لقواته، وتدريبها وفق الطريقة الرومانية[5]، لتحقيق طموحاته في تكوين قوة تسمح له بأن يتمتع بمكانة هامة في الحوض المتوسط، واستغل سيفاكس أول فرصة أتيحت له بعد زيارة القادة العسكريين الرومان لمملكته، وطلب منهم بقاء أحدهم لتكوين جيشه، فاستطاع إقناع القائد كرنليوس ستتريوس بالبقاء، وبعد مدة قصيرة تم تكوين جيش منظم من المشاة على التقنيات الرومانية حسب تيت ليف[6].

---

[1] Camps G., Op -cit, p.170.

[2] كامبس غبريال، من ضفاف البحر الأبيض المتوسط الى أطراف الصحراء – البربر- تر عبد الرزاق الحليوى، ط1 ، منشورات البحر الأبيض المتوسط تونس، ب- ت، ص 20 .

[3] Tite live, XXV, 18.12.; Decret F., Fantar M., op -cit, p90.

[4] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 70 .

[5] Tite live, XXIX, 48-49. ; Dureau de lamalle, Lacrois Louis, op - cit, p10.

[6] Tite live, XXVII, 17, 7 ,8.

إن شروط السلام التي اقترحها سيفاكس لم تلق ترحيبا من طرف الرومان، باعتبار أن موازين القوى -إن صح المصطلح- في هذه الفترة كانت لصالحهم، ودليل ذلك قبول قرطاج لهذا الاقتراح بعدما تيقنوا من تدهور قواتهم[1]، وحسب ما أورده قـزال فإن تعنت الرومـان ناجم من رغبتهم في تحقيق انتصار كبير والتعاقد على قرطاج بمعاهدة تنهي على أملها في الانتقام[2].

أما نوميديا الشرقية التي وقفت إلى جانب قرطاج في فترة حكم غايا، فقد قاد ابنه مسنيسا قوات معتبرة في اسبانيا ما بين 212 ق،م إلى 206 ق،م[3]، كما أرسل مسنيسا قوات أخرى إلى صقلية، و عددهم وصل إلى 3000 جندي في 211 ق،م[4] ، كما تواصلت الإمدادات، ففي 210 ق،م كان 500 نوميدي على استعداد للانضمام إلى ماسنيسا في اسبانيا[5]، كما يذكر لاكروا بأن ماسنيسا ربما أراد أن يقود القوات الإفريقية مع صدر-بعل إلى الأراضي الايطالية، لكن المشروع فشل[6]، وكان بالنسبة لجمهورية قرطاجة بمثابة حليف قوي[7]، لكن بعد وفاة غايا وحدوث مشاكل في قضية الوريث الشرعي للحكم[8]، وتدخل قرطاج، ساهمت بشكل كبير في هذه المشاكل، وفي ذلك الوقت كان ماسنيسا موجودا باسبانيا، ولما علم بذلك عاد إلى ماسيليا بعد حماية من ملك موريطانيا باغا، هذا الأخير الذي سخر لذلك حوالي 4000 رجل[9] لمساعدته في اجتياز مملكة سيفاكس، وعند وصوله إلى نوميديا الشرقية كان باستقباله 500 نوميدي[10] ورأى أنه عدد كافي لمواجهة الوضع، فشكر الفرسان المور الذين رافقوه وطلب منهم العودة، وكان لاكومازن حينئذ قد انطلق من ثابسوس للالتحاق بسيفاكس في سيرتا، وفي طريقه وعلى حين غرة هاجم ماسينيسا

---

1 Polybe, XIV, 1.9 ; XXX, 3.5.
2 Gsell S., H.A.A.N, T.,III , p 223.
3 Appien, L16, Lib 10.
4 Tite live, XXIX, 29.4.
5 Ibid, XXV, 5.11.
6 Dureau de lamalle, Lacrois Louis, op -cit, p11.
7 Kort Benali., *Syphax et Massinissa contre L'impérialismes romains et carthaginois*, E. N. liv., Alger, 1984, p21.
8 فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 64 .
9 Tite live , XXIX, 30.1-4.
10 حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول(203-46ق،م) دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ب-ت ، ص 18.

خصمه، فشتت جيش لاكومازن الذي لم يكن مستعدا، بعضه أسرع للدخول إلى المدينة والبعض الاخر استسلم[1]، هذا وقد كسب لاكومازن إلى جانبه كل من قرطاج سيفاكس[2]، وكان كافيا لمسينيسا للرفع من معنويات جنده[3] وأقبل عليه النومديين من كل صوب[4].

لقد التقى الطرفان من جديد وبإمكانيات أكبر بعد مساعدة كل من سيفاكس ومازيتول لتصبح قوات لاكومــازن حسب تيت ليف تقدر ب 15 ألف مشاة و10 آلاف فرسان[5]، لكن مهارة مسينيسا وخبرته من خلال حروبه في اسبانيا استطاع أن يتفوق على الخصم، وتمكن من استرجاع مملكته لأول مرة، وحسم الموقف له عسكريا ودبلوماسيا بالتصالح مع لاكومازن بعد ذلك[6].

حسب ما يذكر فنطر وحارش فان سيفاكس لم يعر اهتمام كبير لهذا النصر، فلا فرق في من يتولى عرش الماسيل[7]، أما قرطاجة فكانت تدرك ميزة ماسينيسا وطموحه، فتدخلت لتحذره من مسينيسا لأنه لن يكتفي بأرض قرطاجة، لكن سوف يشكل خطرا على سيفاكس أيضا، لذلك أقنعته بضرورة الاستيلاء على أراضي الماسيل، التي كان يتنازع من أجلها غايا[8]، رغم الدور الذي لعبه مسينيسا في اسبانيا ضد الرومان من 211 ق،م إلى ربيع 206 ق،م [9]، فأوكل سيفاكس أحد قادة جيشه وهو بوكار لملاحقة ماسينيسا وزوده بفيالق من ألفين من الفرسان وأربعة آلاف من المشاة، واستطاع تشتيت قوات مسينيسـا في معركة جبل بيلوس سنة 205 ق،م، ثم في مدينة كليبيا Clupea[10].

---

1 عقون محمد العربي، "ماسينيسا من استعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء الوحدة النوميدية"، **مجلة الجزائر النوميدية تاريخ و حضارة**، قسنطينة، 2008، ص 27.

2 Kort Benali, op - cit, p31.

3 Tite live, XXIX, 30.6-7.

4 Ibid, XXIX, 30.6-7.

5 Ibid, XXIX, 30.9.

6 حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 18.

7 Tite live, XXIX, 30.9. ; فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 53

8 Gsell S., H.A.A.N, T., III , p 180.

9 Appien, Lib16, Lib 10.

10 شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 104.

وفي مرحلة لاحقة استطاع سيفاكس وابنه فرمينا أن يتتبع أثر ماسينيسا بعد عودته للنشاط، وأن يقضي على جنوده، فاضطر إلى الفرار ثانية حتى أقصى شرق المملكة، بالتحديد إلى منطقة السرت[1]، ومن هناك كان مسينيسا يقوم بغارات على الأراضي القرطاجية، والتي طالبت من سيفاكس وضع حد لهذه الأعمال، لأنها كانت منشغلة بصراعها مع الرومان.

استطاع سيفاكس بعد سيطرته على مملكة الماسيل وبمساعدة من قرطاجة، طرد مسنيسا إلى أقصى السرت شرقا، وتوحيد نوميديا بشقيها الشرقي والغربي، واتخاذ كل من سيرتا وسيغا كعاصمتين لنوميديا[2] ومن جهته يتساءل كامبس عن تاريخ ضم سيرتا، هل تم في هذه السنة– 205 ق،م –، أم كانت جزءا من الأقاليم المازيسيلية منذ وقت سابق، قزال يؤيد الاحتمال الأخير لأن تيت ليف ذكر سيرتا كعاصمة لسيفاكس[3]، لكن ذلك تم في سنة 203 ق،م حسب قول كامبس، وبذلك تمتع بسلطة كبيرة، نظرا لقوة وغني مملكته، كما عملت قرطاج على معاملته بالكثير من اللباقة، بما أنها كانت بحاجة إليه، وكذلك ظهور ماسينيسا الذي كانت طموحاته كبيرة، ويشكل خطرا عليهم[4]، هذا الأخير يذكر قزال أن قرطاجة لا تحبذ أن يصبح هذا الأمير ملك[5].

[1] Gsell S., *H.A.A.N*, T., V, p 193.
[2] Camps G., *Massinissa*..., p 205.
[3] Tite live, XXXVII, 11.8 ;
[4] Camps G., Op - cit, p 206.
[5] Gsell S., op - cit, p 187.

ثانيا: سيفاكس يتحالف مع قرطاجة:

لقد لعب سيفاقس دور الوسيط في محاولة التوفيق بين الرومـان والقرطاجيين، وبما أنه لم يفلح في ذلك، فضل في الأول أن يبقى على الحياد، لأن قرطاج أيضا تعتبر أجنبية على الأراضي الإفريقية، لكن رغم هذا نجد سيفاكس يستقبل صدر بعل بعد أيام[1].

في هذا اللقاء الثاني الذي جمعه بصدربعل بن جيسكون لدراسة نتائج لقاء سيغا سنة 206ق،م[2] والصراع الدائر بين روما و قرطاج، و بداية تحركات ماسينيسا بعد وفاة والده غايا سنة 206 ق،م، محاولا الوصول إلى الحكم، ومن أجل ذلك بدأ يقترب من الرومان، والتزم فيه سيفاكس بالدفاع المشترك مع قرطاجة في حالة ما إذا نزل الرومان في إفريقيا، وتم إمضاء معاهدة في هذا الشأن[3].

أمام تلك المعطيات بدأت قرطاج تتقرب أكثر من سيفاكس، و كتكريس لهذا التحالف قرر صدر-بعل تزويج ابنته صوفونيزبة[*] للملك سيفاقس[4]، والتي كانت من قبل خطيبة الأمير ماسينيسا[5]، وقد رأى بعض المؤرخين أن الزواج كان سياسي أكثر منه عاطفي[6]، يذكر شنيتي أنه من غير المستبعد أن تكون تلك المصاهرة القرطاجية –النوميدية عملا سياسيا، سعت قرطاج من ورائه إلى النجاح فيما فشلت فيه من قبل، وهو محالفة الملكين النوميديين معا، وتوحيد المنطقة المغربية في جبهة سياسية واحدة ضد الرومان، لكن النتيجة فشلت، إذ أن المصاهرة السياسية أثارت مشاعر

---

[1] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 70.

[2] Gsell S., H.A.A.N, T.,III , p 185.

[3] Decret F., Fantar M., op -cit, p 94.

[*] صوفونيزبة: ابنة القائد القرطاجي صدر-بعل بن جيسكون، شاركت زوجها العاهل النوميدي سيفاقس، فأعنته في تسيير مملكته، وقد اهتم المؤرخون الأجانب بزواجها بالملك سيفاقس، وجعلوه أحد أسباب الصراع بينه وبين الملك ماسينيسا، وتجريد الملكين من مسؤوليتهما كممثلين لمملكتين كانتا تتصارعان على الحدود بينهما و السيادة على بلاد المغرب القديم. وقد وصفها تيت ليف بسحر الجمال، وقوة الشخصية، ونباهة العقل. Tite live , XXX,13,18. ; Et Evelyne P., *Sophonisbe reine de Numidie (Algérie au temps des royaumes Numides, Ve siècle avant J-C- 1er siècle après J-C)*, Smogy éditions d'art, Paris, 2003, pp.155-157.

[4] Tite live , XXVIX, 17.12.16.

[5] فنطر محمد حسين، يوغرطة، الدار القومية للنشر، تونس، 1970، ص 68.

[6] Berthier **A.,** *La Numidie, Rome et le Maghreb*, éd. Picard, 1981, p p 34-35.

ماسنيسا، و ما تلا ذلك بعد وفاة غايا، وظهور النزاع حول وراثة العرش، وتدخل قرطاج وسيفاكس في الموضوع[1].

ودائما في إطار أهدافه الرامية إلى إبعاد الحرب عن المنطقة، أرسل سيفاكس سفارة إلى سكيبيو[*]المتواجد بسراكوزة بصقلية سنة 204 ق،م[2]، أبلغه فيها –سيفاكس- بأمله في بقاء الحرب بين الدولتين بعيدا عن المنطقة، وأنه إذا دخل الرومان فإنه سيحارب إلى جانب القرطاجيين، وحسب لاكروا فإن هذا الخطاب يعتبر إعلانا مسبقا على الحرب[3]، أما فنطر فيرى أن موقف سيفاكس ناتـج عن تحليل معمق للأوضاع في حوض المتوسط الغربي، بحيث رأى بأن كل المعطيات والظروف تسير لصالح الرومان، واقتناعه بخطرهم على المنطقة ككل[4].

ونظرا لحنكة سيفاكس، فقد تمسك بمواقفه تجاه الرومان، فهو يعلم أن صراع الرومان وقرطاجة سوف ينتج عنه انعكاسات وخيمة على المنطقة، لأن كل منهما يعمل من أجل تحقيق أهدافه، فحسب بوليب فقد تبين له ذلك أثناء الحرب البونية الثانية، فبالرغم من أن المبادرة كانت من قبل الرومان الذين حاولوا إقناع سيفاكس بالعدول عن مساندة قرطاجة[5]، وحسب أبيان فإن سيفاكس قام بتعليق المحادثات، ثم اتصل بصدر-بعل من أجل القيام بهجوم شامل برا وبحرا على سكيبيو[6]، ومن جهته كان الملك ماسنيسا قد التقى مع سيلانوس مساعد سكيبيو في شبه جزيرة ابيريا[7]، لكنه لم يجد نفعا، وبعدها حث ماسنيسا على التحاور مع سكيبيو نفسه، هذا الأخير كان يريد التحالف

---

[1] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة، ص 24.

[*] سكيبيو كورنليوس بوبليوس Publius Corneluis Scipion (235-183 ق،م): المسمى الافريقي بسبب حروبه في افريقيا، ينتمي إلى عائلة كورنيليا Cornelia الرومانية من طبقة الاشراف، و كان أبوه قائدا حربيا، وجهت اليه تهم الفساد وأحس بالمضايقات في رومـــا، فغادرها إلى منطقة ريفية في كمبانيا، أين قضى آخر أيامه و توفي عن عمر 52 سنة، و لتنكر وطنه لفضائله عليه أوصى ألا يدفن في روما و أوصى أن يكتب على قبره " أيها الوطن الجحود لن تنال عظامي". عقون محمد العربي، مسينيسا...، المرجع السابق، ص ص 40-41 .

[2] Tite live , XXIX, 23.7. ; XXIX, 24.2.6.
[3] Dureau de lamalle, Lacrois Louis, op - cit, p15.
[4] Decret F., Fantar M., op - cit, p 56.
[5] Polybe, XIV, 1. 3.
[6] Appien A., Lib17. 20.
[7] Tite live, XXVIII ,16.11.

مع أحد الأطراف في بلاد المغرب، ونَفَّذ بذلك سكيبيو رغبة الملك، بعد أن أعلن مسينيسا عن استعداده لمساندة الرومان في إفريقيا، و قبل بذلك سكيبيو[1].

كما كان متوقعا فقد مضي الرومان في مشروعهم القاضي بنقل الحرب إلى شمال إفريقيا، وكرد فعل قرر سيفاكس تجسيد التحالف المبرم مع قرطاجة، حيث عمل على الاتصال بحانون بن املكار، وقرر استغلال إمكانياته العسكرية للوقوف في وجه الرومان[2]، أما مسينيسا فقد انسحب إلى السرت شرقا، وبقي متربصا هناك إلى غاية وصول القائد الروماني لاليوس (C. Laelieus) إلى هيبون، فاتصل به مشيرا عليه بإعداد حملة على إفريقيا، مادام سيفاكس منشغلا بإخماد بعض التمردات الداخلية [3].

بعد نزول سكيبيو في الرأس الجميل Pulchri promunturium،على رأس 40 قادوس و 400 سفينة نقل، وعلى متنها 35000 ما بين مشاة وفرسان، تحرسه من كل جهة 20 سفينة حربية[4]، جاءه ماسينيسا على رأس فرقة من فرسانه، فكان ذلك من أسعد أيام الرومان منذ نزولهم بشمال إفريقيا[5]، ومن جهته سيفاكس انتقل إلى أوتيكا التي حاصرها الرومان[6]، وبدأ الطرفان بالاستعداد للمعركة الحاسمة، فعسكر سيفاكس بالسهول الكبرى، فحسب قزال من المحتمل أن يكون اختار المكان لتمكينه من الحصول على الإمدادات بكل سهولة[7].

---

[1] Tite live, XXVIII, 35.
[2] Ibid, XXIX, 35.10-11.
[3] Decret F., Fantar M., op - cit, pp 58-59.
[4] عقون محمد العربي، مسينيسا...، ص 32.
[5] Tite live, XXIX ,29.4.
[6] Polybe, XIV, 1.6-8.
[7] Gsell S., H.A.A.N, T., III, p 230.

التقى الطرفان في معركة السهول الكبرى[*] في ربيع 203 ق،م، و كان النصر فيها لصالح مسينيسا وسكيبيو، فعاد صدر-بعل إلى قرطاج مع ما تبقى معه من الجنود[1]، أما سيفاكس فقد استطاع اللحاق بمملكته بدون صعوبة حسب تيت ليف[2]، وأن يجمع قوات جديدة، وتحت ضغط زوجته صوفونيزبة خرج ليعترض سبيل ليليوس ومسينيسا، هذا الأخير لما علم السكان بعودته خرجوا لاستقباله بحفاوة وطردوا الحاميات التي أقامها سيفاكس[3]، حيث التقى الطرفين من جديد وانهزم سيفاكس في معركة سيرتا يوم 23 جوان 203 ق،م حسب أوفيدوس[4]، التي وقع فيها سيفاكس أسيرا ونقل إلى روما، وهناك تم القضاء عليه، وتعود نوميديا للانقسام بين شطريها الشرقي والغربي[5]، وبعد سنتين انتهت الحرب البونية الثانية بمعركة زاما 202 ق،م، ثم توقيع معاهدة زاما 201 ق،م التي منحت لماسينيسا حق استرجاع أملاكه وأملاك أجداده، و كافأت روما مسينيسا بحصوله على تاج من الذهب، وكرسي من العاج، و صولجان من العاج، ولباس من حرير[6].

* أشار بوليب إلى حيثيات معركة السهول الكبرى، حيث أورد أن سكيبيو أبحر في صيف 204 ق،م، و نزل بمنطقة محصنة طبيعيا (رأس سيدي المكي)، إلا أن القرطاجيين بمجرد رأيته أغلقوا الأبواب ونشروا الجيش على أسوار المدينة، في حين عمل صدر-بعل على تكوين الجيش من القرطاجيين والنوميديين المتحالفين معه لمواجهة الخطر الروماني، أقام معسكرا على نحو 40 كلم من قرطاجة، منتظرا وصول سفاكس، ومن جهته انتقل سكيبيو إلى ضواحي أوتيكا وعسكر هناك، بعد بضع أيام التحق به مسينيسا، الذي أوكل له سكيبيو مهمة إجراء مناورة عسكرية، وإبعاد حنون من معسكره، وذاك ما حدث فعلا، فخلال مناوشات بسيطة فقد القرطاجيون أزيد من ألفي فارس، منهم مائتين من أشراف قرطاج، على رأسهم حنون ابن صدر-بعل.

لكن بالتحاق سفاكس على 50 ألف جندي من المشاة و10 آلاف فرسان، وحاصروا جيش سكيبيو، مما اضطر به إلى فك الحصار على أوتيكا، فعرض سكيبيو على سفاكس التفاوض، لكن شروط سفاكس المتمثلة في انسحاب الرومان من الأراضي الإفريقية، مقابل عودة حنبعل من ايطاليا، لم تلقى قبولا من سكيبيو، الذي استغل التفاوض بهدف التجسس على المعسكر الآخر، واستغلها في التسلل إليه في إحدى ليالي ربيع 203 ق،م وأضرم النار فيها، مما أفقد القرطاجيين حسب بعض المصادر 40 ألف قتيل، وبذلك استغل الرومان الآثار السلبية لتلك الصدمة وأرغموهم في دخول معركة خاسرة منتصف أفريل سنة 203 ق،م ....لمزيد من المعلومات أنظر: Polybe, LIV, XIV, 1,6-8 وكذلك راجع :

Tite live, XXX, 1,10; Lancel S., *Hannibal*, éd. Cérès, Tunis,1995, pp 298-305.

1 Polybe, XIV, 8.5-14.

2 Tite live, XXX, 2.

3 Polybe, XV,4.4.

4 حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 21.

5 Piganiol A., *La Conquête Romaine*, Edi **P.U.F**.paris, 1924 , p579.

6 شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع 5، يصدرها معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص 35.

خطأ سيفاكس أنه انهزم يقول كامبس، والتاريخ الذي يقال عنه أنه حيادي، كلمته المدوية "الويل للمهزوم" "Vae Victis"[1]، وجاء على لسان قزال :" لم يكن حكمه إلا صراعا طويلا ضد جيرانه، ومن المحتمل أيضا ضد رعاياه، دون الحديث عن الحروب التي دعمها ضد قرطاج و روما، وهو العمل المستمر الذي أكمله ماسينيسا"[2].

بعد القضاء على سيفاكس آلت مملكته إلى ابنه فرمينا، الذي كان لا يزال يحارب إلى جانب القرطاجيين في ديسمبر 202 ق،م بعد زاما[3]، أما بوليب فيذكر أن ماسينيسا سيطر على مملكة سيفاقس مابين 203 ق،م–202 ق،م[4]، في حين تيت ليف يشير إلى أنه لم يستطع السيطرة إلا على الجزء الأكثر ثراء من مازيسيليا[5]، مما يعني أن فرمينا كان يحكم في إحدى جهات مازيسيليا[6]، كما أرسل سفارة إلى روما سنة 200 ق،م بنية التحالف معها، وبالمثل استقبل سفارة رومانية[7]، في حين يذكر أبيان أنه تم القبض على سيفاكس وابنه معه، ثم يضيف إلى أن فرمينا لا يزال يحتفظ بالقسم الأكبر من مملكة والده سنة 202 ق،م، وأنه أضاف قواته إلى قوات حنبعل عندما كانت مجتمعة في حضرموت[8]، أما ديون كاسيوس فيذكر أن فرمينا تم القبض عليه مع سيفاقس في 203 ق،م، ولكن أطلق سراحه بعد استلام الرومان لمملكة والده[9].

في حين يشكك كامبس في قدرة فرمينا في المشاركة في أي معركة بعد زاما، أو أن ينجد حنبعل بفرقه، ليؤكد أنه حكم بعض الوقت قسم من مملكتـه، و كان بدون حليــف، لذلك سيدعم منذ سنة 200 ق،م صداقته مع الرومان لضمان حمايتهم عبر الاعتذارات والسفارات، ولم تتجاوز مملكته حدود مازيسيليا الأم[10]، وكان رد مجلس الشيوخ، بأنه من الأفضل له أن يطلب السلام قبل

---

[1] Camps G., Op - cit, p.285.
[2] Gsell S., H.A.A.N, T.,V, pp 161-162.
[3] Tite live , XXX, 36, 7-8.
[4] Polybe, XV, 5, 13
[5] Tite-Live, XXXI, 11, 8 ; XXXVI, 11, 8, ; XXXVII, 53, 22
[6] Camps G., Op - cit, p.229.
[7] Tite-Live, XXXI, 19. 5-6.
[8] Appien A., Lib 33.
[9] Dion Cassius, *Histoire Romaine*, Liv., IX, trad. par E. Gros. Edi Librairie de Firmin Didot frères, paris, 1945, 57.
[10] Camps G., Op - cit, pp 230-231.

أن يطلب ألقاب مشرفة، والتي لا تمنح إلا لمن يقدم خدمات للجمهورية، وسوف يقومون بإرسال نواب إلى إفريقيا ليملوا عليه شروط هذا السلام[1].

وحسب "لاكروا" نقلا عن تيت ليف وصل النواب وقابلهم فرمينا على حدود دولته، وربما قبل شروطهم أو قرر أن يبعث بسفارة أخرى لترسيم الاتفاق[2]، وبذلك تم القضاء مملكة مازيسيليا وإلحاقها بمملكة الماسيل، وتوحيدها في مملكة واحدة لثاني مرة على يد مسينيسا، ثم التفرغ للقضاء على الخطر القرطاجي.

ثانيا: في فترة حكم مسينيسا.

1 –مسينيسا يتحالف مع روما: في إطار مشروعها الهادف إلى السيطرة على شمال إفريقيا، وهو المشروع الذي ركز عليه قادة روما، خاصة بعد حملة أغاثوكليس (310 ق،م) وريغولوس (256 ق،م) اللتين فشلتا في تحقيق ذلك، تأكدت روما وعلى رأسها سكيبيو أن نجاح مهمته متوقفة على كسب الدعم الإفريقي، وذلك للتقرب من ملوك نوميديا، وأن فشل الحملات الأولى يعود إلى غياب دعم الأهالي[3]، وقد نجحت في ذلك، بعد أن كسبت مسينيسا إلى صفها، لكن الأسباب التي أدت به إلى التحالف مع قوة أجنبية لاسترجاع أملاكه، اختلفت فيها المصادر والمراجع، ذلك حسب الزاوية التي نظر المؤرخون لهذه القضية .

فحسب أبيان وديون كاسيوس يكون سبب تغيير مسينيسا لسياسته تجاه قرطاج وتحالفه مع الرومان، يعود إلى أن صدر-بعل وعد مسينيسا بالزواج من ابنته صوفونيزبة، التي زوجها جدها جيسكون من غير علمه بسفاكس حسب ديون كاسيوس[4]، أما أبيان فيذكر أن مجلس الشيوخ القرطاجي هو الذي قرر زواجها بسفاكس دون علم أبيها صدر-بعل[5]، لكن تيت ليف لم يذكر أسباب تغيير مسينيسا لسياسته[6]، وأن هذا الزواج حسب تيت ليف تم الاتفاق عليه في مؤتمر سيغا

[1] Dureau de lamalle, Lacrois Louis, op - cit, p22.
[2] Tite live , XXV , 34.1.
[3] Decret F., Fantar M., op - cit, p 90.
[4] Dion Cassius , *Histoire Romaine*, IX, 11.
[5] Appien, Lib 37, Lib 10.
[6] Tite live , XXVIII, 16.12.

سنة 206 ق،م، لكن ما جاء به ديون كاسيوس يبين عكس ذلك، لأن مسينيسا عقد اتفاقا سريا مع القائد الروماني جوليوس سيلانوس، قبل هذا التاريخ، وفيه وعد الأول بالمحالفة، والثاني بالعون لاسترجاع الملك[1].

وفي موضع آخر يذكر ديون كاسيوس سببا آخر، وهو أن صدر-بعل ساعد سيفاكس بعد وفاة غايا في الاستيلاء على المملكة الماسيلية[2]، مستغـلا الصراع حـول العرش، و عكس ذلك يذكر تيت ليف أن سيفاكس سيطر على أملاك غايا بعد وقت متأخر من وفاته[3].

غير أن حارش يذكر نقلا عن تيت ليف أن مسينيسا بدأ يميل إلى الرومان منذ ما أسماه بالمبادرة الطيبة التي قام بها سكيبيو عند إطلاق سراح مسيوا Massiva ابن عمة مسينيسا، وهو ما توحي به الكلمة التي ألقاها في محضر سكيبيو[4]، ليضيف –حارش- أن تقربه من روما، كان لعرض خدماته عليهم -الرومان- إحساسا منه بواجب رد الجميل[5]، ليؤكد أن الأحداث التي توالت خلال سنة 206 ق،م كانت وراء هذا التقارب، فقضية استخلاف غايا من جهة، ومن جهة أخرى كانت انتصارات سكيبيو ورغبته في نقل الحرب إلى إفريقيا كفيلا بدفعه إلى البحث عن سند له في هذه المنطقة.

ومن جهته يساءل فنطر عن هذا التحالف، هل وقع اتصاله بالقيادة الرومانية تحت تأثير الانتصار الذي حققه سكيبيو في إسبانيا؟، وهل أصبح بعد ذلك يؤمن –مسينيسا- بانهزام قرطاجة أم أراد مغادرة صفوف كتبت لها الهزيمة؟، أم هل غادر قرطاج لما تنكرت لحقوق الصداقة والشرعية، وقبلت أن تضحي به على أن تنتصر وتحيا ؟، فبعد أن يعيب على المصادر التي لم تهتم بهذه القضية، يتساءل من جديد، هل كانت مواقفه نتيجة تحالف قرطاج مع سيفاكس، هل كان مسينيسا يثبت بإخلاصه نحو قرطاج لو لم تضح به و بمصالحه[6].

---

[1] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 86.

[2] Dion Cassius, IX, 11.

[3] Tite live, XXVIII, 16. 17.

[4] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 16.

[5] Tite live, XXVII, 19.

[6] فنطر محمد حسين، يوغرطة...، ص – ص 49-50.

ففي الوقت الذي كان فيه روما تبحث عن مساعد لها ضد قرطاج في الأرض الإفريقية، كان مسينيسا يسعى للتحالف مع أي قوة تضمن له استرجاع ملكه، فعمل سكيبيو على استمالة مسينيسا[1]، وبذلك يرى شنيتي أن الاتفاق الذي عقد بين مسينيسا و سكيبيو تضمن خطة للعمل العسكري المشترك، وأنه تم الاتفاق على إنزال الجيوش في شواطئ نوميديا الشرقية[2]، وأن الرجلان تبادلا عبارات القسم يقول فنطر[3]، أما غانم م.ص يتساءل عن الثقافة العسكرية التي طغت على شخصية الملك، هل أثرت عليـه، وجعلته لا يدرك الأبعاد المستقبلية للسياسة الرومانية، ليضيف أن الظروف المحيطة بحكمه غير واضحة، وبالتالي لا يمكن إنصافه أو اتهامه، باعتبار أن مصدر المعلومات هي مصادر إغريقية و لاتينية[4].

ومن المحتمل تقول فرحاتي أن مسينيسا مستاء من قرطاجة التي أصبحت تستخدمه من أجل مصالحها[5]، فحسب قزال فإن قرطاجة لم تكن ترغب في أن يصبح هذا الأمير ملك، ومن جهته أيضا – مسينيسا– قدر التفوق الروماني في جزيرة ابيريا[6].

وبذلك فقضية التحالف بين مسينيسا وروما، فيها غموض كبير لأن المصادر لم تلم بالموضوع بما يكفي لإصدار حكم عادل لذلك، لكن الأحداث التي تلت سنة 206 ق،م، كانت وراء التقارب، فهذه الأحداث التي توالت حول استخلاف غايا بعد وفاته، وتدخل قرطاج فيه، ثم مساندتها لسيفاكس في سيطرته على مازيسيليا سنة 205 ق،م، كما أن مسينيسا وجد نفسه مجبرا أن يختار شرًّا كان قائما حين ذاك، وهو قرطاجة، وإما أن يختار شرًّا محتملا وهو روما، بينما كانت ظروف و خلفيات وراثة العرش النوميدي إثر وفاة غايا سببا في اختياره للشر الثاني.

---

[1] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 17.

[2] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة، ص 21.

[3] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 51.

[4] غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية، ص 85.

[5] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص ص 85 – 86.

[6] Gsell S., H.A.A.N, T., III , p 185.

رأينا فيما سبق مراحل التقارب بين مسينيسا وسكيبيو، بداية بلقاء مسينيسا بسيلانوس، ثم نزول سكيبيو في رأس أبولون حسب قول ديون كاسيوس[1]، إلى غاية انتصار الطرفين في معركة السهول الكبرى، حيث لاحق مسينيسا جيوش سيفاكس وهزمه في معركة سيرتا سنة 203 ق،م، أما سكيبيو فقد تعقب جيوش صدر–بعل إلى تخوم قرطاج بعد استيلائه على بعض المدن المحاذية لها، فاستدعى ذلك عقد مجلس الأشفاط[*]، وأثناء النقاش ظهرت ثلاثة آراء حسب بوليب[2]:

1 القسم الأول دعا إلى الاستمرار في الحرب و الهجوم المباغت على الرومان عن طريق أوتيكا.

2 -القسم الثاني طالب بإنهاء الحرب عن طريق التفاوض مع سكيبيو.

3 -القسم الثالث طالب دعوة حنبعل إلى العودة من ايطاليا ، والإسراع في تحصين المدينة.

وفي الأخير أقر المجتمعون المقترح الثالث، حيث نزل حنبعل في نهاية صيف 203 ق،م بمدينة لمطة (Leptis Minors) ثم انتقل إلى حضرموت لمحاولة استمالة القبائل النوميدية [3]، وحسب أبيان[4] فإن نزول حنبعل بحضرموت يعد تصرفا عدائي من قبله تجاه الرومان، ومن جهته طلب سكيبيو من مسنيسا المساعدة، فلبى النداء وسار نحو زاما[5]، وبوصوله انتقل سكيبيو إلى مدينة ناراقارا Naraggara التي لا تبعد عن معسكر حنبعل إلا بـ 4 أميال[6].

لقد حاول حنبعل حل الخلاف عن طريق التفاوض مع سكيبيو، لكن هذا الأخير رفض، وبفشل تلك المحاولة لم يبق لدى الطرفين إلا الحرب، فبتاريخ 19 أكتوبر 202 ق، خاض الجيشان معركة زاما، التي انتهت بهزيمة حنبعل، حيث فقد أكثر من 20 ألف قتيل[7]، وعدد مماثل من

---

[1] Dion Cassius, IX, 12.

[*] مجلس الأشفاط: جمع شفط أو سبط وهو القاضي، ويعي مجلس القضاة، بمثابة مجلس الشيوخ في روما.

[2] Polybe, XIX , 9.

[3] Gsell S., op - cit, p 170.

[4] Appien, Lib 10, V. A , ; Decret F., Fantar M., op - cit, p 214.

[5] حارش محمد الهادي، المرجع السابق ، ص 22.

[6] Tite live, XXX , 29. 9-10.

[7] Polybe, VX , 14.

الأسرى، كما استولى سكيبيو على 80 ألف وزنة ذهبية، و20 ألف وزنة فضية، وكثير من المواد الثمينة[1].

كما كَبَّل القرطاجيون بمعاهدة "زاما"[*] سنة 201 ق،م، التي فرضت على القرطاجيين شروطا قاسية، كما نصت على حق مسينيسا في استرجاع كل ممتلكاته وممتلكات أجداده[2]، وفي هذا الشأن يذكر بوليب أن معاهدة زاما تضمنت مصالح المملكة النوميدية كطرف ثالث في الصراع، ومنها الممتلكات والحقول والمدن، وجميع ما هو بحوزة مسينيسا أو كان تابعا لمملكة آبائه يجب إعادته له[3]، ويشير قستنسكي أن الحرب البونية الثانية أثبتت مسينيسا عن طريق دبلوماسيته المتـــازة[4]، وضع القرطاجيين والرومان أمام الواقع، أي الاعتراف بمكانته وسلطته[5].

وبما أن مسينيســا كان غير قادر على فرض نفسه في خضم التحولات التي حدثت في المنطقـــة، رأى من الصائب الاعتماد على الرومان، من أجل استرجــاع مملكته، وتكوين دولـة موحدة وقويــة، وبذلك تحول الزعماء الأفارقة يقول بشاري منذ الحرب البونية الثانية إلى أتباع لروما يدورون في فلكها، ويستجيبون لإرادتها، ويخدمون مصالحها، فمسينيسا وسيفاكس ووقفا إلى جانب

---

[1] حارش محمد الهادي، المرجع السابق ، ص 22..

[*] احتوت معاهدة زاما البنود التالية:

- يعتبر القرطاجيون أحرارا في الأراضي التي كانت بحوزتهم قبل الحرب الأخيرة، وتحكمهم شرائعهم و قوانينهم، ولا يجور للرومان إيذائهم.
- أن تعيد قرطاجة الجنود اللاجئين إليها، إضافة إلى كل الأسرى و العبيد.
- أن تتنازل قرطاجة عن أسطولها البحري ولا تحتفظ إلا بعشرة سفن بسيطة (ثلاثية)، وألا تجند من الآن المرتزقة في جيشها.
- تسلم قرطاجة كل فيلتها ، وتلتزم بترويضها لإعداد أخرى من الفيلة لحساب الرومان.
- أن يسترجع مسينيسا كل الممتلكات من قرطاجة.
- على قرطاجة أن تستأذن الشعب الروماني في إعلان الحرب سواء في إفريقيا أو خارجها.
- أن تقدم قرطاجة بعض الأغراض كالمؤونة للجيش الروماني.
- على قرطاجة أن تدفع غرامة قدرها عشرة آلاف وزنة فضية في مدة خمسين سنة، منها ألف وزنة قبل إيقاف الحرب.
- يختار القائد سكيبيو مائة من شباب قرطاجة تحتفظ بهم روما كرهائن إلى غاية تسليم آخر وزنة فضية من الغرامة المفروضة. أنظر كل من :

Polybe, XV,18 ; Tite live, XXX, 37, 1-6

[2] Walter G., *La destruction de Carthage 264-146 av.J.C*, édi ALBIN Michel, paris, 1947, p458.

[3] Polybe, XV, 18.1.

[4] Gostynski T., *L'Afrique du nord dans L'antiquité*, édi de librairie chab Ahmed, Marrakech, s.d, p48.

[5] Soumagne Ch., *La manœuvre de Zama* , cahier de Tunisie, T.10,1962, pp. 373-390.

روما وقرطاجة اللتان كانتا تتصارعان للسيطرة على كل المنطقة خدمة لمصالح شعوبها، فقد قدم سيفاكس مساعدات لقرطاج حتى تساعده في القضاء على مسينيسا، في حين وقف الثاني إلى جانب روما، وقدم لها مختلف المساعدات العسكرية، وساهم في إضعاف قرطاجة، وبذلك فتح المجال واسعا أمام روما لتضع أقدامها في بلاد المغرب، فلولا مساعدة مسينيسا لما انتصرت روما، ولتغير تاريخ المنطقة[1].

لكن مسينيسا لم يكف بمساعدة روما بالقضاء على قرطاجة، بل عندما تولى حكم نوميديا قدم لها أيضا عدة خدمات عسكرية في حروبها الشرقية، فأثناء الحرب ضد فليب بمقدونيا سنة 200ق،م قدم نواب من روما إلى مسينيسا يطلبون المساعدة، والمتمثلة في الفرسان، فقدم لهم 1000 فارس[2]، كما أرسل لهم أيضا في نفس الحرب 200 فارس، 200 فارس و 10 فيلة سنة 198ق،م[3]، وكذلك في حروبها ضد ملك سوريا أنتيخيوس تقدم مسينيسا بعرض لإرسال 500 فارس، و20 فيل[4]، وفي سنة 171 ق،م طلب الرومان المساعدة من مسينيسا في حروبهم ضد بيرسيه Percée[*] ملك مقدونيا، فقام مسينيسا بإرسال ابنه مسجان Misagane مع 1000 فارس وعدد من المشاة و20 فيل[5].

وفي سنة 153 ق،م قَدِم القنصل فوفليوس نبليور والذي كان في حملة على السلتي–ابيريين Celtibères و طلب العون من مسينيسا، فقدم له 300 فارس و 10 فيلة[6]، وربما أرسل فرسان في إحدى المعارك التي جرت في 193 ق،م ضد الليغوريين أيضا، كما أعانهن في حروبهم باسبانيا،

---

[1] بشاري محمد لحبيب، (علاقة روما بالممالك الإفريقية بعد زوال قرطاجة) ، **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية**، ع19، تصدر عن قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، جوان 2012، ص 50 .

[2] Tite live, XXXI , 10-11.

[3] Ibid, XXXVI, 2.7.

[4] Ibid, XXXVI, 4.8.

[*] بيرسيه Percée: ابن فليب الخامس Philippe V، شارك مع أبيه في حروبه ضد الرومان في 199 ق،م، اعتلى العرش سنة 179 ق،م، وهو آخر ملوك مقدونيا، انهزم أمام بول أميل Paule Emil في معركة بيندا Pynda يوم 4 سبتمبر 168، ووضعت مقدونيا تحت السيادة الرومانية أنظر : حارش محمد الهادي، التطور السياسي....، ص 23.

[5] Appien, *Macédoine*, IX, 2.

[6] Gsell S., H.A.A.N, T., III, p 249.

وفي 150 ق،م طلب سكيبيو الاميلي مساعد لوكينوس لوكلوس في إسبانيا المساعدة من مسينيسا فمَدَّه بالفيلة[1].

وبالتالي نلاحظ أن الانتصارات الرومانية قد ساهم فيها العاهل النوميدي بنصيب وافر، وحافظ مسينيسا تجاه روما على وضع التابع المعترف المخلص يقول قزال[2]، يحتمل أن سكيبيو ما كان لينتصر على حنبعل لولا مسينيسا، غير أن قدوم روما إلى إفريقيا ساعده على استرجاع مملكته، وادعت روما لنفسها هذا الانتصار وهذه الفتوحات، وأرادت أن تؤكد أن مسينيسا مدين لها بكل شيء، فنصبته ملكا، وكأنه لم يكن من قبل، بهذه العبارات يصف قزال تحالف مسينيسا مع روما، أما النوميدي يقول دائما قزال فاعتبر من الأنسب أن يظهر تناسيه لما استطاع تقديمه من خدمات، وأن يتحدث عاليا بما حصل عليه[3]، وعلى حد قول تيت ليف فقد صرح بتواضع أنه كان يتصرف في منطقة تبقى روما هي المالكة الحقيقية لها، وقد قام بجميع واجباته كحليف، بانتظام وضبط دقيق، مع كثير من الجدية[4]، لكن نستنتج أيضا من خلال إشارة تيت ليف أن الحليف والتابع مختلفان، فالأول إشارة إلى تعاون بين قوتين لتحقيق مصالح مختلفة، أما الثاني فيعني الخضوع والتبعية، وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر التالي.

2- مسينيسا يستعيد العرش:

بعد انتصار مسينيسا على خصمه سيفاكس بمساعدة فصيلة من الجيش الروماني قادها ليليـوس laeluis، وهزم حنبعل بفعالية الفرسان النوميديين بقيادة مسينيســا، تربع هذا الملك على عرش مملكة آبائه وضم إليها أراضي مملكة سيفاكس، ومنحه الرومان تاج النصر مهنئين إياه على النجاح الباهر، واعترفوا به ملكا وحيدا على نوميديا[5]، أما فنطر فيشير إلى أن سكيبيو منح لقب الملك لمسينيسا، بعد الانتصار على سيفاكس في معركة سيرتا سنة 203 ق،م، وهذا ما تؤكده معظم

[1] Gsell S., H.A.A.N, T., III, p 255.
[2] Ibid, p 255.
[3] Ibid, p 256.
[4] Tite-Live, XLV, 13.
[5] شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص 35.

المصادر والمراجع، وأشعره بأن لاحق له في العرش إلا برضى الرومان، وكأننا نقرأ ما كتبه قزال في قوله: أن روما ادعت لنفسها هذا الانتصار وهذه الفتوح، وأرادت أن تؤكد أن مسينيسا مدين لها بكل شيء[1]، فربما أخذ كل من فنطر وقزال ما جاء به ساليست وتيت ليف من أن أمور نوميديا آلت شرعيا إلى حوزة الرومان، بعد هزيمة سيفاكس، وأن مسينيسا لا حق له في العرش، وأنه لم يكن سوى وكيل لمجلس الشيوخ على هذه المملكة، وكذلك أبنائه من بعده[2].

يستدل ساليست في ذلك، بما جاء على لسان أذربعل في قوله:" أوصاني أبي – مكيبسا- وهو على فراش الموت بأنني لا أملك سوى وكالة تسيير المملكة النوميدية، وأن السلطة الفعلية والشرعية في قيادتها تعود إليكم"[3]، وحسب ساليست إذن، فإن نوميديا لم تكن مملكة سوى بالمجاملة، وأن وجودها كان وهميا، وأن اسمها مدين للشعب الروماني الذي دفعت به الضرورة إلى تكليف شيخ قبيلة بتسييرها باسمه، فسلمه الحلة الأرجوانية وداعبه بلقب ملك[4].

أما تيت ليف لم يخرج عن سياق ساليست، فعلل قراره في تبعية نوميديا للرومان، في رفض الأولى –نوميديا وعلى رأسها مسينيسا- قبول تعويضات الحبوب التي أرسلتها لروما في إطار حروبها ضد مقدونيا، من خلال ما ذكر على لسان أحد أبناء مسينيسا "مسغبا: بأن مسينيسا مدين للشعب الروماني ولا يحق له قبول هذه التعويضات[5] .

لقد تحدث فنطر نقلا عن تيت ليف أن مسينيسا أوفد رسلا يطلبون تزكية مجلس الشيوخ الروماني حتى يطمئن على عرشه، ويسترجع الأراضي التي كانت تعيش تحت صولجان أبيه[6]، وهذه الرواية إن صحت –يقول فنطر- تثبت امتثال مسينيسا لهيمنة الرومان، وكأنه قد أصبح هو الآخر يعتقد أن لا سبيل لوجوده إن لم ترض به روما ملكا، وأنها أرادته كذلك لأنها كانت تأبى مجابهة المشاكل مباشرة، ومصلحتها تقضي إذ ذاك أن تبقى إفريقيا بين يدي أحد الأفارقة، بشرط أن يكون

---

[1] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 74.

[2] شنيتي محمد البشير، قضية السيادة، ص 35.

[3] Salluste, XVI.

[4] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 35.

[5] Tite live, XLV,13 .

[6] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 75.

مخلصا ومتفانيا أمام إرادة روما، ولعل مسينيسا كان قد عرف وتبين له ذلك لكنه غض الطرف وارتكب الخيانة الكبرى[1]، لماذا هذا الحكم القاسي من فنطر.

بالرغم من أن تيت ليف وساليست كثيرا ما تحدثوا عن العـرش النوميدي وأنه ملك لرومـا، وقد أعطته لمسينيسا جراء الأعمال التي قام بها في صالحها أيام الحرب البونية الثانية، ونفس القول نجده عند قزال[2] و يورد تيت ليف في هذا الصدد خطبة ألقاها "أومين" أما مجلس الشيوخ سنة 198 ق،م يقول فيها :" إن مسينيسا قبل أن يكون حليفا لكم كان عدوكم، إنه عندما التجأ إلى معسكركم لم يصحب معه بشيء تابع لمملكة قائمة ، ولكنه أقبل عليكم كرجل حكم عليه بالنفي والإبعاد ... فلم يكفكم أنه انتصب على مملكة آبائه، ولكنه أضاف إلى هذه المملكة القسم الأكثر غنى من مملكة سيفاكس، لقد جعلتم منه الملك الأكثر قوة بين ملوك إفريقيا"[3]، لكن شنيتي يشير إلى أن الفضل في ذكر هذه الخطبة يعود إلى بوليب، الذي نقل عنه تيت ليف وحرفها، فعند بوليب وردت بالشكل التالي " اعترفتم به ملكا" عكس "جعلتم منه ملكا" الواردة عند تيت ليف، هذا الأخير نجده لا يفرق بين مملكة نوميديا الشرقية التي استرجعها مسينيسا من أيدي أعدائه، وبين نوميديا الغربية التي ضمها إلى حكمه بعد تخلصه من سيفاكس[4].

لكن منذ متى روما تفتح أراضي وتمنحها لغيرها، لو كان ذلك صحيحا لماذا تدخلت فيما بعد، عندما رأت أن توسعات مسينيسا على حساب قرطاجة تشكل خطرا على مصالحها، وقررت وضع حد لسياسة مسينيسا القاضية بالتخلص من قرطاجة سنة 146 ق،م، ويمكن إرجاع هذه الإشارات الواردة عند كل من ساليست وتيت ليف إلى عدة عوامل رئيسية هي :

[1] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 75.

[2] Gsell S, H.A.A.N, T., III, pp 191-190.

[3] Tite live, XXXVII, 53, 22.

[4] شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص 37.

1 – ما ذهب إليه ساليست وتيت ليف يعود ذلك إلى تقليد قديم لدى الرومان، مفاده أن البلاد التي هزم فيها الأعداء تدخل ضمن مكتسبات الشعب الروماني، سواء مارس هذا الشعب حقه في هذه الأراضي بصفة فعلية عملية، أو اكتفى به نظريا[1].

2 – لقد زادت هذه الفكرة تجدرا في إطار الصراع بين الديمقراطيين الذين استندوا إلى طبقة العوام أواخر العهد الجمهوري والأرستقراطيين الذين يمثلون النبلاء، فالطرف الأول كان ينادي بضرورة انتفاع الشعب بأرض المهزومين، ومنها أرض سيفاكس التي آلت إلى مسينيسا بالوكالة، أما الطرف الثاني " النبلاء" فكانوا يرون حق مسينيسا في وراثة مملكة نوميديا وسيادته عليها بصفة مستقلة عن الجمهورية الرومانية، مع الاحتفاظ بالصداقة والتحالف مع روما[2]، بعقد معاهدات تحالف وصداقة societas et amiciti[3] وباعتبار ساليست محسوب على الديمقراطيين كان يرى أن نوميديا أرض رومانية، حتى فترة مسينيسا.

3 ظهور فكرة أخرى في أوساط الديمقراطيين، تنكر مساهمة مسينيسا في الحرب البونية الثانية، وأنه لم يقدم سوى مساهمة ضئيلة استحق من خلالها عطاء محدودا لا يتعدى حكم المملكة بصفة وكيل روماني[4] Procuratio ، لكن ما يفهم من بوليب يشير إلى العكس من ذلك، حيث أن مسينيسا دخل الحرب كملك قوي الجانب، كحليف لسكيبيو، وأن الانتصارات التي حققها لم يلعب الجنود الرومان دورا يذكر في المعارك التي دارت بينه وبين سيفاكس[5] .

4 –المؤرخان أبيان وبوليب يذكران أن طبيعة العلاقة بين مملكة نوميديا وجمهورية روما، ما هي إلا علاقة تحالف وصداقة، ولا مجال للتبعية فيها، فيفهم من بوليب أن مسينيسا ملك حر ولكنه صديق للشعب الروماني، شأنه في ذلك شأن معاصريه المقربين للجمهورية الرومانية[6]، ومن ثمة فلا

---

[1] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 36.

[2] نفسه.

[3] أيوب إبراهيم، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، لبنان ، 1996، ص 184.

[4] شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص 37.

[5] Polybe, XV.

[6] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 38.

مجال للتبعية، ولا مجال لفكرة العطاء Donatio التي روج لها ساليست و تيت ليف، وأخذها المؤرخون المحدثين.

بعد هذا النصر الذي حققه سكيبيو ومسينيسا، عاد الأول إلى روما ولقب بالإفريقي Africanus، نظرا لانتصاراته في إفريقيا[1]، أما الثاني فقد عاد إلى سيرتا، حيث عمل على توطيد حكمه، قبل أن يشرع في استرداد مملكته و مملكات أجداده، كما تخول له بنود معاهدة زاما [2] .

غير أن فنطر يذكر أن سكيبيو أرسل مع مسينيسا ثلة من أعوانه يقودون كتائب من المشاة والخيالة، كي يساعدوا الملك على توطيد مكانته بين القبائل الإفريقية[3]، وعلق قزال على ذلك بقوله" أن سكيبيو لم يرسل القوات الرومانية صحبة مسينيسا باعتباره حليف الرومان فحسب، بل أرسلهم ليشعره بدينه إزاء روما وجيوشها، فكأن الكتائب الرومانية هي التي فتحت المدن الإفريقي واكتسحت الأراضي وأخضعت القبائل"[4]، فهي إذن ملك لروما باعتبار حق المنتصر، ومن حقوق الرومان أن يضعوا مسينيسا على عرش الأفارقة، وهي في ذلك إشارة ضمنية يقول فنطر لحق روما في استرجاع العرش الإفريقي والاحتفاظ به أو إعطائه لمن تريد، فالهدية التي قدمها سكيبيو لمسينيسا تُكِنُ خطرا على الملك نفسه، وعلى إفريقيا عامة وبذلك تحصل الرومان على شرعية التدخل في شؤون المنطقة متى أرادوا و بالطرق التي يرضون بها[5].

لكن المصادر القديمة تبين عكس ذلك، فيورد تيت ليف أن مجلس الشيوخ أرسل بعثة لتهنئة مسينيسا ليس لكونه سيطر على مملكة آبائه، ولكن لأنه وسعها بضم القسم الأكثر غني من مملكة سيفاكس[6]، وإن صحت فهي إشارة ضمنية إلى شرعية مسينيسا في حكم المملكة، هذه الشرعية التي يؤكدها بوليب في قوله :" أن الماسيل وضعوا بين يدي مسينيسا مملكة آبائه، وهم سعداء بأنه

---

[1] بكري حسين صبحي، الإغريق والرومان و الشرق الإغريقي الروماني، ط 1، دار عالم الكتب للنشر و التوزيع، الرياض، 1985، ص 298.

[2] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 23.

[3] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 75.

[4] Gsell S., op - cit, pp 160.170.

[5] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 76.

[6] Tite live, XXXI, 11.8.

سيكون ذلك الملك المرتقب منذ أمد بعيد"[1]، فهي إشارة لثقة النوميد في الملك الذي سيعتليه دون انتظار رأي روما ومصداقيتها على ذلك التي درج المؤرخون التأكيد عليها.

هذا ما سنحاول أن نبينه، هل حقا مسينيسا حقق هذه الوحدة بمساعدة من روما أو دونها، فمن حيث أننا نجهل السنة التي استطاع مسينيسا أن يحكم سيطرته على المملكتين، نظرا لعدم الدقة فيما أورده المؤرخون القدامى، بوليب مثلا الذي عاش في نفس الفترة، ذكر أن مسينيسا استولى على مملكة سيفاكس بين سنتي 203 – 202 ق،م[2]، خلافا لتيت ليف الذي أشار إلى أن مسينيسا في هذه الفترة لم يسيطر إلا على المناطق الغنية من مملكة سيفاكس[3]، في حين كامبس يذكر أن مسينيسا اكتفى في البداية بسيرتا وما جاورها، وأن العزلة الإقليمية لفرمينا بحيث كان بدون حليف[4]، ساعدت مسينيسا من الاستيلاء على مملكة المازيسيل[5].

وفيما يتعلق بإشارة بوليب، فيرجعها بعض المؤرخين إلى ولائه وصداقته بسكيبيو وإعجابه الشديد بمسنيسا[6]، كما أن تيت ليف يذكر أن فرمينا لا يزال سنة 202 ق،م يحكم سيطرته على مملكة المازيسيل[7]، وهذا يتناقض مع ما ذكره في موضع آخر، على أن سكيبيو منح مسينيسا مملكة أجداده بما فيها سيرتا، وكذا مملكة سيفاكس[8]، و نفس الإشارة نجدها عند أبيان، ذلك أنه حاول – فرمينا– نجدة حنبعل في معركة زاما سنة 202 ق،م[9].

فإذا كان كامبس يشكك في قدرة فرمينا في المشاركة في أي معركة بعد زاما[10]، إلا أنه يرى أن فرمينا قد التجأ إلى منطقة زمالة Smala ومنها إلى الجهات الجنوبية من مملكته المتاخمة لبلاد الجيتول بعد أن حكم منطقة مازيسيليا الأم[11]، فإن حارش يرى بأن ما يشير إليه أبيان قد حدث أثناء

---

[1] Polybe, XXXI, 10.
[2] Ibid, XV, 5.13.
[3] Tite live, XXXVII, 53.22. ; XXXI, 11.8.
[4] Camps G., Op -cit, p.190.
[5] حارش محمد الهادي، المرجع السابق ، ص 23.
[6] Dureau de lamalle, Lacrois Louis, *L'Afrique Ancienne*..., p100. ; Camps G., Op cit, p 191.
[7] Tite live, XXX, 44.12.
[8] Tite live, XXXI, 11.13-17. ; XXXI, 19.5-6.
[9] Appien, VII, 4. 33.
[10] Camps G., Op - cit, pp.190-191.
[11] Ibid ,p192.

موقعة زاما، أما إشارة تيت ليف فهي محاولة من فرمينا للتقرب من الرومان والحصول على لقب حليف[1]، لكن يبدوا أن مسينيسا سرعان ما تمكن من التخلص من فرمينا، وخصوصا وأن هذا الأخير لم يستطع أن يوقع أي معاهدة هدنة أو تحالف مع الرومان نظرا للشروط القاسية عليه[2].

يبدوا أن المصادر القديمة لم تذكر بالتحديد السنة التي أحكم فيها العاهل مسينيسا سيطرته على كامل نوميديا بشطريها الشرقي والغربي، إلا أن المؤكد أنه استطاع توحيدها لثاني مرة بعد سفاكس 205– 203 ق،م.(**أنظر الملحق رقم 02 ص 224**).

عمل الملك مسينيسا بعد ذلك على استثمار محتوى معاهدة زاما قدر الإمكان لانتزاع بعض الأراضي القرطاجية، مستغلا الدعم الروماني وضعف قرطاج، بالإضافة إلى أن معاهدة زاما لم تحدد بدقة الحدود الفاصلة بين مملكة مسينيسا والأراضي القرطاجية، في حين تسمح للملك النوميدي أن يطالب متى شاء بما يراه كان ملكا لأسلافه[3]، كما أن قرطاج كانت في وضع لا يمكنها رد أي فعل سواء لإعاقة توسعات مسينيسا أو معارضة تجاهل الرومان لذلك[4]، وبذلك تكشف لمسينيسا حقوقا قد جهلها والده غايا من قبله[5].

وهكذا استغل مسينيسا فرار أحد المتمردين عن سلطته سنة 193 ق،م وهو أفتيـر Aphter، والذي التفت حوله قبيلته[6]، وقد لجأ إلى طرابلس لملاحقته عبر التراب القرطاجي دون إذن منها[7]، فمكنته هذه الحملة من الاستيلاء على إقليم أمبوريا وبسط نفوذه على المناطق الممتدة ما بين لمطة Leptis Minors وطرابلس، وقد فرض غرامة على مدنها، مما سبب للقرطاجيين إهانة كبيرة[8].

---

[1] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 24.

[2] غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية، ص 86.

[3] Gsell S., H.A.A.N, T.,III, p 200.

[4] Camps G., Op - cit, p.190

[5] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 140.

[6] Camps G., Op - cit, p.191.

[7] Polybe, XXXI, 21.

[8] Soumagne Ch., Op - cit, p 238.

فكانت بذلك عملية ناجحة قام بها مسينيسا، بحيث سيطر بها على معظم إقليم أمبوريا لما يحتوي هذا الإقليـم من إمكانيات طبيعية وبشرية[1]، أو ربما لحمل قرطاجـة بأن تقوم برد فعل[2]، أو اختبار موقف مجلس الشيوخ الروماني الذي فضل عدم التدخل في القضية عندما اشتكت قرطاجة إلى روما على ذلك[3].

كانت هذه النتيجة دافع قوي لمسينيسا إلى مواصلة سياسته وتحقيق مخططه بحيث استطاع استرجاع بعض الأراضي التي كان غايا قد إفتكها من القرطاجيين[4]، ويعتقد كامبس أن تكون تلك الأراضي ضمن الحفر الفينيقية Les fosses phéniciennes، وربما تتعلق بمواقع ساحلية[5]، وفيما بين 174–171 ق،م افتك منها حوالي 70 مدينة[6]، وقد دفع هذا إلى رفع احتجاج لروما لإيقاف توسعات مسينيسا، إلا أن روما لم تحرك ساكنا[7] لكنها بقيت تترقب من بعيد ما يقوم به العاهل النوميدي[8]، كما أن هذا الأخير بعث ابنه غلوسة إلى روما، الذي عرف كيف يستغل هذا الظرف لصالحه[9].

لم يتوقف مسينيسا عند هذا الحد، بل عمد إلى استكمال سيطرته على إقليم أمبوريا سنة 162ق،م[10]، بحيث لا يستبعد حارش أن يكون مسينيسا قد استغل الدعم الذي قدمه للرومان أثناء حربهم الثالثة ضد مقدونيا (171- 186 ق،م) لإقناعهم بغض الطرف عن شكاوي قرطاجة[11]، التي طالبت بوضع حد لتوسعاته أو السماح لها بالدفاع عن نفسها ضد هذه

---

[1] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 26.

[2] Camps G., Op - cit, p.193.

[3] Gsell S., H.A.A.N, T., III, pp 201-202.

[4] Soumagne Ch., Op - cit, p 241.

[5] Camps G., Op - cit, p.193.

[6] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 27.

[7] نفسه.

[8] Tite live, XLIII, 3.

[9] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 28.

[10] Tite live, XLII. 24-23

[11] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 26.

الاعتداءات غير المشروعة[1]، وبعدها بسنوات قليلة استولى مسينيسا على السهول الكبرى سنة 153 ق،م التي كانت تتمتع بخيرات كبيرة[2]، وتوسكا Tusca التي تشمل 50 مدينة، و يرى البعض أنها مدينة دوقة[3]، والبعض يرى أنها تقع في حوض الوادي الكبير قرب طبرقة[4]،و المعروفة في العهد الروماني بتوسكا، لكن قزال يرفض ذلك، لعدم توفر آثار قديمة لـ 50 مدينة في منطقة كروميريا (جبل الخمير بتونس)[5]، أما كامبس يرى أنها ربما تكون 50 قرية بحجة وجود مقابر محفورة في الصخور، دليل على وجود كثافة سكانية بها[6].

لقد استطاع مسينيسا بفضل سياسته أن يكسب المساندة الرومانية وأن يُكوِن جيشا قويا، وبفضل دبلوماسيته الممتازة، استطاع مسينيسا بعد الحرب البونية الثانية أن يضع القرطاجيين والرومان أمام الأمر الواقع، والاعتراف بمكانته وسلطته[7]، لكن لم تكن روما لتسمح له بأن يهدد مصالحها، فقد أثارت توسعاته مخاوف الرومان، فأرسلوا لجنة تحقيق بعد شكوى قرطاجة[8]، وكان على رأسها كاتو[*]، فقد وضع تقريرا مفصلا أمام مجلس الشيـــوخ، محذرا من تكرار سيناريو حنبعل، لكن هذه المرة بإفريقيـا، وأنهاه بكلمته المشهورة التي ظل يرددها "يجب أن تهدم قرطاجة"[9] " Delinda est Cartago"، وبين مؤيد ومعارض لرأي كاتو، خلص مجلس الشيوخ إلى الأخذ برأيه، الذي أصر بأن

---

1 حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 28.

2 Tite live, XLIII, 3.

3 Gsell S., op - cit, p194.

4 فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 110.

5 Gsell S., op - cit, p 195.

6 Camps G., Op - cit, p.194.

7 Gostynski T., *L'Afrique du nord dans L'antiquité*, Edi de librairie Chah Ahmed, Marrakech (s.d), p 48.

10 Dureau de lamalle, Lacrois Louis, op - cit, p102.

* ماركوس بوركيوس كاتو (Marcux Porcius Cato): ولد سنة 234 ق،م بدينة توسكولوم Tuxulus بإيطاليا، ينتمي إلى طبقة العامة، شغل عدة وظائف إدارية وسياسية و عسكرية، منها منصب القنصل سنة 195 ق،م، و منصب الكونسور Censoruis سنة 174 ق،م.
حارب من رآهم فاسدين في مجلس الشيوخ و طبقة الفرسان، فأطلق عليه اسم كاتو الرقيب، كما عرف كخطيب مقنع وكاتب مبدع، كان من أشد الداعين للقضاء على قرطاج، رغم معارضة بعض أعضاء السينا، و على رأسهم بوبليوس سكيبيو سيكا P.Scipius Nasica، إلا أنه في نهاية الأمر أقنعهم بشن حرب مدمرة على قرطاج، رغم أن الموت أدركه ولم يرى حلمه يتحقق في ربيع 146ق،م. للمزيد أنظر: Plutarque, *Les vies des hommes illustrés*, T.2, trad. Jacques Amyot, éd. Gallimard, Paris, 1985 ;*Vie de Caton*, I, II

9 Pline L'Ancien, XX, 20.74-75.

لا يصبح مسينيسا سيدا على قرطاجة، ومن مصلحة روما أن تبقى نوميديا دولة ثانوية[1]، وكذلك نقل لنا حارش خطابا ألقاه كنتيوس كايكيليوس متيلوس Q. Caecilius Metellus دعا فيه إلى عدم المغالاة في تقوية مسينيسا جاء فيه :" مسينيسا حقيقة صديق الشعب الروماني، لكن يجب ألا نغالي في تقويته، والأصح أن نراعي مصلحة الشعب الروماني[2]"، وفي هذا السياق أورد تيت ليف فقرة من خطبه نسبها إلى أومينيوس Euméne أحد أعضاء السيناتو سنة 189 ق،م، جاء فيها :" إن ماسينيسا قبل أن يكون حليفا لكم كان عدوكم، إنه عندما التجأ إلى معسكركم لم يصحب معه بشيء تابع لمملكة قائمة، ولكنه أقبل عليكم كرجل حكم عليه بالنفي والإبعاد ... فلم يكفكم أنه انتصب على مملكة آبائه، ولكنه أضاف إلى هذه المملكة القسم الأكثر غنى من مملكة سيفاكس، لقد جعلتم منه الملك الأكثر قوة بين ملوك إفريقيا"[3]، حسب قزال فان كاتو وزملائه رأوا بأن مسينيسا على وشك تحقيق طموحاته، بعدما أصبحت قرطاجة غير قادرة على الدفاع عن نفسها[4].

لكن مسنيسا لم يكتف بالعمل العسكري ضد قرطاجة، بل تعداه إلى العمل الدبلوماسي، إذ أسند حججه وفقا لمادة في القانون الروماني ظهرت لأول مرة، وهي حق الممتلكات Jus Possessionus وأسباب الممتلكات[5] Causa Possessionus، كما كسب مناصرين له داخل قرطاجة، بعدما شكل حزب في قرطاجة تحت قيادة حنبعل الملقب بالمتهور Annibal L'étourneau، والذي يدعوا إلى اتحاد كل إفريقيا تحت راية نوميديا، وتتحول قرطاجة إلى عاصمتها دون أن تفقد استقلالها ولا حضارتها[6]، وبذلك يمكن للقرطاجيين استغلال أراضيهم بكل أمان، وللتجار المتاجرة بكل حريـــة، و بذلك تستطيع أن تدافع عن نفسها ضد روما[7].

---

[1] Gistynski T., Afr.N.A, p53.

[2] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 30.

[3] Tite live, XXXVII, 59, 22

[4] Gsell S., H.A.A.N, T., III, pp 203-204.

[5] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 89.

[6] Gistynski T., op - cit, p48.

[7] Gsell S., H.A.A.N, T.,V, p 283.

لكن بوصول الحزب الديمقراطي للحكم ما بين 151- 150 ق،م قام بطرد مناصري مسينيسا[1]، الذي تدخل بإرسال ابنيه غلوسة ومكيبسا للتوسط لدى قرطاجة، لإعادة أنصاره، لكن تم منعهما من الدخول وطردهما، واعتدي أيضا عليهما من قبل هميلكــار، وأدى هذا إلى تخل مسينيسا ومحاصرة أورسكوبة[*] (Oroscipa) [2]، فقررت قرطاجة الدفاع عن نفسها، وجهزت جيشا يتكون من 25 ألف جندي تحت قيادة صدر–بعل[3]، الذي انضم إليه قائدان نوميديان هما "تاسيس"و "صوباس" على رأس 6 آلاف جندي[4]، فقد أغرت المناوشات الأولى صدر–بعل في اللحاق بمسنيسا، الذي استطاع أن يجلبه إلى سهل اختاره ليكون ميدانا للمعركة[5]، وتقابل الطرفان في معركة ضارية، كانت فيها الخسائر كبيرة للطرفين[6]، لكن النتيجة النهائية كانت لمسينيسا، مما اضطر قرطاجة إلى التوسط بسكيبيو، بهدف وضع حد للحرب، على أن تدفع قرطاجة ألف وزنة فضية، 200 عاجلة، والبقية على أقساط، مع تسليم الفارين النومديين لمسينيسا لكن رفض الطلب الأخير[7]، ومع نقص المؤونة، قبل صدر–بعل المحاصر التفاوض، وكان ضمن الشروط:

- السماح للمطرودين من قرطاج بالعودة، ويخص هذا البند أنصار مسينيسا الذين تم طردهم من قرطاجة بقرار من مجلس الشيوخ القرطاجي، بعدما نادوا بالتفاوض مع مسينيسا.
- تدفع قرطاجة 5000 وزنة ذهبية بالتقسيط، موزعة على 50 سنة.

---

[1] Gsell (S), H.A.A.N, T.,V, p 284.

[*] أوروسكوبة: تقع بمنطقة جبلية، وجد بها كامبس أسما إغريقيا مترجما، ربما هذا الاسم في الإغريقية يعود المقطعين من حيث الاشتقاق، أحدهما أورو Oro أو أورور Auroru، وهي ربة الفجر عند الإغريق، أما المقطع الثاني فيعني المشهد، و يمكن ترجمته أيضا " بالمشهد الذهبي" (فرحاتي، المرجع السابق، ص 95)، تقع بين منطقة السهول الكبرى و منطقة توسكا، في جبال الخمير(Camps, Massinissa…, p 194.)، أما قزال فيحتمل أن تكون هي مدينة باجة التي تقع على مرتفع علوه 300 م، (Gsell (S), H.A.A.N, T.,V , op - cit, p327)، وهو ما يتناسب حاليا مع موقع الكروميري (فرحاتي، المرجع السابق، ص 95).

[2] حارش محمد الهادي، المرجع السابق ، ص 28.

[3] نفسه.

[4] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 94.

[5] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص ص 29-30.

[6] Gsell S., H.A.A.N, T.,III , p324.

[7] Ibid , pp 324-325.

-مرور الجنود القرطاجيين من موقع واحد تباعا أمام النومديين، بحيث لا يلبس الواحد منهم أكثر من جلباب واحد قصير[1].

لكن غلوسة لم ينس يوما أنه تعرض لاعتداءات هؤلاء القرطاجيين فانقض عليهم، ولم يسلم منهم غير قليل دخل مع صدر-بعل إلى قرطاجة[2].

نلاحظ أن روما في بداية الأمر غضت الطرف عن تجاوزات مسينيسا لإضعاف قرطاجة، فزادت طموحات الملك النوميدي التي يغذيها حقده الكبير على قرطاجة، فأصبح يأمل أن يضم أراضيها إلى مملكته، ويجد في الرومان سندا له، جراء وفائه المتواصل لهم، لكن من جهة أخرى كان مجلس الشيوخ الروماني يتتبع خطوات الملك النوميدي بحذر شديد، وكانوا متخوفين بأن يضع مسينيسا يده على قرطاجة، بعدما أحس باستقلالية أكثر وهو الذي أصبح أكثر قوة، ومعنى ذلك يقول حارش قيام دولة إفريقية قوية، تقف في وجه المصالح الرومانية[3]، وهو الذي رفع شعار" إفريقيا للأفارقة"[4].

وبدعوى خرق بند من بنود معاهدة زاما التي تنص على عدم القيام بعمل عسكري داخل وخارج إفريقيا، تدخلت روما، لتضع حدا لقوة مسينيسا المتنامية لا القضاء على قرطاجة المنهارة يقول حارش[5]، لكن من الصعب إقناع الشعب الروماني بعمل ما ضد مسينيسا، بما أنه صديق وحليف الشعب الروماني[6]، والوسيلة الوحيدة لإبعاد قرطاجة عنه هو إزالتها من الوجود، فكانت الحرب البونية الثالثة (149- 146ق،م)، التي أنهت قرطاجة من الوجود، وفكان طموح مسينيسا إذن سببا غير مباشر في زوال قرطاجة[7].

---

1 De la Malle D., Yanoski M.J., *Carthage,(Afrique ancienne)*, T.,2, Fermin Didot frères, Paris, p 106.

2 حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 29.

3 نفسه، ص30.

4 Gistynski T., Afr. N. L'An, p79 .

5 حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 31.

6 Gsell S., op - cit, p 354.

7 أندري ايمار ، جانين أوبويه، تاريخ الحضارات العام، المجلد 2، روما و إمبراطوريتها، تر فريد، م. داغر، و فؤاد ،ج، منشورات عويدات، ط2،بيروت، 1981، ص 64.

وعندما قررت روما ذلك، أبدى مسينيسا استياءه، وتبين له أن جهوده لن تكون لصالحه، ودليل ذلك، أنه عندما قدم القنصلان سانهورنوس Censorinus ومنليوس Manilius لطلب المساعدة[1]، رد قائلا :" سأرسل لكم المساعدة عندما أرى بأنكم بحاجة إليها"[2]، لكن بشاري يرى أنه يصعب تصديق هذا الرأي، لَمَّا نرى كيف نظم مستقبل مملكته من بعده[3]، حيث أوكل سنة 148 ق،م وهو على فراش الموت، مهمة تنظيم نوميديا بعد وفاته إلى القائد الروماني سكيبيو ايمليانوس[4].

نلاحظ مما سبق ذكره، أن ادعاء ساليست وتيت ليف في تبعية مسينيسا لروما، وأنه يحكم المملكة بصفة وكيل، ما هو إلا ناجم عن تقليد روماني قديم، وكذا عن الصراع السياسي الذي كان بين الديمقراطيين والأرستقراطيين، وتأثرهم بأفكار الديمقراطيين، وتقليل من شأن ما هو نوميدي محلي، مستخلص من دعاة ضم أراضي الشعوب المجاورة للمقاطعات الرومانية، وهذا ما نتأكد منه بعد وصول قيصر للحكم المحسوب على الاتجاه الديمقراطي، وتحويل نوميديـــا إلى مقاطعـة رومانية سنة 46 ق،م، و هذا ما تؤكده المصادر الإغريقية من خلال ذكر سيادة محلية على المنطقة، أن السلطة الحاكمة لم تكن إلا سلطة حليفة لروما، لا وجود للتبعية في ذلك، أن الإشارات التي ذكرها ساليست و تيت ليف تفتقر إلى سند تاريخي محقق.

3– إسهامات مسينيسا:

بالعودة إلى النصوص القديمة، نجد ذكر لوجود زراعة مكثفة في بلاد المغرب قبل الاحتلال الروماني بزمن بعيد، بل سابقة لفترة ظهور الممالك النوميديـة، وتجمع النصوص على أن إفريقيا أرض الحبوب، فهيرودوت أشار إلى أن القمح والشعير أهم محاصيل منطقة نوميديا[5]، أو بالأحرى ليبيا،

---

[1] Gsell S., H.A.A.N, T., III, p 354.

[2] Ibid.

[3] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 50.

[4] Polybe, XXXVI,10. 16 ; Appien A., Lib16, Lib 10. ; Gsell. S., H.A.A.N, T.,V, p135.; Camps. G., Op - cit, p.231.

[5] Hérodote, textes établis par PH.E. Hergrand Société d'édition les belles lettres, paris ; IV .182.

ليس في المناطق الشمالية والداخلية، بل حتى الأراضي الجنوبية[1]، من خلال انتشار المطاحن فيها[2]، كما تغني الشعراء بالحقول الإفريقية، عندما اتصلوا بها[3]، فالقمح النوميدي كان ذو شهرة كبيرة في حوض البحر المتوسط، خاصة في فترة العاهل مسينيسا بعد ضم أراضي قرطاجية معروفة بخصوبتها[4]، فهو يحتل المرتبة الثانية بعد قمح إيطاليا[5].

لقد حضي مسينيسا بمدح المؤرخين القدامى والمحدثين، باعتباره الملك الذي عمم الفلاحة في نوميديا[6]، حتى ذهب البعض إلى اعتباره مُدخل الزراعة إلى نوميديا التي كان سكانها يقتاتون على النباتات[7]، حتى جاء مسينيسا وبفضل العناية الإلهية جعلته يحي رقعة واسعة من المعمورة فيها يقتاتون الحشائش، لأنهم لم يكونوا يعرفون الزراعــة[8]، وقد جعل النوميــد اجتماعيين، ومدنهم وجعل منهم فلاحين[9]، ذلك أن نوميديـا قبل مسينيسا كانت عاجزة عن إنتـاج المزروعات، حتى أتى هذا الملك، فكانت بذلك أعظم أعماله[10]، و هو الذي عجن شعبه بيديه القويتين[11].

فإذا تتبعنا أفكار المؤرخين القدامى والمحدثين، نجدهم ينسبون إلى الأمير معارف عميقة في الاقتصاد، ودون أن ننكر ذلك بمقارنة ما جاء به هؤلاء المؤرخين مع المعطيات الإيتيمولوجية والأثرية، نجد أن –كما أشرت سابقا– ظهور الزراعة في بلاد المغرب تعود إلى ما قبل القرن الثالث

---

1 Hérodote, IV,182.

2 حارش محمد الهادي، "أصول الزراعة في بلاد المغرب القديم"، **كتاب المؤتمر الثاني عشر للإتحاد العام للأثريين العرب**، الندوة العلمية 11 دراسات في آثار الوطن العربي، ج1، القاهرة،2009، ص 493.

3 مسعودي آسيا، التبادل التجاري بين ايطاليا و المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول (القرن الأول– القرن الثاني) رسالة ماجستير في التاريخ القديم، الجزائر ، 1988، ص 13.

4 Camps G., Op - cit, p 209.

5 شارن شافية، النشاط التجاري في نوميديا و موريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (العهد الإمبراطوري الأول) ، دكتوراه دولة، ج1، الجزائر، 2001، ص 496 .

6 Camps G., Op - cit, p 209.

7 حارش محمد الهدي، التطور السياسي...، ص95.

8 Polybe, XXXVI, 16.

9 Strabon, XVIII, 3.15.

10 Appien, VII. 106.

11 جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص96.

بكثير، فإذا كان قزال قد أرجعها إلى ما قبل مجئ الملاحيين الفينيقيين[1]، فإن كامبس أرجعها إلى فترة ما قبل التاريخ، ودليل ذلك أن الأدوات القفصية التي عثر عليها في مناطق مختلفة من الجزائر[2] .

لكن في نفس الوقت الذي نشك فيه عن مبالغة النصوص في مدح الملك، إلا أننا لا ننكر مساهمته في تنمية الفلاحة، فقد توفرت لديه كل الشروط لتحقيق ذلك، لقد سخر معظم حياته لاسترجاع أملاكه وأملاك أجداده، فقط ضم أملاك سيفاكس ما بين 203-203 ق،م، والتي يرى ساليست بأنها أغني الأراضي الزراعية، وأكثرها رجالا من نوميديا الشرقية، والتي تعتبر أكثر مدنا وموانئ [3]، أما سترابون فقد أشاد بخصوبة وسعة عمرانها – المازيسيل- وهي أكثر ثراء ورجالا من الجزء المحاذي لقرطاجة، وأراضي الماسيل تعد أكثر ازدهارا وأحسن استغلالا[4].

رأينا أن مسينيسا لم يكتف بأرض المازيسيل، وإنما سيطر أيضا على أجزاء من أراضي قرطاجة، منها إقليم أمبوريا سنة 162 ق،م، والسهول الكبرى سنة 153 ق،م التي تتمتع بخيرات كبيرة، فبالإضافة إلى الأرض، نجد أيضا الاستقرار السياسي لمملكة نوميديا، حيث لم يشهد حكمه أية انقلابات عائلية على السلطة[5]، كما أنه قام بتأمين الأراضي الزراعية، واتخذ إجراءات لتقليص وتحديد مجالات البدو الذين اختاروا حياة الرعي والترحال، وذلك لضمان المحاصيل، بأمين حدود ثابتة للملكيات الزراعية، كما سعى إلى إقامة قلاع لمراقبة تنقلات الرحل، وتأمين الاستقرار للمزارعين[6]، فأعطى بذلك مكانة لائقة للفلاحة، وذلك بالحد من أراضي الرعي والحد أيضا من تنقلات الرعاة[7]، وحقق بذلك نتائج تستحق الإعجاب[8].

---

1 Gsell S., H.A.A.N, T. V, p 186.

2 Camps G., Op - cit, pp 69.91.

3 Salluste, XVI

4 Strabon, XVIII, 3.12.

5 Polybe, XXXVI, 16

6 Picard G.Ch., *La Civilisation de l'Afrique romaine*, édi. Plon, Paris, 1959, p 66.

7 حارش محمد الهدي، التطور السياسي...، ص 107 .

8 Gsell S., H.A.A.N, T., V, p 190.

فإذا كان قد طوَّر الزراعة يقول قزال فإنه وجد فيها منافع باعتباره ملك[1]، فقد حكم لمدة تزيد عن النصف قرن، أما جوليان فيذكر في هذا الصدد أن البدوي هو أسوأ الرعايا، وعلى العكس منه، يمثل الحضري دافع الضرائب الذي يحلم به أي حاكم... والبدوي ما هو إلا مادة ضريبية وتحويله إلى مستقر ليس بالمهمة السهلة، وعلى من يقوم بذلك أن يجمع بين الشهرة وقوة الإرادة[2]، فحسب جوليان إذن فقد استطاع مسينيسا أن يعطي المملكة تنظيما محكما سياسيا واقتصاديا.

فإلى جانب الزراعة، اهتم الملك بالثروة الحيوانية، وهذا ما تؤكده المصادر القديمة، حتى وإن لم تشر إلى فترة مسينيسا بالتحديد، لكن أكدت أن نوميديا أولت اهتماما كبيرا له، فساليست أشار إلى أن منطقة شمال إفريقيا صالحة لحياة الأغنام[3]، وفي القرن الثاني قبل الميلاد كتب بوليب، يقول :" كنز هذا الوطن هو الخيول، البقر والغنم على نحو لم نرى له مثيلا في باقي المعمورة"[4]، و يرجع ذلك إلى أن أغلبية القبائل الليبية لم تهتم بالزراعة، وكانت تعيش من قطعانها و مع قطعانها[5]، أما تيت ليف فيعتبرها ثروة أساسية في تنمية الاقتصاد النوميدي[6].

لقد اهتم الملوك اهتماما كبيرا بالخيول، وما يدل على ذلك هو قِيامِهم بإحصاء المهارى كل عام، وحسب ما ذكره سترابون فان عدد المهارى يصل إلى مئة ألف مهرى، دون أن يحدد عهد أي ملك تم ذلك[7].

وفي سياق ذكر مساهمة مسينيسا، يصفه كامبس بأنه الفاتح والمهندس الفلاحي، والاقتصادي، واللغوي، من حيث أنه وجه العمل لاختراع ألفباء ليبية [8]، ويذكر بيكار أن مسينيسا يمكن أن يكون قد فكر ذات يوم في إنشاء ثقافة ليبيــة وليس مستبعدا أن تكون الألفباء الليبية قد اخترعت في بلاطه

[1] Gsell (S), H.A.A.N, T.,V, p187.

[2] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 134.

[3] Salluste, XVII.5.
[4] Polybe, XII, 3.
[5] Ibid, XII, 3.
[6] Tite live, XXIX, 31.
[7] Strabon, XVIII, 3.19.
[8] Camps G., Op - cit, p15.

وتحت رعايته [1]، وهذا ما يشك فيه حارش لأن هذا القول لا يقوى على الثبات، ويستدل في ذلك بأن نماذج الكتابة الليبية العائدة إلى القرن الثاني قبل الميلاد تتضمن تنوعا نسبيا في أشكال الحروف، مما يؤكد على قدم الأصل المشترك لها[2]، وهو مصلح ديني أيضا يقول كامبس[3]، فنجد كاركوبينو أيضا يذكر أن عبادة الإلهة كيريس Cereres انتشرت لدى النوميـد قبل سقوط مملكة يوبا الأول في يد الرومــان[4]، ويرى بعض المؤرخين أن مسنيسا هو من جعل النوميد يقبلون على عبادة هذه الآلهة، وبذلك أضفى مسنيسا مسحة أسمى وأقرب إلى المدينة من دون أن يصدم ميولهم[5].

4- علاقات نوميديا الخارجية في فترة مسينيسا: لقد استرجع مسينيسا معظم المدن الساحلية التي أصبحت بوابات له على عالم البحر المتوسط، وكسر بذلك الاحتكار الذي فرضته قرطاجة، ومن بين الموانئ التي ضمتها نوميديا، نجد موانئ إقليم طرابلس (لبدة، أويا، صبراتة)، وكذلك المحطات والموانئ التي تمتد من سيغا إلى السرت الكبير، فقد واصلت تلك المحطات والموانئ لنشاطها في عهد الملوك المحليين[6]، فقد تخصص ميناء هيبو ريجيوس في تصدير الحبوب والأخشاب نحو ميناء أوستيا، وبوزول[*]، وصقلية[7]و كذلك ميناء روسيكادا وصلداي الذي يعتبر منفذ لتصدير الزيوت، وميناء طبرقة لتصدير مرمر شمتوا وموانئ يول قونوفو (قوراية)، وموانئ إقليم طرابلس لتصدير الزيوت والحيوانات[8]، وسلع إفريقيا كالعاج والعبيد[9]، وبذلك ساهمت في إنعاش الحركة التجارية لمملكة نوميديا، التي مثلت إحدى مظاهر السيادة لهذه الدولة مع مختلف دول حوض البحر المتوسط، ويتجلى لنا من بعض المعطيات النصوصية القديمة نجاح مملكة نوميديا في فرض تواجدها ضمن

---

[1] Picard G. Ch., *le Monde de Carthage*, 1956, p. 78, D'après Camps G) , op-cit, p 15.

[2] حارش محمد الهادي، "حول أصول الكتابة الليبية "، **كتاب المؤتمر الثاني عشر للإتحاد العام للأثريين العرب**، الندوة العلمية 11 دراسات في آثار الوطن العربي، ج1 ، القاهرة،2009، ص 378.

[3] Camps G., Op - cit, p15..

[4] Carcopino J., *Le culte des Cereres et les Numides*, **Rev. Hist**., T. CLIX, 1928, pp 13-47.

[5] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 136 .

[6] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 151.

[*] بوزول: مدينة تقع في شمال غرب نابولي في جنوب غرب ايطاليا على ضفاف البحر المتوسط.

[7] شارن شافية، المرجع السابق، ص ص 229-230.

[8] Strabon, XVIII, 3.5.

[9] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص ص 51 -52.

المبادلات التجارية الدولية التي ميزت الضفة الشمالية لحوض البحر المتوسط، كما أن بعض المعلومات التي تفيدنا بها تساعد إلى حد ما على تسليط الضوء على بعض جوانب المبادلات التجارية.

أ **مع رومـــا:** رأينا من قبل إشارة المصادر الأدبية لمدى ازدهار الزراعة في نوميديـا، وبذلك كان عامل مُهم في ازدهار النشاط التجاري لها، والذي ساهم بدور هام في اقتصاد حوض المتوسط، وكذلك تفيدنا بعض النصوص في إبراز المبادلات التجارية بين نوميديا وروما، وقد ساعدها على ذلك، علاقة التحالف التي عقدت بين الطرفين، فعرفت حركة نشيطة نتيجة تواجد جالية ايطالية كبيرة بالعديد من مدن المملكة التي كانت أسواقا كبرى كمدينة أوتيكا، وباجة الحديثة التي يصفها ساليست بأنها سوق المملكة حيث يقيم بها عدد كبير من التجار والإيطاليين[1]، وكذلك شهدت سيرتا نفس النشاط، كما أشار ساليست إلى التجار الإيطاليين الذين تواجدوا بالمملكة في عهد يوغرطة(118 ق،م- 105 ق،م)[2]، وتحدث صاحب كتاب حرب إفريقية عن التجار الذين قدموا إليها في عهد يوبا الأول[3]، فإن ظهورهم في نوميديا قد يرجع إلى عهد مسينيسا، حين أقحم مملكته في تجارة حوض المتوسط آنذاك.

لقد احتلت الحبوب مركز الصدارة في صادرات مملكة نوميديا، هذه المادة كان مجتمع روما بأمس الحاجة إليها لاسيما وأن نسبة منها كانت توزع مجانا على عوام المدينة[4]، التي مثلت حسب حارش صفقات تجارية بكل ما تحمله الكلمة من معاني، وهذا خلافا لمن يرى أن هذه الحبوب كانت تقدم عربون صداقة لا غير[5]،وذلك من خلال إشارة تيت ليف إلى تأسف مسينيسا عندما دفعت روما سعر القمح الذي قدمه هبة لها سنة 170 ق،م[6]، وفيما يلي الصفقات التجارية بين الطرفين خلال الفترة الممتدة من 200 ق،م – 170 ق،م:

---

[1] Salluste, XXI ; XXLVIII ; XLIV

[2] Ibid, XXVI - XXVIII.

[3] César J., *La guerre D'Afrique*, trad par A. Bouvet, les belles Lettres, paris, 1949, XXXVI.

[4] خديجة منصوري، "العلاقات الخارجية بين مملكة نوميديا و دول الضفة الشمالية لحوض البحر الابيض المتوسط من خلال النصوص القديمة"، **مجلة الجزائر النوميدية**، قسنطينة، 2010، ص 87.

[5] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 153.

[6] Tite live , XLV,13 .

-سنة 200 ق،م : أرسل مسينيسا 200 ألف صاع من القمح للجيوش الرومانية المحاربة في مقدونيا ، و 200 ألف صاع من الشعير[1].

-سنة 198 ق،م: أرسل 200 ألف صاع من القمح إلى الجيوش المحاربة في اليونان، وإلى الجيوش المحاربة في صقلية وسردينيا بمختلف المواد، ومنها الحبوب[2].

-سنة 190 ق،م: أرسل مسينيسا إلى روما 300 ألف فصاع من القمح، و250 ألف صاع من الشعير، وفي نفس السنة أرسل 500 ألف صاع من القمح، و300 ألف صاع من الشعير للجيوش المحاربة في مقدونيا[3].

-سنة 171 ق،م: أرسل 87.540 هكتولتر كميات من القمح إلى الجيوش الرومانية المحاربة في مقدونيا[4].

- سنة 170 ق،م: أرسل إلى الجيوش الرومانية المحاربة في مقدونيا مليون صاع من القمح[5]، كما أرسل القمح إلى الجيوش المحاربة في سوريا ضد أنتيخيوس[6] .

و بلغة الأرقام، نجد أن الهيكتولتر من القمح يزن 80 كلغ، وإذا قدرنا 60 كلغ للهيكتولتر من الشعير، نجد أن مسينيسا قدم سنة 200 ق،م حوالي 14 ألف قنطار من القمح، و10.500 قنطار من الشعير، بينما وصلت سنة 170 ق،م إلى 70 ألف قنطار من القمح[7].

إضافة إلى الحبوب فقد صدرت نوميديا الحيوانات مثل الفيلة وكانت تجارتها واسعة خاصة أنيابها[8]، ففي الحرب التي قامت بها روما ضد فليب بمقدونيا سنة 198 ق،م قدم لها العاهل 10 فيلة[9]، وفي حروبها أيضا ضد ملك سوريا أنتيخيوس تقدم مسينيسا بعرض لإرسال 20 فيل[10]،وفي

---

[1] Tite live, XXXI ,19.3-4.
[2] Ibid, XXXII , 28.2.
[3] Ibid, XXXVI, 3-4.
[4] Ibid, XLII, 3-4.
[5] Ibid, XLIII, 29.
[6] Ibid, XXXII, 6.
[7] حارش، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 109.
[8] Locoq A., *Le commerce de L'Afrique Romaine*, B.S.G.O, T., 32, 1912, p 474.
[9] Tite live, XXXVI ,2.7.
[10] Ibid, XXXVI, 4.8.

171ق،م طلب الرومان من مسينيسا في حروبهم ضد بيرسيه Percée ملك مقدونيا، فقام بإرسال ابنه مسجان Misagane مع 22 فيل(1)، كما بعث فابيوس مكسيموس ايمليانوس إلى مسينيسا يترجاه بأن يرسل إليه الفيلة في أسرع وقت ممكن(2)، وفي سنة 153 ق،م قدم القنصل فوفليوس نبليـور والذي كان في حملة على السلتي-ابيريين Celtibères فقدم مساعدة بـ 10 فيلة(3).

كما أشار تيت ليف أيضا إلى عقد مسينيسا لعدة صفقات مع روما لتزويدها بالخيول النوميدية غلى النحو التالي:

-سنة 200 ق،م: اقترح مسينيسا تقديم 2000 خيل لكن روما قبلت ألف فقط(4).

-سنة 198 ق،م: أرسل مسنيسا إلى روما 200 خيل(5).

-سنة 191 ق،م: أرسل مسنيسا إلى روما 500 خيل(6).

-سنة 171 ق،م: أرسل مسنيسا إلى روما 1000 خيل(7).

-سنة 170 ق،م: أرسل مسنيسا إلى روما 1200 خيل(8).

ففي الوقت الذي احتاجت روما للخيول والفيلة النوميدية لتموين جيوشها، احتاجت أيضا لحيوانات الملاهي، فقد تحدث المصادر عن إرسال نوميديا للأسود، الفهود، العسابر، الضباع، الدببة، التي كانت محل تجارة واسعة مع الرومان(9)، وظهرت في مختلف الألعاب، فقد اشترى سكووروس Scourus 150 فهدا، واشترى بومبي Pompée 410 فهدا(10)، بالإضافة إلى الأبقار والأغنـام والمعز التي كان الطلب عليها كثيرا، و كانت محل تجارة نشيطة(11).

---

1 Tite live, XLII, 26.

2 حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 153.

3 Appien, lber, 46.

4 Tite live, XXXI ,19.3.

5 Ibid, XXXVI, 4.8.

6 Ibid, XXXII, 27.8.

7 Ibid, XXXII, 62.

8 Ibid, XLIII, 6.

9 حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص ص 154-155.

10 Pline A., VII , 24.

11 حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 155.

هذه بعض مظاهر العلاقات الاقتصادية التي أثبتتها المصادر القديمة، والتي ركزت فيها على فترة مسينيسا، وإن كانت هناك إشارات لفترات لاحقة لحكمه، لكن من المحتمل أنها وجدت أيضا في فترة العاهل مسينيسا، وذلك بحكم التعاون والتحالف الذي كان بينه وبين روما، لكن الكثير من المراجع تذكر أن هذه المبادلات ما هي إلا هبات قدمها العاهل لروما عربون صداقة، لكن بعض الإشارات الواردة في بعض المصادر الأدبية تبين أن هذه الكميات التي أرسلها كانت صفقات تجارية بين الطرفين، فتيت ليف أشار إلى أن مسغبا Masgaba ابن مسينيسا نزل في بوزول Pouzoule فوجد الكاستور منليوس Manluis الذي بعثه مجلس الشيوخ لاستقباله وقيادته إلى روما، وتم استقباله بطريقة مشرفة جدا، وأمام مجلس الشيوخ الروماني أخذ مسغبا الكلمة، وتحدث فيها عن المساعدات المقدمة من طرف والده سواء العسكرية أو الاقتصادية، وكذا الأموال التي قام الرومان بإرسالها إلى العاهل النوميدي مقابل القمح المقدم[1]، وفي إشارة ثانية كما سبق وأشرنا إليها، أن الملك مسينيسا تأسف عندما دفعت روما سعر القموح التي قدمها لها سنة 170 ق،م[2]، لكن بالمقابل في نفس الإشارات التي ذكرها تيت ليف توحي إلى أنها كانت هبات قدمها العاهل لروما، وهذا ما تذكره بعض المراجع.

ب –**مع بلاد الإغريق**: يذكر معظم المؤرخين القدامى والمحدثين على وجود علاقات متبادلة مع بلا الإغريق، وهذا ما تؤكده أيضا النقوش واللقى الأثرية خاصة العملات التي تم العثور عليها في منطقة بلا المغرب أو في معظم دول أوربا الحالية.

يذكر كامبس أن مسينيسا سارع إلى جلب التجار الإغريق إلى نوميديا[3]، وقام بربط علاقات اقتصادية معهم، وعقد صفقات تجارية كبرى، خاصة جزيرتي رودس وديلوس[4]، فقد أرسل مسينيسا أخشاب العفصية والعاج[5]، وكذا القمح والشعير[6]، والتمثال الذي وضع على شرف

[1] Tite live , XLV,14 .
[2] Ibid, XXXVI , 3,1 ; XLV, 13.
[3] Camps G., Op - cit, p197.
[4] Gsell S., *H.A.A.N*, T., III, p 307.
[5] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 159.
[6] Gsell S., *H.A.A.N*, T.,V, p 211.

مسينيسا من قبل رودسي[1]، دليل على المكانة التي حضي بها الملك في رودس، حيث لا يستبعد قزال على أنه تاجر عقد صفقات تجارية كبيرة مع العاهل[2]، كما أقام له نيقوميدوس ملك بيثونيا نَصْب على شرف مسينيسا أيضا[3]، والنقود الرودية التي عثر عليها في الجزائر[4] دليل واضح على مثل هذه العلاقات .

كما تكشف لنا المصادر عن علاقات تجارية لنوميديا في فترة العاهل مع جزيرة ديلوس، من خلال الإشارة إلى صفقات القمح والشعير التي عقدها، وقام بإرسالها إلى الجزيرة سنة 191 ق،م منها 500 ألف صاع من القمح أي 430.770 هكتولتر، و300 ألف صاع من الشعير أي 26262 هكتولتر[5]، كنوع من الهبة لحساب معبد أبولون حسب تيت ليف[6]، كما أرسل أيضا سنة 179 ق،م 500 ألف قنطار من القمح[7]، حتى أنه أقيم له تمثال في ديلوس من أحدهم كان يقول بأنه صديق للملك[8].

والعثور على قطع نقدية تحمل وجه مسينيسا[9]، دليل على وصول النوميديين إلى هذه المناطق وبالمقابل تم العثور أيضا على قطع نقدية إغريقية في بلاد المغرب[10]، وكذلك مصابيح إغريقية في مختلف المناطق الساحلية والداخلية [11]، يتوقع أنها استخدمت في الطقوس الجنائزية والاحتياجات اليومية خاصة[12] وأنها تعرف انتشار عبادة الإله سيريس في بلاد المغرب خلال فترة العاهل مسينيسا، كما عثر في سيرتا على جرار رودية في مدافن إحراق الموتى، وهي شاهد على

[1] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 159.

[2] Gsell S., *H.A.A.N*, T.,III, p 307.
[3] Camps (G), Op - cit, p 226 .
[4] Moncaux P., *Grecs et maures d'après les monnaies Grecque du musé d'Alger*, **Rev. C. Afr**, T2, 1884, pp 346 et 350.
[5] Tite live, XLIII, 6.
[6] Ibid, XLIII, 8.
[7] Ibid, XLIII, 6.
[8] Camps G., Op - cit, pp 198-199.
[9] Gsell S., H.A.A.N, T.,VI, p 80.
[10] Picon M., *Chronique*, **Rev. Afr**, T.2, 1857, p 415.
[11] Gsell S., H.A.A.N, T., VII, p 106.
[12] شعبان على أحمد، السياسة الخارجية لمملكتي نوميديا و موريطانيا قي عهد الممالك من القرن الثالث قبل الميلاد إلى 40م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 133.

دخول السلع الإغريقية إلى قلب نوميديا، كما سمحت أيضا الأختام المحفوظة على مقابض أغلب الجرار المؤرخة بداية القرن الثاني قبل الميلاد على تأكيد ذلك[1].

نتج عن هذا التبادل الاقتصادي تأثير على الحياة الاجتماعية، ونلاحظ ذلك في أن مسينيسا أعطى لأبنائه تربية إغريقية، خاصة مستنبعل الذي فاز ما بين 168- 163 ق،م في الألعاب الأثينية[2]، كما لم يكتف مسينيسا بإقامة علاقات تجارية، بل جلب جاليات إغريقية إلى نوميديا، حيث وجد بسيرتا جاليات إغريقية قد استوطنت منذ عهد مسينيسا، كما كان يقيم حفلات تحييها فرق موسيقية إغريقيـــة، وهذا ما انعكس على الحياة الثقافية في نوميديا، حيث نجد كتابات إغريقية غير مؤرخة في معبد بعل-حامون من المرجح أنها تعود لفترة مسينيسا، وقد أطلقت أيضا أسماء بونية على الجالية الإغريقية[3].

وبذلك امتازت سياسة مسينيسا بالانفتاح عل العالم الإغريقي لأول مرة في تاريخ نوميديا، بعدما كانت قرطاجة هي التي تلعب دور الوسيط في بث ونشر الحضارة الإغريقية .

ج- <u>مع شبه الجزيرة الايبيرية</u>: لا تحتفظ لنا النصوص القديمة بمعلومات دقيقة حول العلاقات التجارية بين ايبيريا ونوميديا، وتعتبر إشارة سترابون الوحيدة التي تفيدنا بذلك، خلال حديثه عن مدينة مالقا مفادها أن هذه الأخيرة كانت السوق التي يتردد عليها النوميد[4]، ويتضح لنا من خلال نوع المنتوجات التي اشتهرت بها المنطقتين، أن هناك تشابه كبير بينهما، فقد صدرت مدينة توردييتانيا (الاندلس) القمح والخمر بكميات كبيرة، والزيت من النوع الممتاز والعسل، وشمع العسل، والأقمشة الكتانية ذات الجودة العالية والأقمشة الصوفية، ودون أن ننسى الذهب والفضة والنحاس والحديد[5]، ولكن بعض هذه المنتوجات متوفرة بكثرة بمملكة نوميديا، فهل يمكن إذن استبعادها، ومن جهة أخرى تبين لنا النقوش عن وجود ايبيريين في المناطق التي يتم فيها انتاج الحبوب مثل سيرتا، وسيكا

---

[1] Camps G., Op - cit, p 240.

[2] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 275.

[3] Camps G., Op - cit, p 201.

[4] Strabon, III, 4, 2.

[5] Strabon, III, 2, 6 ; III, 2, 8.

فنيريا Sicca Veneria[1]، الشيء الذي دفع سامبير إلى الاعتقاد بوجود تصدير للقمح من نوميديا نحو شبه الجزيرة اليبيرية[2].

لا يستبعد بونال أن تكون نوميديا قد استوردت الأقمشة الكتانية والمعادن من ابيريا[3]، في حين يتساءل البعض عن مصدر الأواني الفضية المكتشفة بضريح الخروب، والأواني الفضية والسلال الذهبية التي كانت تزين الموائد خلال الحفلات التي أحياها مسينيسا[4]، فهل استوردت من إسبانيا، أسئلة لا نملك الاجابة عنها، باستثناء بقايا الخزف والأمفورات الإيبيرية المكتشفة في هيبون والمنسوبة إلى القرن الثاني قبل الميلاد، فيعود مصدرها إلى ايبيريا[5].

إضافة إلى ذلك، يشير سترابون إلى استئناس سكان ابيريا لبعض القطط الموحشة التي اشتروها من المغرب القديم لصيد الفئران[6]، لعل بعضها جلب من نوميديا[7]، كما أقر كولوميلا تصدير الكباش النوميدية[8]، والتي كانت موجهة للتربية[9]، وذلك للمكانة التي تحتلها المواشي الافريقية بنوعيتها العالية[10]، وبأعدادها الهائلة التي لا مثيل لها في كل العالم[11].

لقد مثلت العلاقات الخارجية للمملكة النوميدية خاصة التجارية منها احدى مظاهر السيادة النوميدية على أراضيها ومصالحها، وهذا راجع للثروات الهائلة التي ساهمت في شهرة الممالك المحلية، والتي جلبت أنظار القوى الأجنبية، ونخص بالذكر الدولة الرومانية التي عرفت كيف تساير الأوضاع في المنطقة، وتتدخل في شؤونها من باب التحالف والصادقة.

---

1 Monceaux P., *Grecs et Maures*…, pp 354-356.

2 Sempere H., *Les Ports et la vie Maritime, de L'Afrique du Nord Antique de Carthage à Tanger*, D.E.S, Faculté des lettres. Alger, 1957, p 191.

3 Bonnel, *Monuments gréco-punique de la souma*, **Recueil de Constantine**, T49, 1945, pp 167-172.

4 منصوري خديجة، المرجع السابق، ص 91.

5 Morel J.P., *Recherches stratigraphiques à Hippone*, B.A.A, 1868, p82.

6 Strabon, III, 2, 6.

7 منصوري خديجة، المرجع السابق، ص 91.

8 Columelle L.J.M., *L'Economie rurale*, trad Dudois louis, édi C.L.F, Panckoucke, paris, 1845, VII. 2.

9 منصوري خديجة، المرجع السابق، ص 91.

10 Sempere H., Op-cit, p 191.

11 Polybe, XII, 3.

ثالثا: في فترة حكم مكيبسا:

1 تقسيم السلطة: لقد ترك مسينيسا بعد وفاته سنة 148 ق،م مملكة نوميديا في أقصى اتساع لها، فهي تمتد من السرت شرقا إلى الملوية غربا، فحسب شنيتي كانت أول دولة في تاريخ الجزائر خاصة، والمغرب الكبير عامة، بلغت المستوى الرفيع من القوة والازدهار(1).

يذكر بعض المؤرخين أن مسينيسا تفطن في آخر حياته لخبث الرومان واستغلالهم له، لتحقيق مآربهم(2)، بعدما كان حسب قزال بمثابة التابع المعترف المخلص(3)، و على حد قول تيت ليف فقد صرح بتواضع أنه إنما كان يتصرف في منطقة تبقى روما هي المالكة الحقيقية لها(4)، فتذكر المصادر أنه رفض مد الرومان بالدعم العسكري عندما طلبت روما قبل اندلا ع الحرب البونية لثانية، قائلا لهم :" سأرسل لكم المساعدة عندما أرى أنكم بحاجة إليها(5)، لكن إلى أي مدى نصدق ذلك ؟، لَمَّا نرى كيف نَظَّم مستقبل مملكته من بعده، بحيث أوكل سنة 148 ق،م وهو على فراش الموت، مهمة تنظيم نوميديا إلى القائد الروماني مهدم قرطاجة سكيبيو ايميليانوس(*)، حسب ما أوردته بعض المصادر، لكن ما مدى صحة ذلك ؟، وإن صدقت هذه المصادر، كيف يفسر قرار مسنيسا ؟، هل يعود إلى ولائه المطلق، و ثقته في روما ؟، ألم يتفطن إلى نوايا روما و مخططاتها تجاه المنطقة ؟، أم أن كبر سنه يقول بشاري، حيث قارب التسعين سنة، أفقده القدرة على التمييز بين الأمور؟(6)، ألم يكن من الأرجح له احترام التقاليد النوميدية القائمة على اعتلاء أكبر العائلة الحاكمة العرش عند

1 شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة، ص34 .

2 بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 50.

3 Gsell S., H.A.A.N, T.,III , p 255.

4 فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 74.

5 Gsell S., Op - cit ,p 254.

* سكيبيو ايميليانوس: قائد أعلى بأركان الحرب الروماني، ولد عام 185 ق،م، و مات مقتولا سنة 129 ق،م، و هو ابن بوليس إميل، دخل أسرة سكيبيو بالتبني، عين قنصلا قبل السن القانوني عام 147 ق،م، و كان بطل الحرب البونية الثالثة. أنظر: حارش، التطور السياسي...، ص 35.

6 بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 50.

خلوه ؟، لكن بالمقابل ألم يكن نوع من الإصلاح يقول حارش؟[1]، أم استمرارا لنظام قديم يقول بيكار[2] ؟.

حسب ما يذكر أبيان فإن سكيبيو إثر وفاة مسينيسا، قرر تقسيم السلطة في نوميديا بين أبناء العاهل النوميدي الثلاثة، فمنح مكيبسا السلطة الإدارية، وغلوسة السلطة العسكرية، ومستنبعل السلطة القضائية وربما جباية الضرائب[3]، أما قزال فيذكر أن مسينيسا دعا سكيبيو للحضور إلى سيرتا، قصد استشارته في كيفية تسوية خلافته، لأنه كان يشعر بالود الصادق لسكيبيو، الحفيد بالتبني الذي نصبه على مملكته، فهو يشعر أنه يرتكب خطأ إذا خرج عن وصايتها –روما-، إنما فضل أن يشاركها فيما يعتزم القيام به، عن طريق استشارته لرجل من أعلى الأسر الرومانية[4]، لكن لما وصل سكيبيو إلى سيرتا كان الملك قد توفي قبل يومين[5]، وكان قد نصح أبنائه بإتباع قرارات سكيبيو، فقرر الأخير أن يرث الأبناء الثلاثة الشرعيون الثروات التي خلفها مسينيسا[6]، وفي موضع آخر يقول:"لقد ختم حياته بنوع من الاعتراف بأن مصير نوميديا يتوقف على الرومان، والملك القوي الأعظم من بين كبار حكام البربر، سَلَّم مصائر المملكة لإخيار وتحكيم أجنبي[7].

أما كامبس فيصف ذلك بأنه اعتراف بالعجز والخضوع، بهذا القرار لم يتصرف مسينيسا كحاكم سيد بل تصرف كما لو أنه مجرد حاكم مفوض من روما، فلا يمكن نفي تحكيم سكيبيو يقول كامبس، واعتباره أسطورة، فالنصوص أساسية ولا تمثل أي تناقض، وتمت تسوية وراثة العرش في الواقع من قبل الرومان، على يد سكيبيو الذي إن خفيت عليه الطريقة فإنه لا تخفى عليه حينئذ القواعد التي ستطبق، ثم يختم قوله بتساءل هل كانت عظمة مسينيسا تكمن في خضوعه العبودي لإرادة روما[8].

---

[1] حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي....، ص 105.

[2] Picard G.Ch., *La civilisation de L'Afrique Romaine*, édi Plon, paris, 1959, pp 39-40.

[3] Appien A., Lib.106.

[4] Gsell S., *H.A.A.N*, T., III, p 300.

[5] Polybe, XXXVI, 16.18.

[6] Gsell S., Op - cit, pp 300-301.

[7] Ibid, *H.A.A.N*, T., V, p 162.

[8] Camps G., Op - cit, p 279.

فان كان هو صاحب الفكرة–حسب كامبس– لِمَ لَمْ تكن لديه قوة الشخصية لجعلها معروفة لأبنائه أو فرضها عليهم، وإن كانت أمليت عليه من قبل روما، فقد قبلها ولم يحاول استباق الزمن بالإعلان قبل وفاته أنه يريد وريثا واحدا للعرش، وأما إن كان القرار فروض عليه من قبل الأمراء الأفصال، فإن سلطته كانت حينها ضعيفة جدا، ولعل العاهل وقد تقدمت به السن كان متخيلا بل وفي نفس الوقت واعيا بالضعف الداخلي للمملكة، والمصاعب الناجمة عن الشروط الرومانية، ليترك مصير سلالته بين يدي سكيبيو الاميلي[1].

نعتقد أن القائد الروماني ابتدع طريقة حكم جديدة، بتقسيمه السلطات، كان الهدف منها إثارة الخلافات بين الإخوة، حتى تتمكن روما من التدخل في شؤون نوميديا لدعم من تراه مستعدا وقادرا على خدمة مصالحها في المنطقة، أو للعب دور الحكم في حالة وقوع خلافات بين الإخوة، مما يجعلها تكسب ود الجميع، وما تجنيه من وراء ذلك من مكاسب اقتصادية وامتيازات سياسية وعسكرية[2]، في حين يرى شنيتي أن مسينيسا مدين للرومان بعدما توجوه ملكا رسميا على نوميديا عقب القضاء على مملكة سيفاكس سنة 203 ق،م، فرأى من الحكمة أن يجنب خلفائه الصدام بالرومان، بعدما أوصاهم بالوحدة، وأن يرضي الرومان من جهة لإرجاع الخلافة إليهم لكي يقوموا بعملية التتويج، كما فعلوا معه من قبل، ومن ثمة يضمن مستقبلا حسنا للعلاقات بين الطرفين، وبذلك أنقذ مسينيسا مملكته من احتمال أحد الخطرين: الفتنة الكبرى بين أولاده حول وراثة العرش، أو نقمة الرومان في حالة عدم استشارتهم في موضوع الخلافة، كما أن روما كانت تهدف من وراء هذا التقسيم إلى تجنيب الرومان العواقب التي يمكن أن تنجم عن ثورة أحدهم على الذي ينفرد بالسلطة من جهة، ومن جهة أخرى لتشعر الملوك أن قضايا المملكة والفصل في أمورها يعود للرومان، وهم أصحاب النفوذ فيها[3].

[1] Camps G., Op - cit, p 279.

[2] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 51.

[3] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 30-31.

يبدوا أن السياسة الرومانية المنتهجة مع نظام الحكم النوميد بعد وفاة مسينيسا، اعتمدت على مبدأ تقسيم السلطات للحفاظ على امتيازات الرومان التي أسس خطط لها سكيبيو، ونفذها بإتقان مسينيسا، كما أن سكيبيو لم يكن واثقا بأن سياسة مسينيسا تجاه روما ستستمر في حالة ما إذا انفرد أحد أبنائه بالحكم، غير أنه بعد انفراد مكيبسا وسَيْرِهِ على خطى والده بدد مخاوف الرومان و لو إلى حين[1].

لكن بالمقابل، حتى وإن صحت هذه الآراء، ألم يرد عند بعض المصادر أن مسينيسا عهد إلى ابنه مكيبسا بالخاتم، الذي يرمز إلى السلطة والقيادة، وهي إشارة إلى أحقيته في الخلافة والملك شرعيا، ونظام الوراثة المتعامل به عند الماسيل كما هو معلوم هو حق السلطة لأكبر العائلة الحاكمة سنا[2].

إن هذه الملابسات ناجمة عن سكوت المصادر خاصة المحايدة منها، وبذلك يمكن اقتراح عدة افتراضات لأسباب إخيار الحكم الثلاثي والتخلي عن القاعدة القديمة لتولى الحكم في النقاط التالية:

1 –لقد كان هؤلاء الأبناء الثلاثة في فترة حكم والدهم مسينيسا، يساعدونه في أداء مهامه السياسية والعسكرية، وعند وفاته واصلوا مهامهم السابقة التي لم تتغير، فكان مكيبسا يساعد أباه في شؤون السياسة والإدارة واستمر فيها، وقاد غلوسة الجيش وأكمل نفس المهام، بينما أسندت لمستنبعل الأمور الاجتماعية والقضائية المناسبة لتكوينه[3].

2 –شخصية مكيبسا، الذي وصفه أبيان بأنه شخصية مسالمة[4]، وقد اعتبره قزال ضعيف.

3 –الشخصية يفتقر إلى القوة، لأنه تبنى في وقت لاحق يوغرطة[5]، لكن التاريخ يبين عكس ذلك، فقد أثبت جدارة في إدارة نوميديا، ووصلت المملكة إلى درجة من الازدهار والتطور في فترة حكمه، كما أنه لا إشارة من مسنيسا تثبت تقليل لشأن مكيبسا في إشراك إخوته في الحكم.

---

[1] Lacroix M.L., op.cit., p. 25; Gaid M., *Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina*, Tom.1, éd. Mimouni, Alger, 1990, p. 102.

[2] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 142.

[3] شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص40.

[4] Appien A., Lib.105.106.

[5] Gsell S., H.A.A.N, T.,V, p 113.

4 -يرى البعض أن القرار اتخذ من قبل مجلس الشيوخ الروماني، وقد أرغموا مسينيسا على التقسيم عملا بمبدأ"فرق تسد" [1]، لكن بالنظر إلى حكم مسينيسا، فقد وجد رؤساء قبائل وأمراء يتمتعون بحكم شبه مستقل، يمكن لهم التدخل والتعبير عن إرادتهم، كما أن فترة مسينيسا لم يكن بالحاكم المستبد[2] .

5 -يذكر حارش أن هذا التقسيم ربما هو إصلاح إداري قام به العاهل، بدليل أن هذا النظام تكرر بعد وفاة مكيبسا، فقط ورثه كل من عزربعل، حفصبعل، يوغرطة، فهو يشير إلى الإصلاح السابق، وربما أيضا بعد وفاة غودا حسب ما يفهم من المصادر التي تتحدث عن ثلاثة حكام في نوميديا، وهم حفصبعل الثاني، هيرباص، مسينيسا الثاني[3].

6 -يرجع شارل بيكار هذا التقسيم إلى تقليد نوميدي قديم، حيث حكم مدينة مكثر Mactar والتوبوروس Althiburos وسيرتا Cirta ثلاثة حكام " أشفاط" وهو تقليد مخالف القرطاجيين الذين اعتادوا على نظام الحاكمين[4]، فنقيشة حتحور بمكثر التي تبين أن عدد حكامها هو ثلاثة، و يؤكد ذلك شاهدة قبر كنتوس فيريوس روقاتوس Q.Verrius Rogatos التي ورد فيها الشخص بلقب Truimvir، و نفس الشيء نجده سيرتا، روسيكادا و ميلاف التي حكم هذه المدن الثلاث بعد إلغاء الكونفدرالية السرتية ثلاث أشفاط، كما تؤكد ذلك النقوش، والتي تتحدث ولاة في يول"القل" أيضا[5]، وحسب بيكار فإن تقسيم السلطة بين الإخوة الثلاثة والنظام الإداري في هذه المدن جاء وفقا لتقليد نوميدي قديم، وجد في المدن عكس القبائل[6].

---

[1] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 142.

[2] نفسه.

[3] حارش، محمد الهادي، التاريخ المغاربي....، ص ص 105-106 .

[4] Picard G.Ch., *La civilisation de L'Afrique Romaine*..., pp 39 - 40.

[5] حارش محمد الهادي، "ساليستيوس وحرب يوغرطة"، **مجلة الدراسات التاريخية** ، تصدر عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، ع 5، 1988، ص ص 56-57.

[6] Picard G.Ch., Op - cit, pp 39 – 40.

7 –أن هذا النظام كان معروفا في العصر الهلينستي، وضع أساسه الفرس ثم أخذه الإسكندر وطبقه في مصر بعد فتحها، ثم نقل إلى بلاد المغرب.[1].

8 –السبب الحقيقي لمجئ سكيبيو إلى المنطقة هو من أجل طلب العون العسكري من نوميديا، الحليف القوي ضد قرطاجة، فربما اشتم بأنفه–سكيبيو– السياسي تقول فرحاتي رائحة الصراع إن نشب بين الإخوة، فسيكون من شأنه شغل الحليف النوميدي بصراعات داخلية عن مساعدة روما، التي تعول عليها الإستراتيجية الرومانية[2].

بقرار أو بموافقة من سكيبيو، أصبح مكيبسا رئيسا لإدارة نوميديا، ومصطنبعل مشرفا على الشؤون القانونية، وكان مشهودا له بالإطلاع الثقافي، إذ سافر إلى العديد من المدن، ونهل من موارد الثقافات الإغريقية والرومانية، حتى أنه شارك في الألعاب البانثينية، أما غلوسة وهو أصغرهم سنا، فقد تولى شؤون الجيش[3]، وحمل الإخوة الثلاث لقب ملك[4].

غير أنه حسب بعض المؤرخين، سرعان ما ظهر الخلاف بين الإخوة، وذلك لأنه اتهم مكيبسا بالولاء للرومان[5]، دون أن يراعي تنفيذ الخطط التي كان مسينيسا يسعى لتحقيقها في المنطقة، والتي من بينها اتخاذ قرطاجة عاصمة للدولة النوميدية الموحدة، لكنه رفض ذلك إما احتراما لالتزاماته للرومان، أو خوفا من تقويض ما بناه مسينيسا، فقد عارض أي نزاع مع الرومان[6].

وبعد سنتين[*] توفي مستنبعل و غلوسة في ظــروف غامضة[7]، وحسب ساليست فقد كان

---

[1] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 143.

[2] نفســه.

[3] Appien A., Lib.106. Gsell S., *H.A.A.N, T., III* , p 300-301. ; Camps G., Op-cit, p233.

[4] Barthier A., Charlier R., *la sanctuaire de punique d’El Hofra*, p 60, D’après فرحاتي، المرجع السابق، ص 143.

[5] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 143.

[6] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 112.

[*] يذكر كل من J. Mazard أنهم حكموا ثمانية سنوات، أي حتى عام 140 ق،م، و نفس التاريخ ورد عند حارش. أنظر: حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص 237 .

[7] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 145.

بسبب المرض[1]، لكن الظروف الغامضة حسب فرحاتي تشهد على وجود صراع على السلطة، وهو الذي أراد سكيبيو أن يجتنبه عن طريق المشاركة في السلطة والحكم، فنظرا لطبيعة المسالمة التي تميز بها مكيبسا باعتباره من أنصار الحلف الروماني، أما غلوسة ومستنبعل فقد كان أكثر استقلالية، من خلال رغبتهما في مجابهة الرومان وبذلك لا تستبعد فرحاتي أن يكون للرومان دور في التخلص من المعارضة النوميدية في وقت متقارب، وفي ظروف غامضة[2].

2 **إسهامات مكيبسا** : لم يحض مكيبسا باهتمام كبير من طرف المؤرخين الإغريق والرومان، مما دفع بعض المؤرخين إلى تقديمه في صورة الملك الضعيف الخاضع لروما[3]، أما حارش فلا يستبعد أن يكون هذا الصمت ناتج عن سيادة الاستقرار في نوميديا في فترة حكمه، فطيلة الثلاثين سنة من حكمه، استطاع السيطرة على المملكة التي تركها مسنيسا والممتدة من السرت شرقا إلى الملوية غربا، ولم تذكر المصادر أية خلافات مع جيرانه من الشرق أو الغرب، فقد احتفظ بعلاقات ودية مع موريطانيا والرومان، ولم يرد ذكر لثورات داخلية محلية في عهده[4].

لقد حكم بالعدل والرحمة [5]، وقد ساعده في أداء مهامه كل من ولديه أذربعل وهيمصال، وكذلك ابن أخيه مستنبعل، وهو يوغرطة، وقد عمل مكيبسا على مواصلة سياسة والده في موالاة للرومان، لكن التوسعات نحو الشرق لم تستمر نتيجة استقرار الرومان في إفريقيا على أنقاض قرطاجة[6]، لكن بالمقابل انصرف إلى البناء الاقتصادي والعمراني والحضاري.

---

[1] Salluste, V.

[2] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 145..

[3] Carcopino J., *La République romaine (133-44 A.V. JC)* . P.U.F, paris, 1935-1950. D'après حارش محمد الهادي، دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة...، ص 237.

[4] حارش محمد الهادي، التطور السياسي....، ص 42.

[5] الناصري سيد أحمد، تاريخ حضارة الرومان من ظهور القرية إلى سقوط الجمهورية، دار النهضة العربية، 1982، ص 238.

[6] شعبان علي أحمد، المرجع السابق، ص 50.

يشير سترابون إلى الازدهار الذي عرفته التجارة في عهده، خاصة العاصمة سيرتا التي أصبحت مركزا تجاريا ضخما، كما اهتم بالجانب العسكري والعمراني، فزيادة على القصور والتحصينات التي بناها في سيرتا، كانت المدينة تستطيع تجنيد عشرة آلاف فارس وعشرين ألف جندي من المشاة[1].

تميز حكمه بالاستقرار وانتشار السلم فاستغل ذلك في البناء الاقتصادي والحضاري[2]، فقد حضي الجانب الزراعي باهتمام من الملك[3]، فأولى عناية كبيرة للمنطقــة الغربية من نوميديا – مازيسيليا سابقا– وحسب كامبس فقد بدأت تؤدي دورا في عهده[4]، وبذلك أصبحت في عهد يوغرطة أكثر تطورا، وأكثر ازدحاما بالسكان، فيما قورنت ببقية أجزاء نوميديا[5].

كما نستنتج أيضا من خلال النقوش التطور الزراعي في عهده، فنقش شرشال يُبَين تشييده لعدة قرى، و كون ضيعا ذات مدخول وافر[6]، وكذلك يظهر هذا الازدهار في كل من باجة ودوقة وتالة وقفصة، التي أصبحت مدن محصنة وذات مداخيل وافرة من الضرائب والمكوس لخزينة الملك[7].

كذلك تبين لنا النقوش مثل نقش جبل ماسوج، والتي كتبت على نصب وشواهد أرضية، تبين الحدود الفاصلة بين الأراضي الملكية والخاصة، وكذلك تحديد المسافات، وأسماء الجهات والأمكنة والأملاك دليل على التنظيم الإداري الذي وصلت إليه المملكة في عهده[8].

كما استمر مكيبسا على النهج الهلينستي، الذي بدأه من قبله مسينيسا، فقد توافدت على سيرتا جاليات أجنبية، كما أصبحت قبلة للأدباء والفلاسفة الوافدين من بلاد الإغريق وايطاليا[9]، ويرجع جوليان سبب محاولة تعمير كراكوس لإفريقيا بالايطاليين بحملة منظمة ضد مكيبسا[10]، وذلك

---

[1] Strabon, XVII, 3.13.
[2] Gaid. M., Les Berbères... , p 102.
[3] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 44 .
[4] Camps. G., Op - cit, p239.
[5] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 45 .
[6] نفسه، 44.
[7] Carcopino. J., Op - cit, p 19.
[8] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص ص 148-146.
[9] Berthier. A., *La Numidie, Rome et le Maghreb, éd. Picard*, 1981.p 159.
[10] Camps. G., Op - cit, p250.

لتزايد قوة مكيبسا التي أثارت مخاوف الرومان[1]، وبذلك مثلت ثلاثين سنة من السلم، جعلت عهد مكيبسا أكثر عهود المملكة النوميدية نفعا، إن لم تكن أكثر بريقا[2].

3 -**علاقته بروما**: فيما يخص علاقته بروما، فيذكر بشاري أن سياسة مكيبسا لم تتغير تجاه روما، إذ سار على خطى أبيه مسينيسا، فقد استمر ولائه لها، ويتجلى ذلك في الدعم العسكري الذي قدمه لروما في حروبها في إطار سياستها التوسعية في كل مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط، فقد أرسل مكيبسا مساعدات عسكرية لروما في حروبها بشبه جزيرة ابيريا في سنوات 143 ق،م، 142 ق،م،141 ق،م[3]، حتى لا يدع لهم ذريعة التدخل في شؤون المنطقة، فكان يزودهم بالحيوانات كالفيلة و الخيول إضافة إلى القمح و الفيالق العسكرية[4].

وأثناء الحروب التي قادتها روما في شبه الجزيرة الإبيرية دائما، بقيادة فابيوس مكسيموس Fabius Maximus سنة 141 ق،م ضد فيريات Veriath واللوزتانيين Lusitaniens والذي انطلق على رأس فيلقين وبعض الحلفاء، وعند وصوله إلى اسبانيا، بعث برسالة إلى مكيبسا يدعوه فيها إلى إرسال المساعدة، فأمده مكيبسا بـ 10 فيلة و 300 فارس[5]،كما يفهم أيضا من قزال أن مكيبسا واصل سياسة والده في التعامل مع الرومان، حيث نجد خيولا نوميدية في إسبانيا سنة 141 ق،م، كما كانت مع الجيوش الرومانية في اسبانيا سنة 142 ق،م فيلة أرسلها مكيبسا إلى كايسلوس متيلوس مصيدونكوس Q. Caecituis Metellus Macédonicus، وهو قنصل في شبه جزيرة ابيريا[6] .

---

[1] الصفدي هشام، تاريخ الرومان من العصور الملكية، الجمهورية، الإمبراطورية حتى عهد الإمبراطور قسطنطين، ج1، دار الفكر الحديث، 1967، ص 227.

[2] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 155 .

[3] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 51.

[4] Soumagne Ch., *La Numidie et Rome,* P. U. F., Paris, 1966, p. 100.

[5] Appien A., Lber , 67.

[6] Gsell S., *H.A.A.N, T.,*V, p 137.

كما أرسل له أيضا مساعدات عسكرية لسكيبيو ايمليانوس أثناء حرب النومانس، بقيادة يوغرطة سنة 134 ق،م، وتتمثل هذه المساعدة في رماة النبال، المقاليع، الفرسان [1]، بالإضافة إلى تموينه القوات المحاربة في سردينيا ما بين 126-125ق،م بالقمح[2]، حيث كان المتصرف المالي هو سيمبرونيوس كراكوس C.Samponuis Gracchus، وقيل –حسب قزال– أن الملك النوميدي أراد أن يترضاه بأداء هذه الخدمة للرومانيين [3].

وفي إطار سياسة التفتح التي سار عليها مسنيسا ومن بعده مكيبسا، ارتبط هذا الأخير بعلاقات اقتصادية مع بلاد الإغريق، إذ يذكر حارش أن التبادل التجاري لم يقتصر في عهد مسنيسا، إذ استمر خلفاؤه في تصدير القمح إلى روما وبلاد الإغريق[4]، ويؤكد لنا المؤرخون القدامى استمرار العلاقات، فهذا سترابون يحدثنا عن المملكة النوميدية في عهد مكيبسا، الذي قام بإنشاء مستوطنة إغريقية في سيرتا[5].

بعد ثلاثين سنة من الحكم (148-118 ق،م) توفي مكيبسا في سن متقدمة، تاركا مملكة قوية مترامية الأطراف لأبنائه، بعد أن أوصاهم على الوحدة والإتقان والتعاون، من خلال ما أورده ساليست :" إني تارك لكم عرشا قويا، إن أحسنت سياستكم، ضعيفا إن لم تحسنوها، بالوحدة والإتقان تقوى الدول الصغيرة وبالتفرقة تنهار أعظم الدول"[6].

لكن بعد انقضاء حكمه، ستدخل نوميديا طورا جديدا من حياتها السياسية، العسكرية، الحضارية مليئة بالصراعات والاضطرابات الداخلية، كانت الجاليات الإيطالية والتدخل الروماني سببا كبيرا فيها، وبذلك كانت هذه الأخبار أكبر من محتوى الوصية التي تحمل في طياتها كثيرا من المعاني

---

[1] Appien A., Lber , 89. ; Salluste, VI, VIII.

[2] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 51.

[3] Gsell S., *H.A.A.N, T.*, V, pp 137-138.

[4] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص109 .

[5] Strabon, XVIII, 3.13.

[6] Salluste, X.

الفلسفية الصعبة التحقيق في الواقع، حيث ترك مكيبسا ولدين هما أذربعل وهيمصال، ولآخر متبني وهو يوغرطة، ليتشكل بذلك الحكم الثلاثي الثاني[1].

[1] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 45.

الفصل الثاني: **العلاقات النوميدية الرومانية في بداية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب.**

المبحث الأول : الحكم الثلاثي الثاني في نوميديا.

1 قضية تبني يوغرطة.

2 الصراع حول العرش .

3 يوغرطة يعيد توحيد نوميديا.

المبحث الثاني : الحرب اليوغرطية و انعكاساتها على نوميديا.

1 -يوغرطة وحملة بيستيا.

2 -يوغرطة وحملة ألبينوس.

3 -يوغرطة وحملة متيلوس

4 -يوغرطة وحملة ماريوس.

5 -انعكاسات الحرب اليوغرطية.

المبحث الثالث: الحرب الأهلية الأولى و انعكاساتها على نوميديا.

1 التطورات السياسية بعد يوغرطة.

2 أسباب الحرب الأهلية الأولى

3 دور نوميديا في هذه الحرب.

الفصل الثاني: العلاقات النوميدية الرومانية في بداية الاحتلال لبلاد المغرب.

أولا : الحكم الثلاثي الثاني في نوميديا.

1 - **قضية تبني يوغرطة**: ولد يوغرطة بن مستنبعل حوالي سنة 160 ق،م[1]، حيث تكفل بتربيته عمه مكيبسا بعد وفاة والده مستنبعل، وأحسن إليه كما كان يحسن لولديه[2]، في شبابه كان قويا، جميلا مثل النوميديين، مولعا بركوب الخيل والرماية والتسابق مع أقرانه، كما يهوى المصارعة والصيد[3]، دون أن يؤثر عليه بذخ القصر، فكان متواضعا لبني قومه[4]، مما جعله محبوبا بين رفاقه أولا، والتمتع بشعبية واسعة في صفوف النوميديين ثانيا[5].

أما مكيبسا فقد استبشر بيوغرطة وأعجب به، وقربه ليكون حاميا لولديه، إلا أنه اعتبارا لتقدم سنه، وصغر سن ابنيه، وتزايد شهرة يوغرطة انتشارا[6]، استبدت به الشكوك، كون طبيعة الإنسان تجعله دوما طموحا للسلطة[7]، وفي ذلك منشط يملي الجرأة وينمي الطموح في النفس[8].

وقد عجلت هذه الخصال الحسنة ليوغرطة عدم اطمئنان وخوف مكيبسا على ولديه، حتى أنه فكر في القضاء على يوغرطة، لكن هذا الإجراء سيؤلب النوميديين عليه، نظرا لشعبيته الواسعة[9]، ففكر في حل آخر، حيث أرسله سنة 134 ق،م أثناء حرب النومانس، على رأس قوات نوميدية لمؤازرة سكيبيو ايميليانوس[10]، عسى أن يلقى حتفه فيذهب ضحية شجاعته[11].

لكن الذي حدث هو العكس، حيث يذكر فنطر أنه بوصول يوغرطة إلى معسكر سكيبيو أبدى من الحذق والشجاعة الكثير، ما جعل القيادة الرومانية تعجب ببطولته، وتتعلق به لما لمسوه فيه

---

[1] حارش محمد الهادي، دراسات في تاريخ الجزائر ...، ص 243.

[2] Salluste , VI .

[3] Ibid , VI.

[4] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 244 .

[5] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 115.

[6] نفسه، ص ص 117-118.

[7] Salluste , VI .

[8] فنطر ، المرجع السابق، ص 118.

[9] Gsell S., *H.A.A.N*, T., VII, pp 139-140.

[10] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 244 .

[11] Salluste, VII. ; Gsell S., *H.A.A.N*, T.,VII, p140.

من تفان وإخلاص لروما، ولقائدها سكيبيو[1]، هذا الأخير كان يكلفه بأعسر المهمات وأخطرها، وينجزها يوغرطة بدقة متناهية[2]، جعلت ساليست يصفه بأنه "يجمع بين الإقدام والحكمة في التدبير"[3]، كما تمكن من كسب صداقة عدد كبير من الضباط والقادة الرومان[4]، هؤلاء حسب فنطر ساهموا في تغذية ما في نفس يوغرطة من طموح، وكانوا يمدونه بيد المساعدة ليكون ملكا على إفريقيا بعد موت مكيبسا[5]، حيث أصبح على دراية قوية بمشاكل الجمهورية الرومانية[6]، كما أنه عمل جنبا الى جنب مع ماريوس تحت قيادة سكيبيو، وتعلما في نفس المعسكر فنونا سيطبقانها فيما بعد في معسكرين معاديين[7].

وفي سنة 133 ق،م سقطت نومانس في يد سكيبيو الإميلي، فمدح هذا الأخير يوغرطة، وجازاه بحضور الجيش كله[8]، ثم اختلى به ونصحه بأن يعتني بصداقة روما قائلا له :" إن تحصلت على صداقة الرومان وأحسنت تغذيتها نلت المجد، وتبوأت عرش الملك، وإن أردت السير بسرعة في هذا السبيل، أي نحو المجد والعرش ذهبت أعمالك سدى، وألقت بك أموالك في المهلكة "[9]، فساليست يحاول أن يوحي لنا و كأن يوغرطة بدأ يفكر في شراء أعضاء مجلس الشيوخ الروماني منذ أيام نومانس، وهو ما يعتبره حارش من الأغراض التاريخية التي عمل بها ساليست، لتهيئتنا لقبول ما سيأتي من الأحكام في موضوع الرشوة[10].

وبعد ذلك أذن له بالعودة، وحَمَّله إلى مكيبسا برسالة يمجد فيها قيمته، مما جاء فيها :" لقد برز عزيزكم يوغرطة في حرب النومانس Numence بطلا باسلا، وأبدي شجاعة لا نظير لها بكل

---

[1] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 119.

[2] حارش محمد الهادي، دراسات في تاريخ الجزائر ....، ص 244 .

[3] Salluste, VII .

[4] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 119.

[5] نفســه.

[6] الناصري سيد أحمد، تاريخ حضارة الرومان من ظهور القرية إلى سقوط الجمهورية، ص 238.

[7] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 244 .

[8] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p140.

[9] Salluste, VIII.

[10] حارش محمد الهادي، ساليستيوس و حرب يوغرطة...، ص 58.

تأكيد هذا يسركم، وهي بشري أزفها إليك، فلقد جعلته جدارته عزيزاً ونحن نعمل جهدنا ليشاطرنا مجلس الشيوخ والشعب الروماني هذه العواطف، أما فيما يخصكم فإنني أهنأكم باسم صداقتنا فلديكم رجل جدير بك وجدير بجده مسينيسا "[1].

يشير فنطر انطلاقا مما دار بين يوغرطة وسكيبيو، وكذا محتوى الرسالة، أنهما يثبتان ما للرومان من سيطرة على الأوضاع السياسية في نوميديا، حيث أكد سكيبيو ليوغرطة أن لا سبيل للعرش من دون مرضاة روما وشعبها، وبالمقابل كان يرى فيه ضمانا لهيمنة روما على نوميديا[2]، مثلت بذلك هذه الرسالة حسب شنيتي شهادة حسن سيرة لصالح يوغرطة، الذي عمل في الجيش الروماني على رأس فرقة من الفرسان النوميديين[3].

وبعد أن تلقي مكيبسا لهذه الرسالة، اضطر أن يقرأ حسابا لشعبية يوغرطة، ليس بين النوميديين فحسب، بل حتى مع الرومان، مما يدل على أن مكيبسا خضع لضغط حلفائه الرومان، وعمل بنصيحتهم، رغم ما فيها من خطر بالنسبة لمستقبل ولديه أذربعل وهيمصال[4]، وهو بذلك حسب شنيتي لم يكن عن حسن نية أو طيب خاطر، وانما نتيجة ضغط سياسي خارجي سلط من طرف الرومان[5]، ونظرا للضغط الذي سلكه القائد سكيبيو لفائدته، وبعد أن تأثر بشجاعة يوغرطة، فتغير رأي مكيبسا منه، وسعي إلى كسب رضاه، فألحقه بنسبه بالإعلان عن تبنيه في الحال وعهد له ولابنيه بالحكم[6].

فالمتمعن في أسلوب ساليست في الكتابة، نجده يمهد لحوادث يريد ترسيخها بأفكار وأحكام مسبقة، يجعلنا نقبل ما يسرده من وقائع، فالتسلسل التاريخي للأحداث، يهدف من خلال ذلك

---

[1] Salluste , IX.

[2] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 120.

[3] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 33.

[4] Kadra Hadjadji H., *Jugurtha un Berbère contre Rome*, Casbah éditions, Alger, 2007, pp. 67-68.

[5] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 33.

[6] Salluste , IX.

ساليست إلى أن هذه الرسالة كانت بمثابة ايعاز من سكيبيو لمكيبسا بضرورة تبني يوغرطة، وشراكه في الحكم[1]، لكن إلى أي مدى نقبل بذلك ؟.

تذكر معظم المراجع أن سكيبيو توفي سنة 129 ق،م، أما مكيبسا فقد توفي سنة 118ق،م[2]، في حين تبنيه ليوغرطة كان سنة 121 ق،م[3]، وأنه بعد مراسيم الدفن، دار نقاش بين الأشقاء الثلاثة، فيه اقترح يوغرطة إلغاء التدابير والاقتراحات التي اتخذها مكيبسا في الخمس سنوات السابقة لوفاته، فلقي هذا المقترح قبول هيمسال عن طيبة خاطر، قال أن لمكيبسا تبناك منذ 3 سنوات، ليسمح لك بالوصول الى العرش[4]، لذا يعد يوغرطة بموجب هذا الإلغاء بعيد عن العرش لا حق له فيه[5]، أما ساليست في النص السابق فيذكر أن مكيبسا قد تبني يوغرطة عقب عودته من نومانس، بعد تلقيه الإيعاز من سكيبيو سنة 133 ق،م[6].

ويذكر حارش أن ساليست وقع في خطأ واضح، فقد قلص فترة 15 سنة إلى 3 سنوات قبل وفاة مكيبسا[7]، أما قزال فيذكر في هذا الصدد أنه يجب الفصل بين قرارين، الأول وهو قرار التبني[8] ويفترض أنه حدث سنة 133 ق،م، وبالتالي فلا حاجة بذلك للوصية، فيمكن ليوغرطة أن يصل الى الحكم وفق التقاليد النوميدية[9]، سواء حسب النظام القديم الذي يتولاه أكبر العائلة الحاكمة سنا، أو حسب النظام الثلاثي الذي ظهر بعد مسينيسا[10]، أما القرار الثاني حسب قزال فهو سنة 120ق،م[11] الذي يمثل تسجيله في الوصية كوريث للعرش، فمكيبسا بذلك لم يتبنى يوغرطة نزولا

[1] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 55 .
[2] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 124.
[3] حارش محمد الهادي، ساليستيوس...، ص 55.
[4] Salluste, XI .
[5] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 126.
[6] Salluste, XI.
[7] حارش محمد الهادي، ساليستيوس...، ص 56 .
[8] Gsell S., H.A.A.N, T., VII, p141.
[9] حارش محمد الهادي، ساليستيوس...، ص 56.
[10] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 151.
[11] Gsell S., Op - cit, p141.

عند رغبة سكيبيو[1]، في حين يرى فنطر بأن هذه الوصية تعبر عن خضوع مكيبسا لمشيئة الرومان[2]، وهو بذلك يقبل ما جاء به ساليست في هذه القضية، لكن حارش يضيف أن هذه الوصية مؤرخة بسنة 120 ق،م، وبذلك يستبعد أن يكون مكيبسا نزل عند رغبة سكيبيو فور عودته من نومانس، وإنما تبناه عندما اشتد به المرض[3].

لقد توفي مكيبسا حسب ساليست في سن متقدمة، بعد أن أعيته السنين والمرض[4]، وعند شعوره بقرب وفاته، جمع ابنيه والمقربين منه، وخاطب يوغرطة بوصية[5]، أورد ساليست ما جاء فيها، دون أن يبين مصدرها، وربما هي من وضع الكاتب، لما نستشفه من رائحة ذلك من النزع الفلسفية، والتي طغت عليها كتاباته، ومما جاء فيها :" يا يوغرطة لقد كنت صبيا دون أب، دون آمال ودون ثروة عندما دعوتـك لأن تكون وريث تاجي، إن هذه المبررات تدل على محبتي إياك تماما مثل ولديّ، وإذا قدّر لي أن أندم على ذلك في وقت لاحق فإنني لم أخدع الآن...، والخلاصة أن أمجادك انتصرت رغم الضغائن و ذلك شيء صعب قلّ أن يحققه رجل، والآن ها هي الطبيعة تضع النهاية لوجودي، أقسم بهذه اليد الممدودة وبحق ثقتنا ويقيننا بالمملكة، أتوسل إليك إن تبر وتوّد هذين الولدين...، فأنت أكبر إخوتك سنّا وأكثرهم مقـدرة لأن تجعل الأمور تسير جيّدا لأنّه مهما كان النزاع أقوى وأشد فإنّ المرء الـذي يـسمو على ذلك ويجعل الأمر لصالح الوفاق دائما، يكون في مأمن من كل الأرزاء، أمّا أنت يا أذربعل ويا هيمصال فامنحا احترامكما وإجلالكـما لرجـل كهذا، وتحلّيا بشجاعته وخصاله، ومن خلال فضائلكما اجتنبا القول بأنّني آثرت ابني بالتبني-يوغرطة- عن ولديّ من صلبي[6].

---

[1] حارش محمد الهادي، ساليستيوس...، ، ص 151.

[2] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 120.

[3] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 120 .

[4] Salluste , XI .

[5] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 121.

[6] Salluste, X .

يحاول ساليست هنا أن يوحي لنا إلى احتمال حدوث نزاع بين ولديه ويوغرطة، وبعد أن سجل أحداث النزاع، نلاحظ أن النزاع حدث فعلا في الصورة التي يريـد أن يرسخها عند النوميـد المنقسمين والمتصارعـين والرومان في حكمة وقوة، وعليه لا نستطيع إثبات هذه الوصية أو تفنيدها، وعلى الأرجح أن تكون رواية من صنع المؤرخ نفسه، نظراً للنزعة الفلسفية العالية في الخطاب، وهو ما عرف عند سالوستيوس بنزعته الفلسفية.

2 - **الصراع حول العرش النوميدي**: توفي مكيبسا سنة 118 ق،م، وخلفه على العرش أبنائه الثلاثة، طبقا لما أوصى به الفقيد[1]، حسب ما يفهم من ساليست في الخطاب المطول الذي ألقاه مكيبسا على فراش الموت، حيث أوصى أبنائه بالاتحاد والوحدة، للحفاظ على وحدة المملكة وحماية كيانها، كما أوصى فيها لأبنائه الثلاثة بالخلافة[2]، من خلال ما أورده ساليست على لسان مكيبسا قائلا :" إني تارك لكم عرشا قويا، إن أحسنت سياستكم، ضعيفا إن لم تحسنوها، بالوحدة والإتقان تقوى الدول الصغيرة وبالتفرقة تنهار أعظم الدول "[3]، لكن الصيغة الواردة لهذه الوصية، ومعانيها الفلسفية، أمور تقلل من نسبها لمكيبسا.

بالإضافة إلى ما لم يبينه ساليست، هو هل مكيبسا قسم المملكة قبل وفاته بين أبنائه، أم أنه ترك ذلك للسلطة الرومانية، صاحبة الحق في توريث الخلافة، كما أنه– ساليست– لم يذكر فيما إذا كانت روما قد تدخلت مباشرة عقب وفاة الملك لتقسيم المملكة، أم أنها وافقت أو لم توافق على هذا التقسيم.

وفي هذا الصدد يشير بالو دي ليسارت أن روما تدخلت مباشرة لتسوية قضية الخلافة، حيث أرسل مجلس الشيوخ بوركيوس كاتون parcius Caton، حاكم ولاية أفريكا لعام 118 ق،م، للفصل في هذه القضية، كما فعل من قبل سكيبيو الإميلي عام 148 ق،م[4]، لكن معظم المؤرخون

[1] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 124

[2] Salluste, X.
[3] Ibid , X.
[4] Pallu de lesserte, *Fastes de la Numidie sous la domination romaine*, **RSAC**, Vol XV, 1888. p 5.

يشككون في ذلك، ومنهم قزال الذي يذكر أن كاتون Caton أحد قنصلي سنة 118 ق،م قد توفي في نفس السنة التي توفي فيها مكبسا ملك نوميديا، ولا يستبعد أن يكون مجلس الشيوخ قد بعثه في مهمة مؤقتة، لتسوية تركة هذا الملك[1].

ونفس الموقف نجده عند شنيتي، الذي يرى أن تسوية أوضاع المملكة السياسية كان من اختصاص مجلس الشيوخ الروماني، صاحبة السلطة العليا في المملكة الحليفة، ومن ثمة –حسب شنيتي- فليس مهما أن يكون مجلس الشيوخ قد مارس اختصاصاته هذه، بواسطة حاكم إفريقيا، أم أنه فعل ذلك بطريقة أو أخرى لم تحتفظ بها المصادر[2].

لكن باعتبار أن تاريخ وفاتهما –كاتون ومكيبسا- كان في سنة 118 ق.م، ولم تحدد لنا المصادر ذلك بدقة، خاصة بالعودة إلى نص ساليست السابق[3]، فإننا نستبعد تدخل روما في شؤون تقسيم الملك بعد مكيبسا، كما عرفت نوميديا من قبل حكما ثلاثيا بعد مسينيسا، وبحكم سن يوغرطة فله الحق في الإنفراد بالسلطة لأنه أكبر العائلة المالكة، وبذلك فقد مزج مكيبسا بين النظاميين القديم والجديد[4]، كما أن الرومان حسب فرحاتي كانوا يدركون مكان وقوة يوغرطة، وأن شخصيته غير مأمونة العواقب بالنسبة للرومان، ومن الأفضل لها لو تمت المواجهة مع يوغرطة، أن يكونا ملكا على رقعة صغيرة من المملكة، لا ملكا على كل نوميديا، لتكون عملية التصدي له أمرا مقبولا و ميسرا[5].

لكن سكوت المصادر في هذا الشأن، باستثناء ساليست الذي يفهم منه أن مكيبسا في إطار وصيته لأبنائه، فيها إشارة كبيرة لتنظيم عملية استخلافه، بعد أن أوصاهم بالوحدة و الإتحاد[6]، لكن الأخطار التي كانت تحدق بالمملكة كانت أكبر من محتوى الوصية، هذه الوصية تحمل في طياتها

---

1 Gsell S., H.A.A.N, T.,VII , p21.

2 شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة، ص 34.

3 Salluste, X

4 فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 152.

5 نفسه، ص ص 152-153.

6 حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي... ، ص 45 .

كثير من المعاني الفلسفية الصعبة التحقيق في الواقع حسب حارش[1]، كما تبين لنا إرهاصات التفرقة والصراع، أكثر من إرهاصات الوحدة والتعاون، فساليست يريد أن يقنعنا بصورة النوميديين المتصارعين[2]، وأن الاختلاف في ميول شخصيات هؤلاء الملوك، كان وراء نشوب الصراع[3].

أما فيما يخص نصيب كل ملك من هذه التركة، فكان محل اختلاف أيضا، فحارش يذكر أن مكيبسا قد قسم الملكية وليس المملكة[4]، أما كامبس فيشير إلى أن الكفاءات العسكرية ليوغرطة، فرضت على الملك العجوز توزيع المهام بينه وبين شقيقيه، بحيث تكون قيادة الجيوش ليوغرطة، مثل غلوسة، أما الوظائف المدنية فتكون مناصفة بين أذربعل وهيمصال[5]، في حين يذكر شنيتي أن يوغرطة نال القسم الغربي من المملكة، ونال ابن عمه هيمصال القسم الأوسط، بينما كان نصيب أذربعل القسم المجاور للمقاطعة الرومانية، ذلك ما أقرته لجنة من مجلس الشيوخ الروماني أوفدتها روما لهذا الغرض[6].

فبالعودة إلى ساليست، الذي يشير بدقة إلى الاجتماع الذي أعقب وفاة مكيبسا، حيث امتنع هيمصال من الجلوس إلى جانب يوغرطة تماشيا مع التقاليد النوميدية، التي تقضي بتوسط كبير القوم في أي اجتماع يعقد، ذلك أن هيمصال كان يحقد على يوغرطة، ويرى فيه غير مؤهل للانتماء إلى الأسرة المالكة[7]، والنقطة الثانية التي أثارت الخلاف، هي رغبة يوغرطة في عدم تقسيم المملكة[8]، وأن الحل- حسب يوغرطة- هو تحريرها من أساليب التسيير السيئة، التي أضرت بمصالحها، فاقترح إلغاء الأوامر التي أصدرها مكيبسا خلال الخمس سنوات الأخيرة من حكمه[9]، وإن لم يشر إليها ساليست، فيرى البعض بأن هذه القرارات تتمثل في التخلص من سيطرة التجار

---

[1] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي... ، ص 45 .

[2] Salluste, X.

[3] حارش محمد الهادي، دراسات في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة...، ص 21.

[4] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 45.

[5] Camps G., Op - cit, 291.

[6] شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الاحتلال، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص 23.

[7] Salluste, XI. ; Lacroix M.L., op .cit.,p.27.

[8] Salluste, X.

[9] Ibid, XI

الإيطاليين والمستشارين الأجانب على محيط السلطة، حيث كانوا يوجهون قرارات الملك وفق مصالحهم[1].

بإثارة يوغرطة مسألة إلغاء أوامر مكيبسا، وافقه هيمصال على ذلك، لكن على أن يشمل المرسوم الذي تبناه فيه كابن شرعي له قبل ثلاث سنوات[2]، فقرر الملوك الثلاث بعد الفشل في الاتفاق على توزيع السلطات، أن يتقاسموا كنوز الملك، وأن يحددوا الاقليم الذي سيحكمه كل واحد منهم[3]، وفي انتظار ذلك التقسيم– المملكة– انسحب الملوك كل إلى وجهته[4]، عكس قزال يرى معظم المؤرخون أن الملوك الثلاث اقتسموا الأموال والسلطات والمملكة[5]، وهذا كما سبق وأشرنا كان مخالفا لرغبة يوغرطة، الذي يسعى الى إبقاء المملكة موحدة، وبموجب ذلك ذهب هيمصال الى تيرميدا[*] thirmida، فأرسل يوغرطة وراءه لاغتياله سنة 117 ق،م[6] .

وبذلك أثار اغتيال هيمصال أخيه أذربعل، وانقسم النوميديين إلى قسمين حسب ساليست، الأغلبية مع أذربعل، بينما جزء من النوميديين ومعظمهم من الفرسان الذين يتقنون فنون الحرب إنظموا إلى يوغرطة[7]، استطاع بذلك هذا الأخير حسب ما يذكر ساليست أن يخضع المدن النوميدية طوعا وكرها، حتى أوشك أن يبسط نفوذه على كامل تراب المملكة النوميدية[8].

3 – **يوغرطة يعيد توحيد نوميديا**: كان رد فعل أذربعل عن مقتل هيمصال أن أرسل وفدا إلى روما يشكوا أعمال يوغرطة، وبدأ ينظم جيشه استعدادا للحرب[9]، لكنه انهزم في سنة 116ق،م، ولجأ إلى الولاية الإفريقية الرومانية، ومنها انتقل إلى روما لشرح موقفه لمجلس الشيوخ،

---

[1] Sahli M.Ch., *Le message de Yougourtha*, éd. En-Nahda, Alger, 1947, p 45.
[2] Salluste, XI.
[3] Camps G., Op - cit, 291.
[4] Gsell S., H.A.A.N, T.VII , Op - cit , p142.
[5] Ibid, p 143.

[*] **تيرميدا**: هي دوقا حسب قزال، وهي ثاني أهم مدينة نوميدية بعد سيرتا، لكن العثور على مسافة قريبة من دوقة اسم تيميدا بور Thimida Bure، وهي مدينة أهلية قديمة و لا يستبعد أن تكون هي تيرميدا التي ذكرها ساليست. أنظر: Gsell S., Op -cit , p143

[6] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي ...، ص 45.

[7] Salluste , XIII .
[8] Ibid, XIII .
[9] Ibid, XIV.

مثنيا ومادحا الرومان كعادة أسلافه[1]، وقد نقل لنا ساليست هذا الخطاب الذي لا يستبعد أن يكون من وضع المؤرخ نفسه، ومما جاء فيه :" أوصاني أبي وهو على فراش الموت بأنني لا أملك إلا سوى وكالة تسيير المملكة النوميدية، وأن السلطة الشرعية، في قيادتها تعود إليكم "[2]، وبالمقابل أرسل يوغرطة وفدا إلى روما، ذكروا فيه أن أذربعل ذهب ضحية قساوته[3]، وعلى روما الحكم على أفعال يوغرطة- مذكرا بأعماله في نومانس- لا أقوال أعدائه[4].

وهكذا تصرف الملكان النوميديان و كأن نوميديا مقاطعة رومانية، وأنهما وكلائها، وتعاملت روما مع الملكين، وكأنهما أتباعها، ومع نوميديا وكأنها أرض رومانية[5]، في حين يرى بيروني أن يوغرطة يمثل نموذج للحرية الإفريقية، وهو الذي حاول الوقوف في وجه السياسة الرومانية في المنطقة، والتدخل في الشؤون الداخلية للمملكة[6]، حتى وإن كان يوغرطة قد أرسل مدافعين عنه إلى روما، فإنه لم يشر في ذلك الى حق الرومان في عرش المملكة النوميدية أو اعترف بسلطانهم[7]، وفي موضع آخر يرى فنطر أنه بمجرد وجود رسل يوغرطة في روما يحسم اعترافا ضمنيا بهيمنة الرومان[8]، واعتبرها البعض استراتيجية لكسب الوقت في انتظار تدعيم موقفه، وتقوية وجوده[9].

وفي هذا السياق، وبعد أن طرحت المسألة النوميدية أمام مجلس الشيوخ سنة 116 ق،م قرر إيفاد لجنة مكونة من 10 ممثلين رومان برئاسة لوكيوس أوبيميوس L. Opimuis ، لتقسيم نوميديا بين أذربعل ويوغرطة[10]، حيث منحت يوغرطة القسم الغربي من المملكة، في حين تحصل أذربعل على القسم الشرقي المجاور للمقاطعة الرومانية، فحسب ساليست فالجهة الغربية هي أكثر ثراء وأوفر

---

[1] Carcopino J., *La république romaine (133-44 Av. J.C)*, presses universitaires de France, Paris, 1935-1950, p 284.

[2] Salluste, XIV.

[3] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 46.

[4] Salluste, XIV.

[5] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 52.

[6] Peyronnet R., *Le problème Nord Africain, T1, édition Peyronnet*, Paris, 1970, p 135.

[7] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 139.

[8] نفسه، ص 140.

[9] بشاري محمد لحبيب ، المرجع السابق، ص 52.

[10] Carcopino J., *La république romaine*…, p 285.

سكانا من الجهة الشرقية، رغم ما تحتويه من مرافئ[1]، ويرجع ذلك إلى قضية الرشوة[2]، لكن معظم المؤرخين يستبعدون ذلك، فيشير حارش إلى أن سكوت ساليست عن هذا التقسيم، يكون له علاقة بشخص أوبيميوس رئيس وفد العشرة، وبأحداث سابقة جرت في روما[3] ؟، ذلك أن أوبيميوس – حسب حارش- هو قاتل المصلح كايوس غراكوس Caius Gracchus وبالتالي ألا يكون أوبيميوس هذا مذنبا على الأقل من وجهة نطر العامة، ويجب الانتقام منه، وربما كان وراء توريطه في قضية الرشوة[4].

فهذا التقسيم لم يكن عفويا، لأن اللجنة التي أشرفت على التقسيم راعت مصلحة روما، فمنحت الجهة الشرقية لأذربعل لأنه مسالم، إن لم نقل تابع، وبالتالي لا يهدد المقاطعة الإفريقية، ويكون حاجزا بينهـــا وبين يوغرطة[5]، هذا الأخير لا تطمئن روما إلى مجاورته[6]، وبذلك يستبعد حارش قضية الرشوة التي اتخذها ساليست مطية لمهاجمة النبلاء الذين وقفوا في وجهه في العديد من المناسبات[7].

لكن الرومان لم يخطئوا في حساباتهم، لأن سنوات قليلة بعد ذلك أعلن يوغرطة الحرب على أذربعل، يحدد هذه المدة قزال بأربعة سنوات[8]، عكس ساليست الذي ذكر أنه بمجرد مغادرة وفد مجلس الشيوخ لإفريقيا وتقسيم المملكة، فجأة هاجم يوغرطة وبفرقة قوية لأراضي أذربعل[9]، وهذا ما يتنافى مع سير الأحداث، لأن تقسيم المملكة حدث سنة 117 ق،م، والصراع بين الأخوين كان سنة

[1] Salluste, XVI.
[2] Ibid.
[3] حارش محمد الهادي، ساليستيوس و حرب يوغرطة...، ص 59 .
[4] نفســـه .
[5] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 52.
[6] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 47.
[7] حارش محمد الهادي، دراسات في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة...، ص 23.
[8] Gsell S., H.A.A.N, T., VII , p147.
[9] Salluste, XX.

113 ق،م[1]، وهذا ما لم يبينه ساليست، ويرجع ذلك حارش إلى رغبة ساليست في أن يبين لنا طموح يوغرطة الزائد ولهفه لتلطيخ الشرف الروماني[2].

وبذلك انسحب أذربعل سيرتا سنة 113 ق،م[3]، هذه المدينة التي حاول يوغرطة السيطرة عليها قبل عودة الوفد الذي أرسله أذربعل إلى روما لتنصفه، ولتضع حدا لتوسعات يوغرطة[4]، فكان رد فعل روما بإرسال وفد برئاسة سكاوروس Scaurus، الذي لم يستطع ايجاد حل لهذا الصراع، لأن يوغرطة لم يسمح له بدخول سيرتا[5]، والتي استمر حصارها لمدة 5 أشهر[6].

فقام أذربعل بتعيّين اثنين من رجاله ليمداه بالإعانة اللازمة لاجتياز تحصينات يوغرطة، قصد الوصول إلى أقرب نقطة بالبحر للاستنجاد بروما، فنجح في اجتياز التحصينات وخط دفاع يوغرطة وتمكن من الوصول إلى روما[7]، ليلقيا خطابا على مجلس الشيوخ الروماني، قائلين :" حضرات الشيوخ ليس خطئي أن وجّهت إليكم التماسات عديدة فاقت الحد، فما أجبرني على ذلك إلا شراسة يوغرطة الذي يريد سلب مملكتي دون أن يضعكم في الاعتبار، فهو يريد قبل كل شيء أن يرى دماء مهدورة، وها هو الشهر الخامس وأنا محاصر من طرف جيوشه...أنقضوني فقط من يدي قاتل أخي أستحلفكم بسمو جمهوريتكم، و بذكريات جدي ماسينيسا أن تفعلوا ذلك "[8].

فأرسلت روما وفدا ثانيا[9]، حيث نزل بأوتيكا أواسط سنة 112 ق،م، فاستدعى الملكيين، لكن يوغرطة تردد كثيرا، وحاول الاستيلاء على سيرتا، قبل المثول أمام اللجنة الرومانية[10]، وهناك تم تهديده أشد تهديد حسب قزال باسم مجلس الشيوخ، إذا لم يتخل عن حصار سيرتا[11]، وبعد

---

[1] Gsell S., Op - cit , p147.

[2] حارش محمد الهادي، ساليستيوس و حرب يوغرطة...، ص ص 59 – 60 .

[3] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 48.

[4] Salluste, XXI.

[5] Carcopino. J., Op - cit, p 289 .

[6] De la malle D., *l'Algérie, histoire des guerres des romaines, des Byzantins et des Vandales,* édition. Firmin Didot, Paris, 1852, p 38.

[7] Salluste, XXIII.

[8] Ibid.

[9] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 48.

[10] Salluste, XXV.

[11] Gsell S., *H.A.A.N*, T., VII, p149.

مداولات طويلة عاد المنتدبون إلى روما، من غير ان يحصلوا على شيء[1]، والسبب في ذلك يرجعه بعض المؤرخون إلى انشغال روما بقضايا الشرق و بلاد الغال[2].

تبرز لنا الأحداث السابقة، مستوى التدخل الروماني في مملكة نوميديا، وقد تصرفت روما وكأنها مقاطعة رومانية، وأن الملكين، تعاملا معها و كأنهما موظفان عندها، وحتى اعتبرنا- حسب بشاري- موقف يوغرطة من المبعوثين الرومان والإدارة الرومانية استراتيجية لكسب الوقت، وتدعيم موقفه وتقوية وجوده[3].

ومن جهة أخرى، يرى البعض الآخر أن رغم هذه المعارضة النسبية للسياسة الرومانية من جهة يوغرطة، كان الرومان متخوفين من التدخل المباشر في إفريقيا، وبدأت تبحث عن الحلول المناسبة، لذلك تركت قادة محليين في الحكم، وتفادي الإدارة المباشرة، وهو تقدم روماني بطئ جدا في المنطقة[4]، وصف ذلك مومسن بأنها سياسة الجبناء، وندد بنقص الرؤية والشدة[5]، أما قاستو بوسي فيرجع ذلك إلى الحذر من المغامرة في إفريقيا، نظرا لبعدها وشخصية سكانها[6]، وأرجعها البعض إلى انشغالها بحروبها في المشرق وبلاد الغال[7]، في حين اعتبره بوسبير قمة الحكمة السياسية، وأن مجلس الشيوخ لم يقم بحملة عسكرية إلا إذا كانوا بحاجة إليها وبأقل التكاليف[8].

استمر حصار سيرتا التي تضم جالية إيطالية كبيرة، وأظهروا مقاومة شديدة في الدفاع عنها، هذه الجالية غالبيتهم تجار، وكان لهم دور سياسي خطير، حيث كانوا يراقبون الوضع في المملكة النوميدية، ويعملون على إيجاد الطرق لبسط الهيمنة الرومانية[9]، حتى يكون العرش للأفارقة،

---

[1] Salluste , XXV.

[2] الناصري سيد أحمد، المرجع السابق، ص 242.

[3] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 52.

[4] Peyronnet Raymond, Op - cit, p135.

[5] Mommsen Th., *Histoire Romaine*, (8 v) , Trad, C.A Alexander, édi A.L.Harold (Librairie Afrawk) Paris, 1863 , T5, p 160.

[6] Boissier G., *L'Afrique Romaine*, édi Saint Germain, Le Rov , S.D, p 84.

[7] Gsell S., Op - cit, p150.

[8] Boissiere G., *Esquisse d'une histoire de la conquête et de L'administration Romaine dans le nord de L'Afrique*, édi Hachette, Paris, 1878, p 156.

[9] غانم محمد الصغير، مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 171.

والسلطان لروما[1]، فدفاع الجالية الرومانية عن سيرتا يعتبره بعض المؤرخين دفاعا عن مصالحها، ومصالح دولتها في المدينة النوميدية، فدفاعها عن الملك أذربعل يندرج ضمن سياسة اتبعتها روما تجاه إفريقيا، لأن أذربعل كان من الذين يكتفون بالجلوس على العرش، ويتركون حقيقة الحكم والسلطان في أيدي أرباب السياسة في روما، ووقوفها ضد يوغرطة لأنه يأبى التعاون مع الرومان، وبذلك كان صراع سياستين متناقضتين، سياسة التبعية والتخلي عن الحكم لصالح روما، وسياسة تهدف إلى السيادة الإفريقية، واحترام كيان الدولة النوميدية[2].

وبعد خبر التفاوض الذي حدث في أوتيكا، ونتائجه، كانت الجالية الإيطالية مقتنعة بالاستسلام مقابل الأمان، والحرية للمدينة، فنصحوا أذربعل بتسليم نفسه ليوغرطة، وتسليم المدينة، مقابل الإبقاء غلى حياته، ففكر أذربعل مليا، وفضل الاستسلام، فسلم نفسه ليوغرطة، غير أن الأخير لم يكن على حسن نوايا أذربعل، فأمر بتعذيبه والتنكيل به حتى الموت[3]، ولم تسلم حتى الجالية الإيطالية المقيمة بسيرتا[4]، فأصبح بذلك الملك الثالث الذي يوحد نوميديا بشطريها الشرقي والغربي.

على اثر هذه التطورات الخطيرة على المصالح الرومانية في المنطقة، وجدت روما نفسها أمام يوغرطة الطموح[5]، فعدم رفقه بالجالية الايطالية حسب ساليست كان وراء ثـورة العامة في روما، والدعوة إلى إعــلان الحرب عليه[6]، فانعقد مجلس الشيوخ لدراسة وضعية المملكة النوميدية[7]، وأصدر القرار الروماني الذي ينص على أن يوغرطة ارتكب جريمة، وأساء إلى عظمة روما وحرمة الشعب الروماني[8]، ومهما كانت العلاقات التي تربطه برجال الحكم في روما، لا يمكن هذه المرة

---

1 فنطر محمد، المرجع السابق، ص 152.

2 نفســه ، ص ص 153-156.

3 Salluste, XXVI.

4 حارش محمد الهادي، دراسات في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة...، ص 24.

5 شنيتي محمد، سياسة الرومنة، ص 55.

6 Salluste, XXVI - XXVIII .

7 فنطر محمد، المرجع السابق، ص 161.

8 Decret F., Fantar M., op - cit, p 172.

لأحدهم بعد تلك الجريمة أن يدافع عنه، بدون أن يعرض نفسه لاتهامات خطيرة في روما، عند السيناتوريين و عند الديمقراطيين، ثم حسم الأمر ضد يوغرطة[1].

ولما علم يوغرطة بهذه الأحداث أرسل ابنه رفقة رسولين إلى مجلس الشيوخ للتفاوض[2]، ادعى ساليست أن يوغرطة زودهم ذهبا[3]، ولما نزل الوفد بايطاليا، استأذن القنصل بيستيا من مجلس الشيوخ السماح لرسل يوغرطة بالدخول، فأجابوه بالرفض، إن لم يكونوا آتين لوضع المملكة والملك تحت تصرف الشعب الروماني[4]، ومغادرتها في غضون 10 أيام[5]، وفي الوقت نفسه بدأ مجلس الشيوخ التحضير للحرب بقيادة بيستيا الذي كلف بقيادة الجيوش في إفريقيا.

ثانيا: الحرب اليوغرطية.

على إثر التطورات الخطيرة التي عرفتها مملكة نوميديا، بتنكيل يوغرطة بالجالية الايطالية الموجودة في سيرتا، وجدت روما نفسها وجها لوجه أمام يوغرطة الطموح، الذي هدم حاجز الأمان بينه وبين الرومان بعد أن استولى على القسم الشرقي من نوميديا، وبذلك أصبحت حدود مملكة نوميديا مجاورة للرومان، وتأكدت روما من أنه لن يتردد في مهاجمة الولاية الرومانية، لتحرير المنطقة كلها من الوجود الروماني وتوحيدها تحت سلطته، وإن كان يوغرطة قد تجرأ في انتهاك حدود مملكة أذربعل، فإنه لن يتوقف عند هذه الحدود التي وضعتها الجمهورية الرومانية[6].

1 - **حملة بيستيا**: كان الكثير من الرومان لا يؤيدون تلك الحرب، سواء أكان ذلك بغرض التعاطف مع يوغرطة، أو أنهم يعلمون خسائر تلك الحرب، عكس عامة الشعب- طبقة العامة- التي أرادت أن تكشف سلبيات النبلاء وقضية الرشوة التي اتهم بها هؤلاء[7]، إلا أنهم في قضية تدنيس الشرف الروماني، أجمعوا على أن يرسلوا قنصلا إلى إفريقيـا قصد وضع حد لأطماع يوغرطة،

---

[1] Decret F., Fantar M., op - cit, p 172.
[2] Salluste, XXVIII .
[3] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 48.
[4] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 162.
[5] Salluste, XXVIII.
[6] شنيتي محمد، سياسة الرومنة...، ص ص 35-36 .
[7] غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص 172.

وأسندت قيادة الجيوش إلى كلبورنيوس بيستيا Calpurnius Besti واختار مساعديه من الشخصيات المهمة، ومن بينهم ايمليوس سكاوروس Aemilius Scauros الذي جعله على سره ومستشارا له[1].

غادر بيستيا روما إلى صقلية[2]، ومنها إلى ولاية إفريقيا الرومانية أواخر ربيع 111 ق،م، على رأس 40 ألف من الرجال[3]، واستطاع بعد مدة قصيرة التوغل في الأراضي النوميدية، فاستولى على العديد من الأسرى و المواقع[4]، لكن سرعان ما توقف، إثر عقد الصلح مع يوغرطة، اعترف له فيه بالسيادة على كامل نوميديا، باستثناء لمطة Leptis Ménures[5] مقابل أن يدفع يوغرطة مبلغ من المـال، وبعض المواشي والخيول و30 خيلا[6].

وبخصوص هذا الاتفاق يحاول ساليست أن يسوق لنا سقوط بيستيا ضحية اغراءات يوغرطة، متهما إياه بالخيانة، وتعاطي الرشوة على حساب الشرف الروماني، فلم يتقيد بأوامر مجلس الشيوخ، التي نصت على عدم قبول أي شيء غير خضوع الملك لإرادة الشعب الروماني[7]، في حين يرى كركوبينو أن هذا الصلح تم لاعتبارات انتخابية بالنسبة لبيستيا، وببعد نظر سكاوروس إلى ما يترتب عن استمرار هذه الحرب من خسائر، لأن سوق لبدة تكفي لإرضاء الأرستقراطية الرومانية على المغامرة في حرب عواقبها كبيرة، ونهايتها مجهولة[8]، ويوافقه في ذلك حارش، لأن بيستيا قد إطلع ميدانيا على الإمكانيات التي تتوفر عند النوميديين، هؤلاء على دراية كبيرة بحرب العصابات وبطبيعة المنطقة، وهي في نفس الوقت لا تتوفر عند الجنود الرومان التي تفضل المعارك المنظمة[9].

ومهما يكن فإن يوغرطة كسب المعركة الأولى في أقصر وقت وبأقل ثمن[10]، أما الجيش الروماني فقد بقي في إفريقيا ينتظر أن تصادق السلطات الرومانية على الوثيقة التي أبرمت بين بيستيا

---

1 Gsell S., H.A.A.N, T.,VII , p156.
2 Salluste, XXVIII.

3 حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 48.
4 نفســـــه.

5 Gsell S., H.A.A.N, T.,VII , p 164.
6 Salluste, XXIX.
7 Ibid, XXIX..
8 Carcopino J., *La république romaine*…, p 294.

9 حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 49.

10 Camps G., *Jugurtha*, **Ency.ber**., T.XXVI, 2004. Pp 3975-3978.

والملك يوغرطة[1]، أما الوضع في روما، فإنه ينم على حالة من الصراع، خاصة أعداء النبلاء الذين استغلوا هذه المعاهدة، في إثارة ضجة كبيرة ضد بيستيا[2]، فألقى بذلك ميميوس خطبة نارية، مما جاء فيها: " أيها المواطنون كثيرة هي الأسباب التي جعلتني أنتصر لكم، وإذا كان حبي للجمهورية لم يتأثر بأيّ اعتبار آخر، مثل قوة حزب الأشراف وسلبيتكم إزاء السلب المشترى، لاسيما هذه الظاهرة التي جعلت الفضائل في خطر أكبر مما هي في عز..."[3]

على إثر هذا الخطاب تمكن ميميوس من إقناع الشعب الروماني بإرسال البريطور كاسيوس Cassius إلى يوغرطة ليقدم نفسه إلى روما قصد استجوابه واستنطاقه، وإجلاء الغموض المحيط بالمعاهدة الموقعة بينه وبين يوغرطة[4]، فقبل هذا الأخير المثول أمام مجلس الشيوخ، بعد أن وعد بالأمان من قبل كاسيوس[5]، الذي يذكر قزال أن وفاء كاسيوس معروف لدى الجميع[6].

قدم يوغرطة إلى روما مع بدملقارت، حيث لم يتخذ مظهر ملك، وإنما اتخذ مظهر رجل يرجوا الشفقة، فاستدعى ميميوس المجلس، وطلب الهدوء من الحاضرين[7]، وقرأ عليه قائمة الجرائم والاتهامات التي ارتكبها، وطلب منه أن يعلن أسماء الذين شجعوه على ما ارتكبه[8]، لكن كايوس بابيوس C.Baneuis حال دون تحدث يوغرطة إلى مجلس الشيوخ[9]، وبذلك فشلت خطة تحالف العامة والفرسان في دعوة يوغرطة للإدلاء بشهادته في روما[10]، لأن يوغرطة اشترى ذمة كايوس بابيوس[11]، غير أن الواقع يقول قزال هو أن الرجل النزيه يمكن أن يرى نفسه على صواب لو فعل مثل ما فعل بابيوس، وإلا فليس هناك أشد إهانة للجمهورية من هذا المشهد التمثيلي، الذي يدعوا

---

1 فنطر محمد، المرجع السابق، ص 165.

2 Sahli M.Ch., op - cit., p .50.

3 Salluste , XXXI.

4 Ibid , XXXI. فنطر محمد، المرجع السابق، ص 165؛ حارش، محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي، ص 49

5 Lacroix M.L., op - cit, pp 51-50 .

6 Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p157.

7 Ibid. p 158.

8 فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 156.

9 Salluste , XXXIV .

10 الناصري سيد أحمد، المرجع السابق، ص 241.

11 Salluste , XXXIII , XXXIV.

للضرر فيه من قبل البربري، الذي خدع روما، وتلطخ بالدم الايطالي، ليرمي بالعار جهارا أعظم شخصيات الدولة[1].

لقد مكث يوغرطة في روما أيام يعمل على كسب أنصار لقضيته[2]، من غير أن نعلم هل كان بقاؤه بها عن طواعية أو عن إلزام[3]، كما دبر عملية إغتيال مسيوا، وهو أحد أبناء غلوسة، كان أحد المساندين لأذربعل في صراعه مع يوغرطة، وتمكن من الفرار من سيرتا، فالتحق بروما التي رأت فيه الأنسب لحماية مصالحها في نوميديا، كما أنه سعى هو أيضا لينال رضا مجلس الشيوخ، وتأييده في تولي عرش نوميديا بعد يوغرطة[4].

تذكر فرحاتي أن يوغرطة كان قلقا من وجود مسيوا في حماية الرومان، و كأنه يشكل حكومة في المنفي، وهي تستبعد أن يكون حضور يوغرطة الجريء إلى روما، قد تم بموجب تنسيق بينه وبين زعماء الحزب الجمهوري، ومجيء يوغرطة إلى روما كان يهدف إلى التخلص من مسيوا أكثر من كونه يهدف إلى المثول أمام مجلس الشيوخ، لكشف أسماء الذين تلقوا منه الرشاوي والهدايا[5]، ونجد ما يؤكد ذلك عند حارش، إذ يتساءل كيف يضع يوغرطة نفسه تحت تصرف مجلس الشيوخ الروماني، وينتقل إلى روما، حيث يرتكب جريمة قتل، وعوض الإلقاء به في السجن، يبعد من روما ليعود إلى نوميديا، ويتولى قيادة قواته من جديد[6].

كان اغتيال مسيوا حسب قزال عملا مخالفا للصواب، مثل عملية التنكيل بالإيطاليين، حتى لو أن ظروف الاغتيال بقيت مجهولة، فما كان بين الناس من يتردد في ذكر من أوعز به، وهنا ربما يقصد قزال زعماء الحزب الجمهوري، ومن ثم فإن هذه الجريمة التي وقع اقترافها في قلب روما، لا يمكن تحملها دون أن يلطخ منها شرف الجمهورية، وكيفما كان اعتقاد النوميدي، فإن هناك حدودا لسطوة

---

[1] Gsell S., Op - cit, p158.

[2] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 166.

[3] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p167.

[4] Salluste , XXXV ; Sahli M.Ch., op – cit , p 51.

[5] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 157.

[6] حارش محمد الهادي، ساليستيوس و حرب يوغرطة...، ص 61.

ذهبه[1]، وفي نفس الوقت الذي عمل فيه على إرسال بدملقرت إلى نوميديا خشية أن يسلم إلى روما، وبعد أيام عاد يوغرطة إلى نوميديا[2]، قال كلمته المشهورة :" روما للبيع، وستتلاشى عما قريب لو تجد من يشتريها "[3].

وبذلك أعلن مجلس الشيوخ استئناف القتال ضد المملكة النوميدية، لإرغام يوغرطة على الخضوع[4]، وأخذ الرومان يجهزون لإعداد الحرب ثانية، وعين القنصل سوبرينوس ألبينوس Sp.Potitumus Albinus قائدا للقوات الرومانية، ولعمليات الحرب في إفريقيا [5].

وما نستنتجه من هذه الحملة الأولى على نوميديا هو الفشل الواضح لروما في تحقيق أطماعها، ولا نرجعه فقط إلى الدخول المفاجئ لروما في الحرب، دون أي استعداد كونها استغلت استنجاد أذربعل بهم، كما استغلت مقتل الجالية الايطالية، وإنما نرجعه لقوة النومديين وحماسهم في الدفاع عن شرفهم، وشرف أرضهم بكل تضحية، فلا نرجعه إلى تعبير سالوستيوس الذي حمّل انتصارات يوغرطة إلى الرشوة والمال، والخديعة وإنما هي سيمات غلبت على الرومان في أفكارهم و هذا ما نراه في الحملات الأخرى.

2 - **حملة ألبينوس**: بعد أن فشل بيستيا في القضاء على يوغرطة، بل وأكثر من ذلك أحدث صراعا كبيرا في مجلس الشيوخ بعد استدعاء يوغرطة، فكان لحادثة اغتيال مسيوا صدى كبير في روما، حيث تحدى يوغرطة روما وشوه كرامتها وهيبتها، وبذلك فكيف ترضى روما أن يأتي مدينتهم من يعبث فيها فسادا، فأصبحت الحرب إذن أكثر من حتمية[6].

---

[1] Gsell S., Op - cit , pp 169-170.
[2] Ibid, p 170.
[3] Salluste, XXXV.

[4] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة، ص 35.
[5] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 50.
[6] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 167.

لقد تم تعيين ألبينوس سوبرونيوس قنصلا وقائدا للعمليات سنة 110 ق.م[1]، حيث أسرع إلى نقل المؤن والجند[2]، وفي نفس الوقت التحق بإفريقيا على رأس 40 ألف جندي[3]، وهو عازم على القضاء على يوغرطة، والانتقام للرومان قبل إجراء انتخابات مجلس الشيوخ.

بدأت الحرب من جديد، لكنها تثاقلت، حتى أن البعض ساورتهم الشكوك في أن القنصل يتواطأ مع الملك، فيوغرطة – يقول قزال– تارة يدافع، بل ويهاجم، وتارة يبدوا كمن يستسلم، أو يترك المجال لمتابعته من غير أن يقاوم، فكان بعمله هذا يوهن هجمات الرومان، إذ يجعلهم يأملون السلام أملا خادعا[4]، حيث أقبل فصل الشتاء دون أن تسفر الحرب على أي نتيجة، مما اضطر بألبينوس بالعودة إلى روما في خريف 110ق.م[5]، وأناب عنه أولوس ألبينوس، الذي قاد حملة عل نوميديا، في جانفي 109 ق.م[6]، بعد أن تعطلت الانتخابات، بسبب الصراع بين بيليوس لوكلوس Babuis Lucullus ولوكيوس أنيوس Lucuis Anuis، وبذلك وصل أولوس الى مدينة سوثول[*][7]، حيث هزمه يوغرطة شر هزيمة[8]، أدت بأولوس بقبول التفاوض، ومن بين هذه الشروط أن يغادر المملكة النوميدية في العشرة أيام القادمة[9]، وأن يمر الجيش الروماني تحت النير وهو أعظم رموز القهر والإهانة، مثلت بذلك هذه الشروط المجحفة قمة الخزي والعار، لكن أولوس فضلها على الموت[10].

---

[1] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ، ص 50.

[2] Salluste, XXXVI .

[3] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 50.

[4] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, pp171-172.

[5] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 50.

[6] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 157.؛ Gsell S., Op - cit, p171

[*] سوتول Suthul: لم يحدد المؤرخون بالتحديد موقعها، بالرغم من اشارة ساليست لخصائصها الجغرافية التي وقعت بها المعركة، حيث يعتقد بعض المؤرخون بأنها تقع على وادى الملاق، غير بعيد عن موضع التقائه بوادى المجردة، حيث عمل يوغرطة على الايقاع بالجيش الروماني في منطقة صعبة السالك، للإجهاز عليهم مستغلا حماسة أولوس، الذي أغرته الغنائم، التي كان يطمع الى الظفر بها، فقرر الاغارة على الجيش النوميدي في سوتول إلا أنه انهزم، و فر جيشه الى ما وراء الخندق الملكي. Lacroix M.L., op - cit, pp.32-33 ؛ Salluste, XXXVI.

[7] Salluste, XXXVI .

[8] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 50.

[9] Salluste, XXXVIII .

[10] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 170.

فاضطر سوبروليوس على إثر هذه الهزيمة إلى العودة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكنه فوجئ بالوضعية التي كان عليها الجيش الروماني، جيش منهار، غير منظم وغير قادر على القيام بأي مهمة[1]، ولحسن الحظ يقول قزال أن الملك النوميدي لم يكن يرى من المناسب أن يستفيد من هذه الظروف للقيام بالهجوم، ومن الواضح أنه كان يظن أن كل شيء سينتهي إلى التسوية[2].

وبعد أن نظم الجيش، عاد ألبينوس إلى روما، التي بلغها أخبار الهزائم التي مني بها الجيش، فأحدثت وقعا سيئا عليه، حيث تزامنت مع رفض مجلس الشيوخ للاتفاقية التي عقدها أولوس،وطرح مشروع[*]يقضي بإجراء تحقيق حول الفساد والرشوة التي ذهب ضحيتها بعض القناصل والقادة، وأصدرت المحكمة قرارا بإدانة القادة بيستيا وألبينوس وأولوس، وأمر بنفيهم خارج البلاد[3]، وأسندت القيادة "لميتيلوس Metellus" الذي أولى عناية كبيرة لاختيار مساعديه[4].

3 -**حملة متيلوس**: بعد تعينه كقنصل، نزل متيلوس[**] بإفريقيا سنة 109 ق،م، باتفاق معظم المصادر والمراجع[5]،باستثناء حارش وممسن اللذان ذكرا سنة 108 ق،م[6]، ومعه ضابطين عرف عنهما الدهاء السياسي والعسكري، وهما ريتيليوس P.Rutilus و ماريوس Marius[7] وذلك للانتقام لشرف روما الذي ديس في معركة سوتول سنة 110 ق،م، والقضاء على الملك النوميدي[8].

---

[1] Salluste , XXXVI .

[2] Gsell S., Op - cit , p 173.

[*] كان من أعضاء هذه اللجنة التي أجرت التحقيق، سكاوروس الذي ذكر لنا ساليست أنه ذهب ضحية رشوة مع بيستيا، لكن سرعان ما تم اختياره ضمن الثلاثة المكلفين بالتحري عن قضية الرشوة (Salluste , XXIX, XL)، لكنه عرف كيف يفرض نفسه بوقاره.أنظر: Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p 177.

[3] الناصري سيد أحمد، المرجع السابق، ص 242.

[4] Mommsen Th., *Histoire Romaine, T.* V, pp10-11.

[**] كايكيليوس ميتيلوس Q. Caecilius Metellus: ينتمي إلى اسرة منحت مابين 123– 102 ق،م ستة قناصل، و4 نظار Censeurs و خمسة ممجدين Triomphateurs، فكان فخورا بأصله، وخصما للزعماء الشعبيين وعنفهم، ذو ثقافة، لأنه كان في شبابه تلميذا للفيلسوف Crnéade، انتخب قنصلا في سنة 109 ق،م و سنه 43 سنة، أي قبل السن القانونية، وفي نفس السنة تولى قيادة الجيش الروماني (Gsell, H.A.A.N, T.,VII,, pp178-179.)

[5] Salluste, XLIII .

[6] حارش محمد الهادي ، المرجع السابق، ص 51. ; Mommsen Th, Op-cit , P10

[7] Saumagne Ch.,"*Le champ de bataille du Muthul*, **Rev. Tun**, n 1, 1930, pp 3-17 ; Gsell S., Op - cit , pp 180-181.

[8] غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص 175.

بعد أن نظم الجيش وفرض النظام[1]، تقدم نحو الأراضي النوميدية غربا في بداية الربيع[2]، دون أن يبدي الملك النوميدي أي مقاومة، واستولي على سهول مجردة السفلي[3]،حيث استغل متيلوس فصل الحصاد للقيام بحملة نحو الغرب للتمون، فسيطر على مدينة باجة[4]، دون مقاومة، وذلك كَوْن هذه المدينة تمتاز بأسواق الحبوب، وتوافد الجالية الايطالية التي تتاجر في هذه المادة[5]، فاتخذها قاعدة ينطلق منها جيشه عند تحركاته.

يذكر ساليست أن يوغرطة اتصل بميتيلوس في باجة يعبر فيه عن استعداده للاستسلام مقابل الاحتفاظ بحياته وحياة أبنائه[6]، أما ميتيلوس فقد جَدَّ في أن يسلك مع مبعوثي يوغرطة نفس مسلكه مع سابقيهم، حيث حاول أن يغري الوفد النوميدي بتسليم الملك يوغرطة، ويدعي ساليست بأن ميتيلوس تحصل فعلا على وعود في هذا الشأن، لأنهم جبلوا على الخيانة[7]، لكن يوغرطة عمل على أن يقابل خطابات متيلوس بالفعل لا بالقول، لأن الرومان نادوا بالسلم قولا وشنوا عليه حربا، وبذلك لم يجد يوغرطة غير العودة إلى الحرب[8].

ومن مدينة باغة vagga اتجه ميتيلوس نحو الجنوب الغربي، حتى وصل إلى مكان يسمى الموثول[*] Muthul، وهي منطقة جبلية، حيث عسكر يوغرطة خلف التلال و الغابات المجاورة، لمراقبة تحركات متيلوس، هذا الأخير لما أحس بوجود يوغرطة اتجه نحو النهر، بهدف إقامة المعسكر على ضفتيه، لكن يوغرطة بدهائه العسكري فرض حصار على قوات متيلوس، فانقض النوميديون على صفوف الرومان الذين اختل نظامهم[9].

---

1 Salluste, XLIV, XLV
2 Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p 181.

3 حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي، ص 51.
4 فنطر، محمد، المرجع السابق، ص 179.

5 Salluste, XLVII.
6 Ibid , XLVI.
7 Ibid , XLVI.
8 Salluste, XLVII- XLVIII.

* وادى الموثول: يعتقد قزال أنه وادى الملاق..Gsell S, H.A.A.N, T.,VII, p190

9 Salluste, L - LI.

كانت طريقة القتال التي اعتمدها يوغرطة سبب في انتصاره، فيما يتعلق بهذه الطريقة، يذكر قزال أن الجيش النوميدي يقوم بتحركات سريعة، ذلك أن طبيعتهم تهيؤهم إلى مثل هذا النوع من الحروب، حيث تجهد العدو بالمضايقة، والإزعاج مع مراقبة تحركاته، يعزلونه فيمنعون عنه مصادر الماء، وينصبون الكمائن لاستدراج العدو ثم ينقضون عليه، ومن خلال مناوشات قصيرة يكابدون العدو خسائر فادحة، وعندما يدركون تفوق العدو عليه، يبتعدون ويظهرون في مواقع أخرى، وقد يختارون الوقت والمكان الملائمين للظهور، تجعل بعض وحداته تتبعهم منفصلة عن صفوفها وتقع في الفخ، فتلعب في هذه الحروب، الحربة والقوس البارثي دورا هاما[1].

وبالمقابل استخدم متيلوس سياسة الحرق والتخريب ضد الأهالي، بالسيطرة على المدن بعد تخريبها[2]، في حين أثبت يوغرطة ذكائه وحنكته[3]، فكان ينقض على الجيش الروماني ليلا، فيقتل ويأسر كلما سمحت له الفرصة، كما لجأ ساليست إلى تسميم الأعشاب والعيون حتى لا يستغلها الرومان[4]، فكان بذلك " مخيف في غيابه عنه في حضوره، ورهيب في الحرب والسلم "[5].

حاول متيلوس تغيير طريقة الحرب المنظمة، فحاول استدراج يوغرطة، بمهاجمة مدينة زاما، لكن يوغرطة اكتشف خطته عبر بعض الفارين من الجيش الروماني[6]، الذين التحقوا به لأسباب لم يذكرها ساليست، فسار متيلوس نحو زاما، لتباغته قوات يوغرطة بالهجوم على معسكر جيشه، وألحق بهم خسائر كبيرة، وفي اليوم التالي أمر متيلوس فرسانه بالبقاء في المعسكر، فاستغل يوغرطة ذلك، وفاجئ متيلوس، لنجدة المدينة، وجرت معركة أظهر الفرسان النوميديين بلاء حسن، مما انعكس سلبا على المشاة الرومان[7].

---

[1] Gsell S., *H.A.A.N*, T.,VII, p 187.

[2] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 52.

[3] Mommsen Th., Op – cit , P 46.

[4] Salluste, LVI.

[5] Ibid, XLVI

[6] Ibid, LIX- LX.

[7] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 179.

على إثر هذه الهزيمة التي تكبدها الرومان، انسحبوا إلى ولاية إفريقيا، واستغل يوغرطة ذلك في استرجاع باجة، وقضى على المعسكر الروماني فيها، حيث لم يسلم إلا توربيليوس سيلانوس[1] T.Turpiluis Silanus، لكن في ربيع 208 ق،م استرجع متيلوس باجة، فاضطر يوغرطة للانسحاب إلى تالة Thala، ثم انتقل إلى قفصة Capsa، ومنها اتجه غربا، حيث جند الجيتول[2]، وصولا إلى ملك موريطانيا بوخوس Bocchus، وإقناعه بالوقوف ضد الرومان[*]، حيث عمل الملكين الافريقيين في البداية على الاستعداد للهجوم على مدينة سيرتا، التي كان متيلوس يعسكر بإحدى ضواحيها[3]، لكن في تلك الأثناء حدث تغيير في قيادة الجيش، بتعيين ماريوس مكان متيلوس.

نستنتج مما سبق أن النوميديين أدركوا الخطر الروماني، وبنوع من الشعور الوطني، دافعوا عن أرضهم ضد الرومان، إذ يذكر فنطر أنه لو لم يكن ذلك الشعور في نفوس النوميد لما استطاعوا مجابهة الجيوش الرومانية، وفي هذا الصدد ينسب ساليست خطابا ألقاه يوغرطة على الجيوش النوميدية والمورية بحضور بوخوس جاء فيه :" إن الرومان قوم ظالمون، غاية في البخل وحب المال، يكنون العداوة لبني الانسانية عامة، وحبهم للسيطرة، جعل منهم أعداء الممالك والدول، تراهم اليوم يتآمرون علي كما تآمروا بالأمس على قرطاج، والملك بيرسيه، وسيظهرون عداوتهم بالغد لكل من له ثروة تهمهم "[4].

1 Salluste, LXVII - LXVI.

2 Rinn L., *Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha*, **Rev. Afr**, T.29, 1885**,** pp 180-181.

* يرجع ساليست سبب تحالف بوخوس مع يوغرطة الى العطايا و الهدايا التي منحها لهم يوغرطة له، و قد ساعده في ذلك، رفض روما التحالف مع بوخوس، أما السبب الثاني فهو زواج يوغرطة بإحدى بنات بوخوس، في حين يرى ساليست يرى أن هذا العامل ليس له أهمية لدى النوميديين و الموريطانيين لتعدد الزوجات (Salluste, LXXX, LXXXI)، ولا يستبعد حارش أن يكون هذا الزواج له الدور الحاسم في انضمام بوخوس إلى يوغرطة (حارش، محمد الهادي، ساليستيوس وحرب يوغرطة، ص 62-63)، و يستدل في ذلك إلى الكلمة التي ألقاها بوخوس في محضر سيلا، إذ قال :" إنه إذا حمل السلاح، فليس من أجل الاعتداء، لكن من أجل الدفاع عن مملكته.... وأنه لا يسمح لماريوس، أو لأي كان بالاعتداء عليها و تخريبها....". بذلك استطاع أن يقنع بأن مصير مملكتهما واحد أمام الزحف الروماني، كما لفت انتباهه بأن مصير مملكته متعلق بمصير المملكة النوميدية.(غانم، المملكة النوميدية المرجع السابق، ص 85.).

3 Salluste, LXXX, XXXI

4 Ibid, LXXXI.

4 - حملة ماريوس :

بتعيين ماريوس[*] في منصب القنصلية سنة 107 ق،م، بادر إلى زيادة عدد جنود الفرق[1]، بحيث رفع عددها من 4200 جندي الى 6200 ق،م[2]، و بمقاييس جديدة حسب ساليست، إذ يذكر أن ماريوس كان يسهر بنفسه على عمليات التجنيد، وكان يختار جنوده لا حسب التقاليد المألوفة، ولا حسب الطبقات، بل يجند كل المتطوعين، وكان جلهم من الفقراء الذين لا يؤدون الخدمة العسكرية[3].

وهذا التعديل كان في صالح ماريوس حسب قزال[4]، لأن المتطوعين الفقراء لا يفكرون في شيء سوى المتعة بأموالهم، وبذلك يقاتلون بحزم ويسعون بجهدهم وراء النصر[5]، كما طالب بفرق مساعدة من الحلفاء، حيث انظم إليه غودا، الذي أعلن موالاته إلى الرومان[6]، لكن قزال يذكر أن ماريوس رفض مجالسته، لأن روما وشرفها لا يمكن أن تكون تابعا لنوميدي، في حين يذكر ديون كاسيوس أن ماريوس رفض أن يجعل تحت إمرته –غودا– حتى الأهالي الذين فروا من الجيش النوميدي[7].

---

[*] ماريوس Marius: عاش مابين 158-86 ق،م، ولد بأبينوم Apinum في جنوب روما، ينتمي الى عائلة أتروسكية عريقة، انظم مبكرا للجيش، و أظهر كفاءة عالية تحت إشراف سكيبيو اميليانوس في ابيريا، وبرز كقائد بارز أثناء حصار نومانس فيما بين 134-133 ق،م، وتولى العديد من الوظائف العسكرية، منها كستور سنة 121 ق،م، ثم تريبون Tribun سنة 119 ق،م، ثم بريتور Préteur، و فاز بمنصب بروبريتور Propréteur على مقاطعة اسبانيا في سنة 120 ق،م، وعين قنصلا سنة 107 ق،م، ليقوم بالحرب في نوميديا على يوغرطة، ليحسمها لصالحه في سنة 104 ق،م بمساعدة سيلا، و توفي سنة 86 ق،م. أنظر: Frédouille (J.C.), *Dictionnaire de la civilisation romaine*, édit.2, Larousse, Paris, France, 1999. Pp 100-101

[1] حارش، محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 54.

[2] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p p 227.

[3] Salluste, LXXXVI.

[4] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p 225.

[5] Ibid, pp 226-227.

[6] Salluste, LXV. ; *Barthier A., La Numidie*…, pp 71-72.

[7] *Barthier A., La Numidie*…, p 228.

نزل ماريوس بإفريقيا، بعد أن أنهى كل الاستعدادات، على رأس قوات تقدر ما بين 20 إلى 30 ألف جندي[1]، كما استلم في أوتيكا حوالي 50 ألف جندي، من قبل روتيليوس، وهي قوات متيلوس بإفريقيا، ليصبح مجموع القوات حوالي 70 ألف جندي[2].

أشرنا سابقا إلى أن الحلف النوميدي الموري استرجع سيرتا من متيلوس، ولكن بعد علمها بقدوم ماريوس، تفرقا واتجه كل منها إلى مناطق صعبة المسالك، وفق رغبة يوغرطة[3]، لكن بعد مناوشات أولية في سيرتا، أدرك ماريوس طريقة قتال يوغرطة، التي لا تدرك نهاية الصراع، لذلك قرر مهاجمة المدن واحتلالها، لعله يستدرج الملكين لنجدتها[4]، فاستطاع احتلال قفصة Capsa باعتبارها مركزا هاما حسب ساليست[5]، ورأى فيها ماريوس مدينة قد تمده بالشهرة، مثلما أمدت تالة متيلوس بشهرة كبيرة في روما[6].

باحتلال ماريوس لمدينة قفصة سنة 107 ق،م، أمر بنهبها وتقتيل سكانها، ثم أمر بحرقها[7]، وبذلك يكون قد حقق شهرة على شهرته وعظمته، وزاد تعلق الشعب الروماني به[8]، كما أصبح مجلس الشيوخ لا يتردد في الموافقة على كل ما يقترحه ماريوس[9]، هذا ما شجعه على الاستمرار في مواجهة الجيش النوميدي الموري حتى بلغ نهر الملوية[10].

واستطاع ماريوس تحقيق عدة انتصارات على يوغرطة وبوخوس، دون أن يحقق نصرا ساحقا ينهي التحالف، وفي هذا الصدد يشير ساليست إلى أن ماريوس لاحق يوغرطة غربا إلى قلعة توريرت على ضفاف نهر الملوية[11]، وحسب ساليست فيها أودع بها يوغرطة أمواله، وهي قلعة محصنة، وبها

---

1 حارش محمد الهادي، دراسات في تاريخ الجزائر....، ص 250.

2 Salluste, LXXXVII.

3 حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 54.

4 Salluste, LXXXIX.

5 حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 54.

6 Salluste, LXXIX.

7 فنطر محمد، المرجع السابق، ص 240.

8 Salluste, XCI.

9 Ibid, XCI.

10 Ibid, XCII.

11 Ibid.

كل الإمكانيات الدفاع الطبيعية والبشرية[1]، إلا أن ماريوس استطاع السيطرة عليها بفضل الجندي الليغوري، الذي اكتشف ممرا خلفيا للقلعة[2].

فكانت هذه الحيلة التي قام بها ماريوس بهدف خلق الشقاق في الحلف النوميدي الموري، وإثارة مخاوف بوخوس[3]، إلا أن يوغرطة استغل ابتعاد ماريوس عن سيرتا، واستطاع استعادة بعض المناطق المجاورة لها في صيف 206 ق،م[4]، لكنه لم يستطع البقاء بسيرتا طويلا، حيث تمكن ماريوس من استعادة اقليم سيرتا، وبها أقام معسكره في خلال هذه الفترة[5].

وبعد ذلك يذكر لنا ساليست معركتين حدثتا في إقليم سيرتا، تكون الأولى قد حدثت في شهر نوفمبر إلى الغرب من سطيف[6]، يحددها بول في منطقة عين العنصر ووادى قعمور[7]، والمعركة الثانية كانت قرب سيرتا بين جرمة وواد ستيتة[8]، حيث حقق ماريوس انتصارا ساحق على يوغرطة، بعد أن سقطت كل قواته، ففر و السهام تلاحقه[9].

بعد هذا النصر الكبير الذي حققه ماريوس، استقر في سيرتا، وفيها استقبل مبعوثين من الملك بوخوس، الذي أراد الدخول في هدنة مع الرومان[10]، بعد أن بدأ في التردد في مواصلة الحرب مع يوغرطة حسب ساليست، وأبلغوه عن رغبة بوخوس في التفاوض من أجل إنهاء الحرب وفقا لمصالحه ومصالح الشعب الروماني، وأنه يطلب إرسال اثنين من رجاله لمقابلة الملك، فتم إرسال سولا L.Sola ومنليوس Manulius[11].

[1] Salluste, XCII.

[2] حارش، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 55.

[3] Gsell (S) , *H.A.A.N, T.,VII,* p 237.
[4] Ibid, pp 242 - 243.
[5] Mommsen Th., Op – cit, pp 144 - 146.

[6] حارش محمد الهادي، تطور السياسي و الاقتصادي...، ص 59.

[7] Poulle Ch., *A travers la Maurétanie Setifienne,* R.S.A.C., T7, 1863, p 57.
[8] Ibid, p 59.
[9] Gsell S., *H.A.A.N, T.,VII,* pp 244-246.
[10] Salluste, CII.
[11] Ibid, CII.

وأثناء اللقاء صرح بوخوس أنه إذا حمل السلاح، فالخطأ خطأ ماريوس، الذي تعدى على أراضي كان هو قد انتزعها من يوغرطة حسب أبيان[1]، أما ساليست فقد ذكر أن الملك قال بأنه :" حمل السلاح، دفاعا عن مملكته، كما أن رفض روما التحالف معه عندما عرض عليها ذلك، وأنه على استعداد لنسيان الماضي والعمل للمستقبل "[2]، ولم يكتفي بوخوس بالتفاوض مع ماريوس، بل أرسل وفدا إلى روما يطلب التحالف، فردت روما بهذا الشكل :" مجلس الشيوخ والشعب الروماني، لا ينسيان لا الحسنات ولا السيئات لبوخوس، وإن الرومان يصفحون عنه لأنه تأسف على ما قام به ضدهم، أما عن معاهدة التحالف فينالها عندما يستحقها "[3] .

يذكر ساليست أن تلك اللقاءات التي جرت بين سيلا وبوخوس كانت بحضور أسبار، الذي شعر بالنية السلبية لدى الرومان، فحاول إقناع بوخوس بالقبض على سولا[4]، وحسب فنطر فإن كلا من الطرفين كانا يحثان بوخوس على القيام بنفس العمل، الرومان يريدون يوغرطة، وهذا الأخير يريد سيلا، فبوخوس بعد أن ميز في الأمر، اختار بدون شك ضمان الحماية من حليف قوي، ولكن بعيد، والقضاء على جار خطير[5]، وبذلك اتخذ موقف حماية مصالحه الخاصة ومصالح مملكته بالدرجة الأولى[6] .

اتفق سيلا مع بوخوس على إعلام يوغرطة عن طريق أسبار، عن استعداد الرومان للتفاوض معه، فتقدم يوغرطة مع الوفد المرافق له بدون سلاح، حسب رغبة ماريوس، أين تم الايقاع به في كمين نصبه بوخوس[7]، حيث قتل كل من كان معه، وسلم يوغرطة لسولا Sola، الذي نقله إلى ماريوس في نهاية صيف 105 ق،م[8].

---

[1] Appien, VIII , 2.4.
[2] Salluste, CII.
[3] Ibid.
[4] Ibid, CVIII.
[5] Decret F., Fantar M., op - cit, p 74.
[6] Salluste, LXXX .
[7] Ibid, CXIII
[8] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, pp 258-259.

ثم نقل يوغرطة إلى روما، واحتفل ماريوس والشعب الروماني بالقضاء على يوغرطة[1]، وبعد هذا الاحتفال أخذ الملك النوميدي ووضع في التوليانوم تحت معبد الكابيتول، إلى أن توفي في اليوم السابع، بعد أن قضى 6 أيام بدون طعام في 104 ق،م[2].

وبذلك انتهت إحدى الملاحم التي عاشتها نوميديا، في سبيل الحرية، والتي مثلت بذلك أبرز مظاهر الرفض لكل ما هو أجنبي، وأكدت وعيهم بالقضية الافريقية وعيا كاملا، حتى أن ماريوس لم يغادر المنطقة بمجرد القبض على يوغرطة أواخر 105 ق،م، وبقاءه إلى نهاية السنة كان لاستمرار ثورات الموالين ليوغرطة، مما حتم على ماريوس البقاء لإخمادها[3]، ويؤكد ذلك قزال، إذ يذكر أنه بقي لتصفية الوضع بالمملكة[4].

5- انعكاسات الحرب اليوغرطية: من المؤكد أن روما لم توسع ولاية إفريقيا، بعد انتصارها على يوغرطة[5]، وذلك يعود إلى الأوضاع الداخلية الناجمة عن الصراع الاجتماعي، بالإضافة إلى الحروب الخارجية[6]، وأهمها تهديد شعوب الكمبري Cimbri والتيوتون Teutoni لحدودها الشرقية، وعدم رغبتها في فتح جبهة جديدة في الأراضي الإفريقية، ولعدم خشيتها على مصالحها في المنطقة بعد القضاء على إفريقيا[7]، وحول هذه السياسة يقر مومسن بأنها سياسة الجبناء، وندد بنقص الرؤية والشدة[8]، وهي عند قاستو سياسة الحذر[9]، أما عند بوسبير فهي قمة الحكمة السياسية[10].

أما الحدود السياسية للملكة النوميدية فقد تغيرت وجزأت من أجل إضعافها[11]، بحيث منحت الجزء الغربي من نوميديا لبوخوس، وفاء من الرومان لوعودهم، التي منحوها له، وذلك لتحالفه

---

1 Salluste, LV.

2 Richard J.C., *La victoire de Marius*, M.A.H , vol.77, N°.01,1965 , pp 69-86.

3 فنطر محمد، المرجع السابق، ص 298 -299.

4 Gsell S., Op - cit , p 259.

5 Ibid, p 262.

6 حارش محمد الهادي، تطور السياسي و الاقتصادي...، ، ص 60.

7 نصحي ابراهيم، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى 133 ق،م، ج 1، مكتبة الأنجلو – المصرية، مصر، 1983. ص 198.

8 Mommsen Th., Op - cit , p 160 .

9 Boissier G., *L'Afrique Romaine* , Op – cit, p 84.

10 Boissiere G., Op – cit, p 156.

11 بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 53.

معهم، ودوره الفعال في إلقاء القبض على يوغرطة، ومنحته روما لقب "صديق وحليف الشعب الروماني"[1]، بحيث امتدت حدود مملكته إلى وادي فليتون غرب صلداي[2]، في حين يضعها قزال مابين الشلف و الملوية[3].

تتويج الأمير غودا ابن مستنبعل شقيق يوغرطة ملكا على الجزء الشرقي من نوميديا، غير أن هذا الملك كثيرا ما وصفته المصادر بضعف الشخصية[4]، وتعيين غودا على رأس نوميديا كان خدمة لمصالح روما، لأن ضعف شخصيته ستجعله يخشى روما، ومن ثمة سيبقى خاضعا ومخلصا لهم[5]، لتتحول نوميديا في عهده إلى سوق للتجار الرومان والجواسيس الذين يستغلون الثروات النوميدية، حيث بادر ماريوس بعملية استيطان الجالية الايطالية في العديد من المدن، ومنها ليخي مايوس (Majus Lichi) ومستعمرة ثيباريس (Thubaris)، كما وصف ماريوس بقائد مستعمرة ثربورنيكا (Thibornica Colonia Conditor)، وهذا لا يعني أنه المؤسس الحقيقي للمستعمرات بل هو الأول من بادر باستيطان الجالية الايطالية[6].

ثم أنشأت مملكة في القسم الأوسط، أي بين واد الشلف حتى حدود مملكة غودا بصلداي[7]، أطلق على ملكها اسم مستانزوسس (Mastanesosus)، ويعتقد شنيتي أنها كانت منطقة حرة جعلها الرومان فاصلة بين موريطانيا الموسعة ونوميديا المصغرة، خشية وقوع نزاع بين المملكتين[8].

أما الجيتوليين الذين حاربوا تحت قيادة ماريوس، فإنهم نالوا حق المواطنة الرومانية، كما نالوا أراضي تقع خارج الولاية، ولعلها كانت حول تيبريس Thibaris ومناطق بناحية دوقة[9] dugga، ومنح لهم بموجب قانون lex Apuleia لكل واحد منهم إقطاعا مساحته 100 يوجيرا أي 25

---

[1] Gsell S., Op - cit, p 264.
[2] Poulle Ch., Op - cit, p 89 ; Mommsen Th., Op – cit , p 117.
[3] Gsell S., Op - cit , p 264
[4] Salluste, LXV.
[5] Lacroix M.F., *L'Afrique ancienne,* R. Afr ,N°.14, 1870, p 44.
[6] Carcopino J., Op - cit, p 338.
[7] حارش محمد الهادي، تطور السياسي و الاقتصادي...، ص ص 40-41.
[8] Mommsen Th., Op – cit, p 117.
[9] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p 263.

هكتار، والمحتمل أن تكون المنطقة الممتدة مابين الخندق الملكي وأشولا Acholla وتيناي Thenae إلى غرب الواد الأوسط لنهر مجردة[1].

كما اعتبر مجلس الشيوخ المملكة النوميدية بعد هزيمة يوغرطة، بأنها ملك عام للشعب الروماني المنتصر Ager Publicus، وذلك بمقتضى حق الامتلاك بعد الاستيلاء الذي يطبقه الرومان في توسعاتهم[2]، وأصبح لهم الحق في التصرف في الارض ما وراء البروقنصلية، التي أصبحت قانونيا من أملاك الشعب الروماني.

أما روما فقد كشفت هذه الحرب الفساد المتفشي بين أعضاء مجلس الشيوخ الروماني[3]، وعن مناهضة الفرسان والعامة لهم، كما أن تعيين ماريوس سنة 107 ق،م، أتى بإصلاحات جديدة منها التخلص من تدخل مجلس الشيوخ في تعيين القناصل، و كما اعتبر عصره بداية جديدة في الجيش، من خلال فتحه المجال للمتطوعين غلى أساس القدرة البدنية لا على أساس الثروة[4]، كما جعل لهم رواتب يتقاضونها، وعند تسريحهم تمح لهم قطع زراعية، كما منح الحقوق الرومانية الكاملة لأعداد كبيرة من الايطاليين الذين يتعذر عليهم الحضور في الجمعيات الشعبية[5].

وبذلك اقتضت سياسة الاحتلال التدريجي التي أملتها ظروف روما الداخلية عدم استثمار النصر العسكري الذي أحرزه الجيش الروماني في حربه ضد يوغرطة، إذ كان متيسرا على روما أن تعلن نوميديا المهزومة إقليما رومانيا، وتنصب ولاية لها فيه على نحو ما فعلت من قبل في إقليم قرطاجة سنة 146 ق،م، لكن بدلا من ذلك رتبت أوضاع ما بعد الحرب بصورة ضمنت لها قوة النفوذ وزمام المبادرة بالتدخل كلما لزم الأمر صونا لمصالحها العليا في المنطقة.

---

[1] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 167.

[2] غانم محمد الصغير، مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم...، ص 115.

[3] عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني من تيبريوس جراكوس الى أكتافيوس أغسطس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ب-ت، ص 51.

[4] Salluste, LXXXVI.

[5] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص ص 167 -168.

وعليه فإن نوميديا قد فقدت كل مواصفاتها الاستقلالية السابقة، فاندمجت في الحضارة الرومانية وراء ما يسمى بسياسة الرومنة، ففي المجال السياسي من خلال تعيين حكام ضعاف على المملكة لسهولة التحكم فيهم، كما أنها ستتأثر بما سيجري في روما من صراعات أهلية بين حزبي العوام والأشراف في بداية الأمر، ثم بين الجمهوريين والإمبراطوريين فيما بعد، مما جعلها عرضة لانقسامات داخلية كانت سببا في تسارع عملية السيطرة عليها من روما، أما في المجال الاقتصادي فقد غلب عليه استصدار قوانين تخدم سياسة روما ومصالحها، وفتحت المجال واسعا أمام تجارها وطبقة الفرسان، وغيرهم من الباحثين عن الثروة.

ودخلت نوميديا بعد الإجراءات السابقة عهد التبعية الصريحة وخمدت طموحاتها في التخلص من هيمنة روما المتزايدة، وتلاشت أحلام يوغرطة في مقاومة المد الروماني بقوة السلاح، باستثناء محاولة هيرباص -التي سوف نتناولها فيما بعد- واكتفت الاسرة الحاكمة بمسايرة الوضع الجديد الناجم عن الحرب اليوغرطية، وتجنب الملوك انتهاج السبل السياسية التي تذكر روما بعهد يوغرطة تفاديا منهم لتكرار التجربة الأليمة.

ثالثا: الحرب الأهلية الأولى و انعكاساتها على نوميديا.

1 -**التطورات السياسية بعد يوغرطة**: لا نكاد نعرف شيئا عما جرى في شمال افريقيا أثناء أكثر من نصف قرن، ما بين حرب يوغرطة وحملة يوليوس قيصر، وبالتالي يصعب اعطاء لائحة مؤكدة بالملوك الأهالي وحدود ممالكهم.

رأينا من قبل نتائج حرب يوغرطة، التي من بينها منح الجزء الغربي من نوميديا لبوخوس، والجزء الشرقي لغودا(1)، هذا الأخير كثيرا ما وصفته المصادر بنقص الأهلية(2)، لكن كونه مرشح من قبل مكيبسا للحكم من الدرجة الثانية دليل على أهليته للحكم والإدارة (3)، فكان وصوله إلى السلطة بفضل الإرادة النوميدية، وكان وفيا لها يأتمر بأوامرها(4)، وفقا لحق الشعب الروماني في

[1] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, pp 262-263.
[2] Salluste, LXV.

[3] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 169.
[4] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 68.

التصرف في أملاك نوميديا التي أصبحت من أملاك الشعب الروماني[1]، وإضافة إلى ذلك يشير كل من قزال وبول إلى وجود ملك نجهله في القسم الغربي من نوميديا، وقد تطورت المملكتين بمعزل عن بعضهما البعض لفترة زمنية[2].

بالنسبة لغودا لا نعرف كثيرا عن حياته، ولا حتى تاريخ وفاته[3]، ذلك الغموض الذي مَيَّز الفترة الفاصلة ما بين حرب يوغرطة وحملة يوليوس قيصر على إفريقيا سنة 49 ق،م، لكن حارش لا يستبعد أنه لم يكن على قيد الحياة سنة 88 ق،م[4]، كما أننا لا نعرف شيئا عن انجازاته، باستثاء ما ذكر عن انضمامه إلى ماريوس في حربه ضد يوغرطة، وبوفاته خلفه ابنه هيمصال الثاني على عرش نوميديا، في حين يشير كامبس إلى أنه بوفاة غودا انقسمت نوميديا إلى مملكتين، مملكة شرقية حكمها هيمصال الثاني، تمتد من سيرتا إلى الولاية الافريقية جنوبا، ومملكة غربية حكمها شخص يدعى ماستنسوزوس Mastanesosus ضمت تقريبا المنطقة الممتدة من نهر الشلف حتى سيرتا، وفي سنة 82 ق،م ظهرت شخصية هيرباص، دون أن نعرف كيف وأين ظهرت[5]، أما قزال الذي لا يستبعد أن يكون تاريخ وفاة غودا كان سنة 105 ق،م، أي سنة بعد توليه الحكم[6]، وتصوره يتفق مع كامبس، مع اختلاف في التقسيم الاداري لنوميديا، حيث يذكر – قزال– أنها قسمت إلى قسم شرقي منح لغودا، وقسم غربي منح إلى ملك نجهله، وعند وفاة غودا اعتلى العرش ابنه هيمصال الثاني، في حين اعتلى عرش القسم الغربي بعد الملك المجهول ماسينيسا[7].

أما بول فيختلف عنهم نوعا ما، فيذكر أن المملكة قسمت إلى قسمين، شرقي لغودا، وغربي إلى ملك نجهله، وقد تطورت كل مملكة بمعزل عن الأخرى، ففي المملكة الغربية بعد اختفاء الملك المجهول خلفه مازينتا Massinth وجاء بعده الملك ماسناسس Masanasses أو ماناسس

[1] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p 280.
[2] Ibid, pp 281-287.
[3] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 69.
[4] نفسه.
[5] Camps G., Op - cit, p242 .
[6] Gsell S., Op - cit, p 281-282.
[7] Ibid, pp 282-287.

ManasseS أو ماسينيسا Masinissa، أما القسم الشرقي الذي يقع في جنوب وجنوب شرق مقاطعة إفريقيا الرومانية فقد خلفه هيمصال الثاني[1]، ويرى بعض المؤرخون أنه حكم أقصى المناطق الشرقية من نوميديا وهذا استنادا إلى الأحداث التي جرت في المنطقة التي عرفت فيما بعد بالمزاق Myzacene، أثناء الصراع بين سيلا وماريوس[2]، وقسم ثالث في الجزء الشرقي يمتد ما بين مقاطعة إفريقيا الرومانية ومملكة نوميديا الغربية[3]، هذه الأخيرة لا يستبعد حارش أنها المملكة التي حكمها الملك هيرباص في المنطقة المحاذية لسيرتا، والواقعة بين لمساقا (الوادى الكبير) وصلداي (بجاية)، وكانت عاصمته بولا ريجيا Bulla Regia بالقرب من نهر مجردة[4].

وقد استند كل من قزال وحارش إلى ما ذكره شيشيرون إلى مملكة ماستنسوزوس Mastanesosus التي مر بها فاتينيوس سنة 62 ق،م، وهو في طريقه إلى اسبانيا[5]، ونقل لنا قزال ما جاء فيها عن شيشيرون بقوله :" ألا تذكر أنك مررت بسردينيا، ثم افريقيا، وأخيرا بمملكة هيمصال ومملكة مستانسوسس"[6]، و كذلك ما ذكره أبيان باسم ماساناس Masanasses، كما تم العثور على قطعة نقدية باسم ماستينيسا Mastinissa[7]، في حين يرى شاربي أن ماسينتا هو نفسه الأمير الذي حالف الملك يوبا الأول، وحارب الرومان بعد انهزام يوبا، وانتزعت مملكته[8]، ويوافقه مازار الذي يستبعد أن يكون قد حكم نفس المنطقة ثلاثة أمراء في فترة وجيزة، وحملوا نفس الاسم بالصدفة[9]، كما أنه يمكن أن الاسم لنفس الشخص، لأن هناك تغيرات تأثر بسهولة في أسماء الأهالي في الكتابات الاغريقية واللاتينية[10]، وقد أجمع كل من قزال وحارش ومازار على أن ما ذكر

---

1 Poulle Ch., Op - cit, p 80
2 Ibid, p 78.
3 Ibid, pp 81-82.

4 حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 71.

5 نفسه ؛ Gsell S , Op - cit , pp 279-280.

6 Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p 291.

7 حارش، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 71.

8 Charrier L., *Description des Monnaies de la Numidie st de la Mauritanie et base sur le dege de roretè*, frères, 1912 , p18.
9 Mazard j., *Numismatique des Rois Massyles 104-40 Av.J.C*, **cahiers Byrsa**, T3, 1953, p 92.
10 Kantarini (V.N), *Le Roi Hiempsal II de Numidie et Rhodse*, **Ant. Cla**, T44, 1975, p97.

عن شيشيرون وعند أبيان، وما أكدته النقود ما هو إلا اسم لملك واحد وهو ماستينيسا، وحكم القسم الغربي من مملكة هيمصال الثاني، الممتدة من طبرقة إلى صلداي[1].

نستنتج أنه رغم غموض الاشارات الواردة في بعض المصادر عن الوضع السياسي في نوميديا ما بين حرب يوغرطة وحملة قيصر على إفريقيا، فإن المملكة كانت مقسمة إلى ثلاثة أقسام، وهي مملكة هيرباص الذي لا نعرف تاريخ بداية حكمه، والذي كان يحكم المنطقة المحاذية لسيرتا وعاصمتها بولا ريجيا، وهيمصال الثاني الذي حكم القسم الشرقي، أو أقصى المناطق الشرقية من نوميديا المجاورة المقاطعة الإفريقية الرومانية، أما القسم الثالث فهو القسم الغربي فقد حكمه الملك ماستينيسا، في المنطقة الممتدة من طبرقة إلى صلداي.

وفي إطار الحرب الاهلية الأولى بين سيلا و ماريوس (88-81 ق،م) سوف ينقسم الملوك إلى أحد الطرفين المتصارعين، ويقحم بذلك الملوك أنفسهم في قضية لا تعنيهم، وتتحمل نوميديا النتائج السلبية لذلك الصراع، لا من قريب ولا من بعيد، باستثناء مبادرة هيرباص في توحيد المملكة، حيث قام بما يشبه حركة عصيان على الكيان الروماني.

مع الاشارة إلى أن العلاقة التي كانت تربط الأرستقراطية الرومانية بالقادة النوميديين، هي علاقة كان يؤطرها ممثلو الارستقراطية الرومانية من وكلاء ورجال أعمال وتجار، كانوا يمارسون نشاطهم في مملكة نوميديا مثلما كانوا يفعلون في الولاية الرومانية، وهذا الترابط المصلحي يبعث بحكام الولاية بأن يسهروا على حماية تلك النشاطات التي يقوم بها الوكلاء عبر مدن نوميديا ومراكزها التجارية.

وبذلك كانت نوميديا من أبرز المناطق التي تعرضت لنماذج متنوعة من أوجه السياسة الرومانية الممهدة للاحتلال، فالتحالف كان يمثل أولى خطوات الرومان نحو السيطرة على بلاد الاحلاف، و قد نجح مجلس الشيوخ في استغلال ميزاته مع الملوك النوميد، حيث كان التحالف أقوى سند للدبلوماسية الرومانية في القضاء على القرطاجيين، وهو نفسه- التحالف- استخدمه في تهيئة الجو النوميدي سياسيا وإقتصاديا وإجتماعيا لتوسيع النفوذ الروماني في المنطقة بأقل التكاليف.

---

[1] Poulle Ch., Op - cit, p 80 ; Gsell S., Op - cit , pp 282-287 ; Mazard j., Op - cit , pp 92-93.

2 - **أسباب الحرب الأهلية الأولى**: يذكر قزال أن الكيفية التي وقع بها القبض على يوغرطة لم يكن بها ما يدعوا للفخر، ومع ذلك فقد تمجد ماريوس بذلك كما رأينا سابقا، لأن هذا العمل عمله، ومتصرفه المالي إنما تصرف بحسب أوامره، ويبدوا أن سولا الذي قاد بدهاء كبير تلك المفاوضات الصعبة والخطيرة، لم يجهر في أول الأمر بادعاء الميزة لنفسه، وقد اختاره ماريوس ليساعده سنة 105 ق،م، وهذا الاختيار – يقول قزال- برهان على أنهما لم يتخاصما بعد عودتهما من إفريقيا[1]، ولكن لم يستمر هذا الاتفاق طويلا، حيث مال سولا إلى كاتولوس Catulus زميل ماريوس في القنصلية، ثم عين – سولا- بروبرايتور من قبل مجلس الشيوخ، لتأديب قبائل الألب، لإعادة أريوبارزان Ariobarzane إلى عرش كبادوكيا شرق آسيا الصغرى[2].

وبعد عودته إلى روما سنة 91 ق،م، عملت الطبقة الأرستقراطية على استمالته، فشكل هذا العمل نقطة خلاف مع ماريوس، فظهر التنافس الحزبي بين الشخصين[3]، خاصة بعد أن شيد سولا في روما تمثالا للنصر بالكابيتول، يحمل شعار النصر، وبجانبها صور ذهبية تمثله وهو يستلم يوغرطة من بوخوس، فلم يكن هذا العمل ليدخل السرور إلى نفس ماريوس، الذي أغضبه أن يعزى شرف إنهاء حرب نوميديا إلى متصرفه المالي السابق، ولهذا ألح بإزالة هذا الأثر، لكن سولا وأصدقائه طالبوا ببقائه، ومن جهتهم أخذ الأرستقراطيون الذين يكرهون ماريوس ينقصون من قيمته وعمله، ويقولون بأنه سرق مجد سولا، كما سرق مجد متيلوس[4].

رأينا أن من قبل أن الرومان لما علموا بالقبض على يوغرطة، وانتهاء الحرب في نوميديا، انتخب ماريوس لقنصلية 104 ق،م، حيث كان ذلك مخالفا للقواعد والتقاليد التي تقضي بتقدم المرشح شخصيا للانتخابات، وتولي المعني ذات الوظيفة مرتين بعد أن يمر 10 سنوات على الأولى، كما سبق أن رأينا بعض إصلاحات ماريوس، منها فتح باب التطوع أمام كل مواطن روماني مهما

---

[1] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p 278.

[2] Plutarque, *Les Vies des hommes illustres*, trad par J. Amyot, édit Gallimard, paris, 1981, *Vie de Sylla*, I , 5,7.

[3] أحمد علي عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 72.

[4] [4] Gsell S., *H.A.A.N*, T.,VII, pp 279-280.

يكن حظه من الثروة فاكتسب إعجاب الجماهير ورغبتهم في الخدمة تحت قيادته، و وحد تسليح الجنود وتشكيل قوات المشاة خفيفي العدة من المواطنين الرومان، وتنظيم عمل الفرق وإعادة تقسيمها، وتوزيع الغنائم، و بذلك تحول ولاء الجندي للقائد وليس للدولة(1).

وهذا ما استغله ماريوس، واستخدمه ضد القائد لوكيوس كورنيليوس سولا L .Cornilius Sulla هذا الأخير انتخبته الجمعية الشعبية قنصلا سنة 88 ق،م، وأنيطت له قيادة الحرب ضد ميتريدات في الشرق(2)، لأنه أرستقراطي معادي للعامة و الفرسان، أما ماريوس فيتعاطف مع الثوار، ويساندهم في حقهم للحصول على الجنسية الرومانية(3).

وقبل مغادرة سولا لايطاليا، تجمع الشعبيون حول شخصية بوبليوس سوليكيوس روفوس P.Sulbius Rufus، الذي انتخب تريبون للعامة، وأصدر عدة تشريعات، منها منح حق المواطنة لكل القبائل الايطالية، وإعادة كل المنفيين السياسيين، وطرد بعض أعضاء مجلس الشيوخ الاثرياء، وتعيين ماريوس محل سيلا(4)، وهذا ما لم يقبله سولا، فعمل على إفشال التصويت على مشروع سولبكيوس، هذا الأخير رد بعمل مسلح، قتل من خلاله الكثير ومن بينهم ابن بومبيوس Pompée.

وبعد ذلك لجأ سولا إلى مدينة نولي Nolé في إقليم كمبانيا لملاقاة قواته التي تعسكر هناك، والتي أرسل ماريوس قاضيين لإحضار هذه القوات، لكنها رفضت الانضمام إليه(5)، فزحف بها سولا على روما على رأس 6 فرق كان قد حشدها في قابوا Capuia للإبحار إلى الشرق، فسجل بعمله هذا أول عمل لاستخدام القوة العسكرية داخل روما(6)،كما قام بحرق عدد كبير من أحياء العاصمة، خاصة معاقل الشعبيين الذين حاولوا الوقوف في وجهه، وبهذه الوسيلة تمكن سولا من دحر ماريوس، وإخراجه من المدينة(7)، وإعلانه عدو الشعب الروماني، كما رصد مبلغ مالي لمن يأتي برأسه(1)، فضلا

[1] إبراهيم أيوب، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1997، ص 218 .

[2] Barthier A, *La Numidie*…, 80.

[3] إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 219.

[4] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 170.

[5] Plutarque, *Vie de Sylla*, 19.

[6] إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 220.

[7] Plutarque, *Vie de Sylla*, 22.

عن أنه ألغى قوانين سولبكيوس، وأصدر قوانين جديدة، والتي من بينها زيادة نفوذ مجلس الشيوخ برفع عدد أعضائه إلى 300 عضو[2]، وعدم عرض أي مشروع قانون على الشعب قبل الإحراز على موافقة السينا، وحاول التدخل في الانتخابات القنصلية[3].

أما ماريوس فقد وفر بذلك إلى منتورناي Manturnae، و منها أبحر إلى افريقيا سنة 88 ق،م، التي نال بهـا مجدا عظيما، و كان يقيم بهـا كثير ممن عملوا تحت إمرته[4].

نزل ماريوس في جنوب ولاية إفريقيا الرومانية، بجزيرة منانكس Meninx، لكن حاكمها إفريقيا البريتور سكتيليوس Sextilieus أمره بمغادرة المنطقة، بدل معاملته كعدو مجلس الشيوخ الروماني، ومن جهته لجأ ابنه الى هيمصال الثاني ليطلب منه العون[5]، ثم عاد ماريوس إلى السرت الصغرى بعيدا عن الولاية، ومنها إلى قرقنة[6].

لقد كان لهذا الصراع السياسي والعسكري أثر على ملوك نوميديا، حيث وجدوا أنفسهم مجبرين على إعلان مواقفهم من الاطراف المتنازعة على الحكم في روما، إذ أن إتخاذ موقف حيادي كان أمرا متعذرا عليهم في تلك الظروف، خاصة وأن أمر المملكة كان مرتبطا إلى حد بعيد بمصير تلك الصراعات الحزبية الجارية في روما و ولاياتها، ذلك أن مواقف الأطراف الرومانية المتنازعة على السلطة من بلاد الاحلاف كانت واضحة لدى الملوك النوميديين، ومن ثمة كانوا معنيين بما سيؤول إليه ذلك الصراع[7].

---

1 Ibid, 23.
2 Appien A., *Histoire des guerre civiles de la république romaine*, trad par Combes Dounous , imprimerie des Frères Mama , paris, 1808, I, 59.
3 Plutarque, *Vie de Sylla*, 23.

4 فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 171.

5 Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p 280.
6 Ibid, p 281.
7 شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (دراسات و بحوث)، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص ص 73-74.

3 - **دور نوميديا في الحرب الأهلية الاولى:** كان ظهور الحياة السياسية لنوميديا بشكل خاص كصدى لواقع الصراع المدني المتمركز في روما[1]، وبسبب تبعية ملوك نوميديا للرومان جعلتهم من الصعب أن لا يتدخلوا في الأحداث التي هزت روما بحكم العلاقة الموجودة بينها وبين بلاد المغرب[2].

وبذلك ألِف ملوك نوميديا هذه العلاقة القائمة على التحالف مع أحد الاطراف المتصارعة في روما، و لو على حساب بعضهم البعض، لكونها تجنب المساس بكيانهم السياسي، فضلا عن تحفظ الحزب الارستقراطي في توسيع حدود الولاية الرومانية على حساب نوميديا.

ومن ثمة، فقد انضم هيمصال الثاني وماستينيسا في هذا الصراع الدائر بين ماريوس و سيلا إلى هذا الأخير، في حين وقف هيرباص إلى جانب ماريوس[3]، وتمكن هيرباص من عزل كل من هيمصال وماستينيسا، وتوحيد نوميديا تحت حكمه، بعد أن ضمن الدعم من أنصار ماريوس الذين كثر عددهم في إفريقيا[4].

لكن سيلا الذي كان في المشرق لمحاربة متريدات، لم يرضى أن تترك إفريقيا في قبضة منافسيه، وهي المعروفة بمطمورة روما[5]، ومن جهة أخرى كانت الأوضاع في روما لا تقل تأزما عن نوميديا، فقد شهدت سنة 87 ق،م صراعا بين القنصل لوكيوس كورنيليوس كنا L. Cornelius Cinna[6] الذي ينتمى للحزب الديمقراطي والمتعصب للحزب الشعبي ولماريوس، وبين خصمه جنايوس أوكتافيوس Cnaeus Octavias، بسبب إلغاء كينا لقوانين سولا، حيث نجح أكتافيوس من طرد كينا Cinna، وأعلنه عدو الشعب الروماني[7]،و لكنه بعد مساعدة الايطاليين واستمالة القوات المجتمعة في

---

[1] Nicol cl., *Rome et la conquête du monde méditerranéen (264-27 Av J.C)* 2vol, édi., presse universitaire de France, paris , 1977, p 636.

[2] Mercier E., *Histoire de L'Afrique Septentrional (berbéris) depuis les temps les plus recules jusque la conquête française (1830)*, T2, paris, 1888, p 71.

[3] Salluste, *Conjuration de Catilina*, traduit par F. Richard, édi les belles lettres , paris, 1954, XVIII.

[4] Appien A., I, 57.60.

[5] Lacroix FR., *Afrique Ancienne, procède végétaux*, **Rev. Afr**, T13, 1870, p 9.

[6] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 172.

[7] Appien A., I, 64.

"كابوا"[1] و طلب العون من ماريوس، الذي أبحر على رأس 500 عبيد و 6000 من التسكانيين[2]، و 10 ألاف فارس من الاهالي الذين استطاع أن يحشدهم[3]، حيث نزل بأتروريا Etrurie بميناء تيلمون Telamon، فحاصر ماريوس روما من الشمال و كينا من الجنوب، حتى استسلمت وملأها تقتيلا[4]، ليتولى القنصلية للمرة السابعــة سنة 86 ق،م، ولم يتمتع بها طويلا إذ توفي بعد أيــام مــن توليه القنصلية في 13 يناير 86 ق،م[5].

وأثناء عودة ماريوس إلى روما كما رأينا سابقا، فر ممثلو التيار الارستقراطي ومن أبرزهم متلوس بيوس Caecilius Metellus Puis[6]، لكن سرعان ما طردوا من قبل فابيوس هادريانوس C.Fabius Hadrianus حاكم مقاطعة إفريقيا وحليف ماريوس[7]، لكن الوضع تغير بعد عودة سيلا سنة 83ق،م، وبذلك عاد أنصار ماريوس إلى افريقيا وعلى رأسهم دوميتيوس أهنوبربوس CN. Domitius Ahenabarbus [8] .

لقد كلف سولا القائد بومبي[*] للقضاء على دوميتيوس وهيرباص، والقيام بتهدئة الأوضاع في إفريقيا[9]، فاستولى على صقلية سنة 82 ق،م، ثم نظم حملة على افريقيا سنة 81 ق،م[10]،

---

1 فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 172.

2 Appien A., I, 67, 71.

3 Gsell. S., H.A.A.N, T.,VII, p 286.

4 Ibid , p 287.

5 فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 174.

6 Appien. A., I, 68.

7 بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 54.

8 Plutarque, pompe, 10.

* كينيوس ماقنوس بومبيوس: قائد و سياسي روماني، عاش مابين 106-48 ق،م، برز أثناء الصراع الدائر ما بين ماريوس و سيلا، و تراجع لصالح سيلا بعد عودة هذا الاخير الى روما، قام بحملة على صقلية و على افريقيا ضد ماريوس 82 ق،م، ثم عين قنصلا سنة 70 ق،م، بعد الحكم الثلاثي قيصر و كراسوس، يدخل في صراع مع قيصر، وكان النصر حليف هذا الاخير بعد مقتل بومبيوس سنة 48 ق،م في معركة فارسالوس. أنظـــر: Plutarque, Vie de pompée , IX . XX.

9 Lacroix, *Numidie et Mauritanie*, p47.

10 Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, p 279.

متكونة من ستة فرق و 120 سفينة حربية و 800 سفينة نقل[1] ، وقد انظم إلى بومبي 7 آلاف مقاتل من انصار ماريوس، و رصى بميناء صغير Curabis غير بعيد عن قرطاجة[2].

تقدم بعد ذلك بومبي إلى أوتيكا أين كان هيرباص ودوميتيوس في انتظاره على رأس 20 ألف محارب، معظمها قوات هيرباص، إن لم تكن كلها[3]، إلا أن تردد الأخيران في مهاجمة بومبي نظرا لرداءة الاحوال الجوية، استغل بومبي ذلك، وهاجم معسكرهما، ونتيجة للفوضى التي عمت في جيش هيرباص ودوميتيوس، كانت مجزرة كبيرة، فقد خلالها هيرباص ودوميتيوس ما يزيد عن 17 ألف مقاتل، فاستطاع رغم ذلك هيرباص من النجاة، وانتقل إلى الاراضي الموريطانية أين اصطدم ببوغود حليف بومبي، حيث فقد فيه هيرباص معظم قواته، وعاد إلى بولا ريجيا للتحصن بها، لكن المدينة استسلمت لبوغود الذي اغتال هيرباص أواخر سنة 81ق،م. و بذلك استطاع بومبي إخضاع المنطقة لنفوذ سيلا خلال 40 يوم[4]، وباقي المدن بالقوة والبعض الأخرى رغبة، وبذلك أمر سولا بومبي أن يسرح جميع فرقه، عدا فرقة واحدة، وأن يبقى في إفريقيا حتى يصل الحاكم الجديد، فغضب بومبي من ذلك، وتراجع سولا عن قراره، فمنحه حق الاحتفال بانتصاره على نوميديا، ولقب بالأكبر Magnus[5]

وبهذا النصر الذي حققه أتباع سيلا، عاد الحكم لهيمصال الثاني وماستنيسا، كما ضم الأول مملكة هيرباص مع اجتياح أراضي الجيتول[6] التي استفادت منها بعد وقوفها إلى جانب ماريوس ضد يوغرطة[7]، و كذلك كل الأراضي الساحلية بين لمطة ولبدة، أما امتدادها غربا فيصعب تحديدها، ولا

---

1 حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 72.

2 Gsell S., Op - cit , p 280.
3 Poulle Ch., Op - cit , p 79 .
4 Plutarque, pompe, 12.
5 Plutarque, pompe, 21.
6 Mommsen Th., Op – cit , p 342.
7 Tite live , LXXXVX.

يستبعد حارش أنها تمتد إلى غرب الممتلكات الرومانية[1]، حيث كانت زاما وسيرتا إحدى عواصمها، وربما امتدت إلى صلداي[2]، التي استمرت في عبادة الملك هيمصال الثاني بعد وفاته بمدة طويلة[3].

حكم هيمصال لمدة 20 سنة، حيث يذكر قزال أنه لم يسبب غضب روما التي خولته لقب الملك الحليف، وبقي محتفظا بسياسة متميز و طيبة مع الرومان طيلة مدة حكمه[4]، و يتجلى ذلك في ارساله لقوات نوميدية إلى إيطاليا خلال الحرب الأهلية، التي فجرها الصامنتيون ضد السلطة الرومانية، كما أشير إلى وجود الجنود المساعدين من النوميديين في جيش قيصر، عند بداية حرب بلاد الغال، ولعل صك العملة النوميدية بدأ يتأثر في عهد هذا الامير بالطريقة الرومانية، بالإضافة إلى الإتفاقية التي أمضاها سنة 75ق،م بين هيمصال وبين القنصل أوريليوس كوتا C.Aurellius Cotta التي تخص أراضي الملك العمومي المخولة للملك في ولاية إفريقيا، فحدث أن يوبا أثناء إقامته بروما بين سنتي 64 – 63 ق،م كان آنذاك لا يزال أميرا ملكيا، قد وزع الاموال اللازمة حتى لا تلغي هذه الاتفاقية[5].

لقد أشارت النصوص إلى أن هيمصال ملك ذكي ومتشبع بالثقافة الاغريقية واللاتينية والليبية، وقد اهتم بجمع تراث أجداده[6]، وقال عنه بلين أنه احتفظ بالكتب البونيقية التي منحتها روما بعد تهديم قرطاج إلى الملوك النوميديين[7]، حتى أن ساليست قد أخذ عنه ما ذكر عن أصل سكان شمال إفريقيا[8].

[1] حارش، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 74.

[2] Gsell S. , H.A.A.N, T.,VII, p 292.
[3] Ibid , pp 289-290.
[4] Ibid, p 292.
[5] Ibid, pp 291-293.
[6] Camps, *Hiempsal*, **Encyc. bé**, XXIII, EDISUD, France, 2000, pp 3463-3464.
[7] Pline l'Ancien, H.N , XVIII, 22.
[8] Salluste, Jugurtha, XVIII.

هذا واحتفظ بلقب حليف وصديق الشعب الروماني، وبذلك وصلت نوميديا إلى درجة كبيرة من الازدهار والنمو الاقتصادي، من خلال ضربه للعملة الذهبية والفضية والبرونزية وارتبطت بعلاقات مختلفة مع أثينا وماساليا، إسبانيا والجمهورية الرومانية[1].

أما مملكة ماستنيسا فلم تشر المصادر إلى ما كانت عليه هذه المملكة، ولا أوضاعها ولا إنجازاتها، باستثناء ما ذكر في قضية القضاء على هيرباص وإعادة الجزء الغربي المجاور لموريطانيا له – ماستنيسا-، ودليل ذلك ما ذكره شيشيرون عن وجود هذه المملكة سنة 62 ق،م، و كما سبق وأشرت سابقا فقد عثر على عملة نقدية تحمل اسم Mstnsn، كما أشير أيضا غلى ماستنيسا كحليف ليوبا ضد قيصر[2].

وبذلك فشل الملوك النوميديين في توحيد نوميديا، خاصة محاولة هيرباص الجريئة، فلم يغتنموا فرصة الفوضى والصراعات الداخلية السائدة في روما لتعزيز قواهم والتخلص من التبعية، لكن الذي حدث هو العكس، وترجع فرحاتي ذلك إلى مساندة قبائل المـــور والجدالة للجيش الروماني، وهذا طمعـــا في التوسع، وكذلك وقوف بعض الملوك المحليين إلى جانب الاطراف الرومانية، وبذلك اتسمت العلاقات مع روما بالضعف والهيمنة السياسية، وهي عبارة عن مقدمة الاستعمار المطلق والإدارة المباشرة، وأفضى هذا السلوك السياسي بنوميديا الى التأثر بمجريات الاحداث السياسية وتقلبات الوضع في روما نفسها، حيث أصبحت نوميديا في نظر الاتجاه الديمقراطي (حزب العامة) جزءا مكملا لولاية روما الافريقية لم يحن بعد وقت افتكاك زمام أمره من الاسرة النوميدية التي تشرف على تسييره، بينما كان يرى المحافظون (حزب الارستقراطيين) ضرورة الاكتفاء بإبقاء المملكة في وضعية الحليف الوفي و تجنب سياسة الاحتلال و اجراءات ضم الاراضي التي تجلب لروما متاعب هي في غنى عنها لو أحسنت استغلال وضعية حلفائها المخلصين.

---

[1] Mazard jean. *Corpus de Monnaie de la Numidie et de Maurétanie*, édit Art Et Matier graphique, paris, 1955, pp 46-47.
[2] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII , pp 291.194.

الفصل الثالث: موقف يوبا الأول من الحرب الأهلية الثانية و انعكاساتها على نوميديا.

المبحث الأول: مقاومة يوبا الأول في اطار الحرب الأهلية الثانية .

1 -أسباب الحرب الأهلية الثانية.

2 -دور يوبا الأول في الحرب الأهلية الثانية.

3 -حملة كوريو 49 ق،م على إفريقيا.

4 -حملة قيصر على إفريقيا.

المبحث الثاني: انعكاسات مقاومة يوبا الأول على نوميديا.

1 -إنعكاسات الحرب على نوميديا.

2 -إنعكاسات الحرب على روما.

المبحث الثالث: مقاومة أرابيون للوجود الروماني.

1 -الصراع بين حاكمي الإفريقيتين.

2 -عودة أرابيون من إسبانيا ودوره في استرجاع نوميديا.

3 -أرابيون يتحالف مع سكستيوس.

4 -أرابيون يتحالف مع سكستيوس قائد أنطونيوس.

الفصل الثالث: **موقف يوبا الأول من الحرب الأهلية الثانية و انعكاساتها على نوميديا**.

كانت بلاد المغرب القديم من أبرز المناطق التي تعرضت لنماذج متنوعة لسياسة الرومان الممهدة للاحتلال، فالتحالف كان يمثل أولى خطوات الرومان في فرض سيطرتهم على البلدان، هذا ما أدى بنجاح مجلس الشيوخ في استغلال الملوك المغاربة منذ عهد مبكر، فكانت التحالفات أقوى سند للدبلوماسية الرومانية في القضاء على القرطاجيين، كما يعتبر هذا التحالف من أقوى العوامل التي سهلت على الرومان تهيئة الجو المغاربي سياسياً وإقتصاديا وإجتماعيا لتوسيع نفوذهم في البلاد المغاربية بأقل التكاليف الممكنة.

ونتيجة لهذا الأسلوب المتخذ من قبل الرومان في ربط العلاقات مع بلاد المغرب، كانت هذه الأخيرة معرضة لآثار التقلبات في السياسية الرومانية تعرضاً مباشرا، حتى أنه كانت تقحم في الصراعات الرومانية وتتحمل النتائج السلبية الناتجة عن هذه الصراعات، لكن من جهة أخرى كان رد فعل النوميديون عن هذه السياسة متباينا، ويختلف حسب شخصية الملوك، وحسب الظروف التي مرت بها المملكة، فقد قاد النوميديون محاولات تحررية عديدة ضد الهزات السياسية الرومانية، اتخذت أشكال متعددة، فموقف يوبا الأول لا يخرج عن هذا السياق، وقد برز في شكل مناورات سياسية ومساومات عسكرية,

أولا: **مقاومة يوبا الأول في إطار الحرب الأهلية الثانية** .

1 – **أسباب الحرب الأهلية الثانية**: كان انتصار سولا(*) على ماريوس وأتباعه في إفريقيا، دافعا في مطالبته بتعيينه ديكتاتورا في روما، فكان له ذلك[1]، وأول أعماله هي الشروع في تصفية أعدائه ومصادر أملاكهم، وبالمقابل كافأ أصدقائه، وأعلن عن عتق عشرة آلاف عَبْد من عبيد

---

* لوكيوس كونيليوس سولا Lucius Cornélius Sylla: من أسرة تنتمي إلى العشائر الشريفة، رجل ذكي ذائع الصيت، كان يجمع بين حياة العمل و حياة اللهو. تولى منصب الكويستورية Questeur في عهد قنصلية ماريوس الأولى، و كان مساعدا له في الحرب على يوغرطة، ويعود له الفضل في الايقاع بها الأمير، تم تعيينه قائدا Legatus في قنصلية ماريوس الثانية، لكن لم يستمرا طويلا، بعدم مال سولا إلى كاتولوس Catulus زميل ماريوس في القنصلية، ثم عين بروبرايتور (Plutarque, Vie de Sylla, I,5.7) ، و بعد ذلك عين ديكتاتورا بعدما انتصر على ماريوس و أتباعه، اعتزل الحكم في سنة 80 ق،م، و توفي سنة 78 ق.م. أنظر: إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 221 .

1 عبد الحق سالم عادل، روما و الشرق الروماني، العصر الجمهوري حتى نهاية قيصر، سلسلة محاضرات، دمشق، 1959، ص 405.

خصومه، واتخذ منهم أعوانا له ولدستوره[1]، وأصبحت قوائم خصومه تعلق في الساحة العامة، وتستباح دمائهم وأموالهم وممتلكاتهم، وخصص منح لمن يوشي بأعدائه[2]، وتجسد قمة حقده – سولا– أن أمر برمي رماد جثة ماريوس في النهر، وإزالة الأنصاب التي أقيمت له تذكارا لانتصاراته[3].

وفي سنة 80 ق،م اعتزل سولا الحكم من تلقاء نفسه، بعد أن أعاد النفوذ والسلطة لمجلس الشيوخ، وقضى بقية حياته في قصره الريفي بكمبانيا، بين الصيد وقراءة الأدب و كتابة مذكراته[4]، وفي عام 78ق،م توفي وشيع جثمانه في موكب جنائزي رسمي[5]، حيث أوصى بكتابة عبارة على قبره مفادها " لقد كافأت أصدقائي وعاقبت أعدائي "[6].

لكن العامة والفرسان لم يرضوا بإصلاحات سولا، فلم تكد تمر 10 سنوات حتى ثاروا على هذا الدستور الذي خَوَّل كل السلطات لمجلس الشيوخ، أما هذا الأخير فرأى في بومبيوس القائد المفضل والخليفة الأمثل لسولا[7]، وبذلك ظهر الصراع بين العامة ومجلس الشيوخ، وأصبحوا لا يلتقون في حوار سياسي، غير القوة العسكرية لحل الخلافات السياسية[8]، وهذا ما أدي إلى ظهور قادة عسكريين على مسرح الأحداث السياسية، وهما غنايوس بومبيوس Pompée و يوليوس قيصر Jules César.

كان بومبيوس يميل إلى مجلس الشيوخ، أما يوليوس قيصر فكان يناصر الشعبيين، فكلف الأول بإخضاع القراصنة في البحر المتوسط، والقضاء على ميتريدات لمدة ثلاث سنوات، ثم كلف بحملة إلى المشرق نفذها بأحسن حال[9]، ثم قام بتسريح جيشه، ورغم ذلك رفض مجلس الشيوخ

---

1 Plutarque, Vie de Sylla, 63.
2 Appien A., I, 59.
3 Plutarque, Vie de Sylla, 65.

4 أورسيوس باولوس، تاريخ العالم، الكتاب الخامس، الترجمة العربية القديمة، تحقيق و تقديم عبد الرحمان البدوي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1982، ص 267.

5 إبراهيم أيوب، التاريخ الروماني ، ص 221.

6 نفسه، 222.

7 Plutarque, Vie de Sylla, 73.

8 عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني...، ص 147.

9 إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص ص 222-224.

منحه موكب النصر، ورفضوا الإعتراف بانجازاته في الشرق، كما رفض توزيع الأراضي على جنوده المسرحين[1].

أما قيصر فقد عاد إلى روما بعد وفاة سولا، فبرز بشكل لافت في السياسة، حيث انتهز فرصة تشييع جنازة عمته "جوليا" ليكسب لنفسه شعبية كبيرة تفيده في بناء مستقبله السياسي، فعرض صور ماريوس لاستمالة العامة، وتحدى بذلك مجلس الشيوخ، فتم تعيينه كاهنا، ثم برايتور سنة 62 ق،م، ليتولى سنة 61 ق،م حكم إسبانيا البعيدة، ثم قنصلا سنة 59 ق،م رغم معارضة النبلاء وبعض الفرسان[2]، غير أن سير الأحداث في روما أدت إلى حدوث تقارب بين قيصر وبومبيوس في صيف 60 ق،م، الأمر الذي سهل لقيصر الفوز بالقنصلية وبدعم من كراسوس، وتمكن قيصر من مصالحة بومبيوس و كراسوس[3]، وأبرما اتفاقا لدعم قيصر في تحقيق أهدافه، فشكلوا "الحلف الثلاثي"[4]، وسيطروا على الشعب ومجلس الشيوخ[5].

في قنصليته الأولى أصدر قيصر تشريعات -كان قد اتفق عليها مع بومبي و كراسوس- منها توزيع الأراضي على الجنود المسرحين والمواطنين الفقراء في روما[6]، وأراضي أخرى في كمبانيا[7]، فرغم رفض السينا إلا أن القانون طبق بعد عرضه على الشعب، فأصبح ساري المفعول[8]، ثم أسندت له- قيصر- ولاية غالة القريبة لمدة خمس سنوات، وضعت تحت امرته ثلاث فرق عسكرية[9]، وبذلك سمحت الفرصة لبومبيوس بالاقتراب من الأرستقراطية والتصالح معها، وإعادة شيشيرون بعد نفيه من

---

1 إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 225.

2 زغبيب حسيبة، الحروب الاهلية في روما و أثرها على بلاد المغرب (88-31 ق،م)، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر-2-، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، 2011-2012، ص 72.

3 إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص ص 226-227.

4 فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 175.

5 Moinier col., "*Une expédition en Afrique*" , **Rev. Afr**, T.44, 1900, p7.

6 إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص ص 227-228.

7 هشام الصفدي، تاريخ الرومان ، ص 281.

8 Appien A., II, 10.

9 إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 228.

قبل كلوديوس لمدة 16 شهرا[1]، لكن انتصارات قيصر في ولاية غالة، كان لها صدى في روما ومكنته من توسيع نفوذ حزبه[2].

قام بعد ذلك أعضاء الحلف الثلاثي بعقد مؤتمر" لوكا" الذي أقر انتخاب بومبيوس و كراسوس لقنصلية سنة 55 ق،م، على أن يتولى بعدها الأول حكم إسبانيا وإفريقيا، أما الثاني فيتولى حكم سوريا لمدة خمس سنوات لكليهما، وتمدد فترة حكم قيصر في غالة لنفس المدة[3].

لكن تحولات خطيرة حدثت بعد ذلك في روما، كلها تنذر بوقوع صدام بين بومبيوس وقيصر، وتمثلت هذه التطورات في انهزام كراسوس في معركة "كرهاي" التي أودت بحياته[4]، في حملة ضد البارثيين في الشرق[5] على يد الملك أورود (Orodes) عندما عَبَرَ نهر الفرات، هذا الأخير كان يتوق إلى السلطة مع حبه للمال[6]، هذه الحملة العسكرية أراد بها الشهرة، حتى يوازي بها شهرة قيصر وبومبي، كل هذه الأحداث مزقت الائتلاف الثلاثي[7]، و كذلك تصاعد نجم بومبيوس جراء عمليات التموين التي قام بها لروما من إسبانيا و إفريقيا وتعيينه قنصلا وحيدا[8]، ولهذا حرص قيصر على الفوز بالقنصلية للمرة الثانية، حث نقباء سنة 52 ق.م، باستصدار قانون المعروف باسم النقباء العشرة (Lex Decem Tribunarum) الذي يجيز له الترشح وهو متغيب عن روما، كانت مدة حكمه في غالة تنتهي في 01 مارس سنة 49 ق.م[9]. لأن كان عليه بعد هذا التاريخ التنحي عن سلطته البروقنصلية، ويعود إلى روما كمواطن عادي مجرد من الحصانة، ومن ثم يمكنه الترشح للقنصلية.

---

[1] Appien. A., II, 16.

[2] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 176.

[3] Appien. A., II, 16.17.
[4] Moinier col., *Une expédition en Afrique*, p7.
[5] Duruy. V., *Histoire romaine jusqu'à l'invasion des barbares*, Edit. 3, Hachete, 1855, XXII**.**
[6] Velleius Paterculus Caius, *Histoire romaine*. Trad, M. Després, C.L.F. Panckoucke Editeur, Paris, 1825. L. II, XLVII.

[7] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص. 214.

[8] Appien A., II, 19.21.25.
[9] Duruy V., op- cit, XXII.

لكن مجلس الشيوخ رفض تمديد عهدة قيصر في غالة، بل عرضت فكرة إنهاء قنصليته بدعوى نهاية الحرب[1]، ثم طرح كوريو فكرة مفادها بأن يتخلى كل من بومبيوس وقيصر على بروقنصليتهما، وتسريح جيشيهما، ولقيت هذه الفكرة قبولا من طرف مجلس الشيوخ تجنبا لحرب أهلية[2]، ومعنى هذا العزل، البقاء خارج البلاد أو المحاكمة وخاصة كاتون الذي كان يرجو محاكمة قيصر ونفيه[3]، أما عن قيصر فقد عمل على إزالة أسباب النزاع بينه وبين خصومه[4]، حيث وجه رسالة إلى مجلس الشيوخ -قرأها كوريون- يعلن فيها استعداده لتسريح جيشه عدا فيلقين إذ سمح له بأن يظل والياً على غالة حتى عام 48 ق.م مع أليريا، حتى يتسنى له الحصول على القنصلية، لكن المجلس رفض الاقتراح وطلب من قيصر أن يسرح جنوده[5]، على إثرها قدم قيصر مقترحاً على مجلس الشيوخ بواسطة انطوان (Antoine)، أن يعتزل هو و بومبي من منصبيهما[6]، وافق المجلس على هذا العرض بأغلبية ساحقة 370 صوت مقابل 22 صوت[7]، لكن أتباع بومبي منهم مارسيلوس وخاصة سكيبيو رفضا علناً[8].

كان قيصر يعرف أن مجلس الشيوخ على حق قانونياً، فقام -قيصر- بإعطاء كل جندي من الجنود المتاخمين في غالة حوالي 250 درخمة (le Dirham/Drachmes)[9]، وقام مخاطباً جنوده، بدأ كلامه بـ:"أصدقائي الجنود " إذا كنت تأخرت في عبور هذا المجرى المائي، بالنسبة لي النتيجة هي

---

[1] Dion Cassius, XI, 59.
[2] Appien A., II, 32.
[3] Eutrope, *Abrégé de l'Histoire Romaine*, Trad. N. A. Dubois, Librairie Garnier Frères, Paris, 1863, L.V, XVI.
[4] الحسيني معدي، يوليوس قيصر رجل كل العصور، مراجعة، طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2010. ص ص 137-136.
[5] Velléius Paterculus C., *Histoire romaine*. L. II , XLIX.
[6] Plutarque, XXX, 110**.**
[7] عبد اللطيف احمد علي، المرجع السابق، ص. 234.
[8] Jules César., *Mémoires de Jules César* , T. II, Trad. M Artaud, Paris, C.L.F. L., VII, I.
[9] Plutarque, XXIX, 108.

العديد من المصائب إذا عبرت على الفور، والعالم سوف يعاني من عواقبه"[1]، كما ذكر لهم ما عرضه على مجلس الشيوخ وما كان من موقف المجلس ضده، كما بيّنَ لهم فساد الأرستقراطية في روما[2].

فرد قيصر سريعا على مجلس الشيوخ بأن أمر قواته بالزحف عَبْر نهر البو إلى إيطاليا، للثأر من مجلس الشيوخ[3]، الذي أمره بالعودة إلى روما وتسريح قواته وإلا اعتبر عدو الشعب الروماني[4]، لكن قيصر اجتاز نهر الروبيكون(*) على رأس فرقة عسكرية، وترك خمسة خلفه في غالة، ولكن بعد دخوله تراب إيطاليا انظم إليه الفيلق الثامن والثاني عشر، ثم قام بإنشاء فيالق جديدة من أسرى الحرب والمتطوعين.

في هذه الظروف كانت مدن إيطاليا تفتح أبوابها مرحبة بقيصر وجنوده، كتب شيشرون(**) في ذلك يقول "إن المدن تحييه كأنه إله معبود " ولم يستطع شيشرون أن يوفَق بين قيصر وبومبي[5]، ويقال أن قيصر قال قول مأثور "لقد قضى الأمر"(lacta est alea)[6]، وهذا العمل اعتبر تمردا وتجاوزا للتقاليد الرومانية.

لم تكن القوات الحربية التي كانت تحت قيادة بومبيوس كافية لصد قيصر، فانسحب هو ومعظم أعضاء مجلس الشيوخ وعدد كبير من الأعيان إلى مقدونيا[7]، وكلفوا أتيوس فاروس بوقف

---

[1] Henri Glaesener, *Un mot historique de César*, **L'An Cla**., T. 22, 1953, p. 103.

[2] Nicole Boëls Janssen, *Le passage du Rubicon dans le Bellum Ciuile de César*. **Vita Latina**, N°173, 2005. p. 29.

[3] Mommsen (Th), T.7, Op – cit , p 227.

[4] Ibid, , p 227.

(*) نهر الروبيكون Robicon: نهر صغير يفصل ايطاليا عن بلاد الغال قديما، و كان مجلس الشيوخ قد أعلن منع كل تجاوز للقوات الرومانية لهذا النهر، و اعتبر تجاوز النهر خيانة للوطن، وذلك بهدف كبح جماح القوات الرومانية العاملة ضد الغاليين و عدم التراجع عن حدود هذا النهر في الوقت ذاته، غير أن يوليوس قيصر احتقر هذا الأسلوب في الدفاع، فأمر قواته بعبور نهر الروبيكون. Henri Glaesener, Un mot historique de César, L'antiquité classique, T. 22, 1953. p. 103

(**) ماركوس توليوس شيشرون Marcus Tuttius Ciceron : كاتب و سياسي روماني، يعتبر خطيب روما المميز، ولد سنة 106 ق،م بمدينة أربينيوم Arpinum حوالي 10 كلم جنوب شرق روما، صاحب انتاج فكري ضخم، ويعتبر نموذجا للتعبير اللاتيني الكلاسيكي، لقد أثارت شخصيته الكثير من الجدل خاصة في الجانب السياسي من حياته، فهو تارة مثقف في وسط سيء، وتارة أخرى ثري ايطالي يبحث عن مكانة ضمن أثرياء روما، وتارة اخرى انتهازي متقلب وأداة طيعة في يد الملكية، فهو متملق لبومبي ثم لقيصر، توفي شيشرون حوالي 43 ق،م. Frédouille J.C., *Dictionnaire de la civilisation romaine*, édit.2, Larousse, Paris, 1999.pp.32-33.

[5] معدي ح، المرجع السابق، ص. 139،140.

[6] Plutarque, XXXII, 120.

[7] إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 229.

قيصر، غير أن رؤساء المدينة طلبوا منه أن ينسحب[1]، فسيطر بذلك قيصر على إيطاليا دون مقاومة، وأعلن نفسه ديكتاتورًا، ودفعت له المقاطعات الإيطالية الضرائب التي كانت تدفع للحكومة في روما، وتكوَّن له جيشا قويا[2].

نستنتج مما سبق أنه أصبح على رأس الجمهورية الرومانية قيادتين متصارعتين، مجلس الشيوخ في روما ويضم قيصر وأنصاره مثل كوريو Curio، وماركوس أنطونيوس Marcus Antonuis وكاسيوس Casius، أما المجلس الثاني في مقدونيا فيضم أنصار بومبي وشيشيرون Ciceron وكاتو[*] Cato و سكيبيوScipio.

2 - دور يوبا الأول في الحرب الأهلية الثانية.

بعد وفاة هيمصال الثاني انتقل المُلك إلى يوبا الأول عام 60 ق،م، فتولى حكم نوميديا الشرقية، وخلف ماسينتا في نوميديا الغربية ملك يدعى ماسانسس Masanasses [3]، فإن كانت المصادر لا تذكر شيئا عن هذا الأخير غير تحالفه مع هيمصال الثاني، فإن يوبا الأول قد ظهر على مسرح الأحداث السياسية منذ حياة والده هيمصال الثاني[4]، عندما كلفه عام 62 ق،م بالاحتجاج أما مجلس الشيوخ الروماني ضد ماسينتا Masintha أحد المتمردين[5]، فلقي استجابة من مجلس الشيوخ، لكن قيصر وقف ضد قرارات أعضاء السيناتو، بل أكثر من ذلك سب يوبا و كل جنسه من النوميديين[6]، وبذلك أفشل قيصر مهمة يوبا، والتي كانت سببا في سلوك يوبا ضده في ما بعد.

يذكر قزال أن يوبا كان يميل إلى الظهور بالمظهر الفاخر في شخصيته، محاولا الحفاظ على عادات وتقاليد وطنه، و كثيرا ما ينبذ تقاليد الإغريق والرومان، و ميالا للعمل العسكري خلافا لوالده

---

[1] Gsell S., *H.A.A.N*, T.,VIII, p 4.
[2] Ibid, p7.
[*] ماركوس بوركيوس كاتو Marcus Porcius Cato (95-46 ق،م): يلقب بالصغير و الأوتيكي، تقلـد منصب تريبـون العامة، ثم عضوية مجلس الشيوخ، وكان من أشد أنصار الطبقة الأرستقراطية، عارض بومبيوس و قيصر، ولكنه التحق بالبومبيين بعد هزيمة فارسال، و ظل في أوتيكا و لم ينزل إلى ميدان المعركة، مات منتحرا، أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص 278.
[3] Gsell S., H.A.A.N, T.,VII, pp 291-292.
[4] Mazard jean, *Corpus de Monnaie de la Numidie et de Maurétanie*..., p 49.
[5] Decret F., Fantar M., op - cit, p 152.
[6] Gsell S., Op - cit , p 294.

هيمصال الثاني[1]، فمنذ توليه العرش حاول فرض سيطرته على المملكة، من خلال القيام بالعديد من الحملات العسكرية ضد القبائل التي ترفض سلطته وأخضعها بالقوة[2]، كما كان في صراع مع جيرانه الغربيين "موريطانيا"، فضلا عن توسعه على حساب إقليم لبدة المدينة الحليفة لروما[3]، فتدخلت الأخيرة للضغط عليه لاسترجاع ما احتله، وصل بهم الأمر إلى اقتراح كوريو Curio سحب مملكة نوميديا منه وتحويلها إلى مقاطعة رومانية[4]، وبذلك يذكر حارش أن سياسته هذه لم تسمح له ولو بعد مدة طويلة من الحكم من أن يحصل على لقب "صديق وحليف الشعب الروماني" من قبل مجلس الشيوخ[5].

وفي إطار الحرب الأهلية بين بومبي وقيصر كما رأينا سابقا، يبدوا أن يوبا مدعو ليلعب دورا في هذا الصراع في روما، والذي سيتنقل إلى إفريقيا لا محال، ولكن ما سبب انضمام يوبا لهذه الحرب ؟، ما هي دوافعه ؟، لماذا اختار أنصار بومبي ؟، وما هي نتيجة هذا الصراع ؟.

في هذه الأزمة التي وصلت إليها الجمهورية الرومانية من انقسام سلطتها إلى قيادتين، إحداها في روما والأخرى في مقدونيا، انضم الملكان الموريطانيان بوخوس الثاني وبوغود إلى قيصر[6]، في حين وقف يوبا الأول ملك نوميديا الشرقية وأرابيون ملك نوميديا الغربية إلى بومبي[7]، و كان اختيار يوبا للحزب الأرستقراطي لأسباب ذات أبعاد وطنية، منها أنه كان على علم بخفايا سياسة قيصر التوسعية[8]، خاصة وأن فاروس[*] وعده بأن تتنازل روما لـه عن الأراضي التي تحتلها في إفريقيا، إذا

---

[1] Gsell S., Op - cit, pp 292-293.

[2] قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة....، ص 108.

[3] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 74.

[4] Dion Cassius, XLI, 41.3.

[5] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 75.

[6] Decret F., Fantar M.), op - cit, p 152.

[7] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 55.

[8] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 61.

[*] **أتيوس فاروس** Attuis Varus : أحد القادة العسكريين الرومان، تحالف مع بومبي ضد قيصر أثناء الحرب الأهلية الثانية، فر إلى المقاطعة الرومانية بإفريقيا، و استطاع الاطاحة بحاكمها توبيرون Tubéror المقيم في أوتيكا، والذي كان مواليا لقيصر، باستيلائه على أوتيكا جعل إفريقيا مستقلة عن سلطة مجلس الشيوخ الروماني، فانظم إليه يوبا الأول، كحليف إلى جانب بومبيوس ضد قيصر. أنظر: Lacroix (M.L), Op-cit, pp 47-48.

ما وقف إلى جانب مجلس الشيوخ المناهض لقيصر[1].

أما شنيتي يشير إلى أن يوبا اعتبرها فرصة لتخليص إفريقيا من السيطرة الأجنبية، وتحقيق حلم مسينيسا في إقامة مملكة نوميدية واسعة تشمل كل الأراضي التي يقطنها نوميديون[2]، بالإضافة إلى ملاحظته لتحفظ التيار الارستقراطي في توسيع حدود ولاية افريقيا، على حساب مملكة نوميديا عكس التيار الموالي لقيصر[3]، ذلك أن كوريو طرح فكرة تجريد يوبا من مملكته، وتحويلها إلى مقاطعة رومانية[4]، وهذا راجع إلى الخلافات بين السلطة الحاكمة في نوميديا وأنصار قيصر[5]، حيث لا يستبعد حارش قضية ماسنتا الذي دافع عنه قيصر وراء هذه العداوة من جهة[6] ورفض اعتباره صديقا للشعب الروماني[7]، وكذلك كان لتصرفات يوبا الأول قد أثارت مخاوف كوريو ومن وراءه مجلس الشيوخ[8].

و قد نجد ما يدعم ذلك عند شنيتي، من خلال ما وصفه بلفتة إعلامية محضة[9] عندما أقدم سنة 49 ق،م على ضرب نقود تحمل صورة الملك يوبا والآلهة الافريقية[10]، فهي ذات أبعاد سياسية تستهدف دفع النوميديين لأن يلقوا بثقلهم في ميدان الصراع الحزبي الروماني إلى جانب الارستقراطية[11]، أما فنطر فيذهب إلى أبعد من ذلك، بحيث يرجع هذا التحالف إلى الفضل الكبير لبومبي الذي أعاد والده هيمصال الثاني إلى العرش بعد القضاء على هيرباص[12].

---

[1] Piganiol , *Conquet Romaine*, p552.

[2] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 62.

[3] نفسه.

[4] نصحي ابراهيم، المرجع السابق، ص 629.

[5] Mommsen Th., Op – cit , T.7, p 238.

[6] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 75.

[7] Gsell S., Op - cit , p 295.

[8] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 75.

[9] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 62.

[10] Toussel Marcel, *le Trésor Monétaire de Tiddis*, R.S.C.T, T., 66, 1948, p 129.

[11] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 62.

[12] Decret F., Fantar M., op - cit, p 152.

فرغم غياب الأسانيد التاريخية الكافية لتفسير الدوافع الحقيقية التي جعلت الملك يوبا يختار ذلك الموقف، إلا أنه كان مدعوا ليلعب دورا في هذا الصراع، فيكون بذلك اختار أهون الشرّين حسب شنيتي، فدور يوبا ندرجه ضمن النشاط الوطني التحرري[1].

رأينا مما سبق أن دخول قيصر إلى روما في جانفي 49 ق،م تشتت أعدائه، فمنهم من توجه إلى شبه جزيرة البلقان، وعلى رأسهم بومبي، ومنهم من توجه إلى إسبانيا، بينما توجهت مجموعة ثالثة إلى إفريقيا، حيث تولى سكيبيو[*] شؤون قيادة الجيش، وتولى فاروس قيادة الأسطول البحري، أما كاتو فقد أسندت إليه مهمة تنظيم المدينة، كما انظم اليهم أحد قادة قيصر وهو لابينوس (T.Labienus) الذي أحضر معه إلى أوتيكا حوالي 1600 فارس[2] من الجرمان والغاليين الذين نجوا من معركة فرسالوس، كان هذا الأخير في جيش قيصر ولكنه غادره وانظم إلى بومبي سنة 49 ق.م، فكان تواجد هؤلاء في مقاطعة إفريقية بشكل مصدر قلق على يوليوس قيصر[3]، حيث بإمكانهم نشر المجاعة في روما، بإيقافهم إرسال القمح الإفريقي الضروري لتغذية سكان روما، وخاصة العاطلين منهم[4]، فحسب قزال فإن ذلك سوف يتسبب في انتشار الفوضى في العاصمة روما والثورة ضده، لذلك قرر التعجيل بإفتكاكها منهم[5].

بدأ الطرفان في الاستعداد للحرب، فقد جمع أنصار بومبي جيش يقدر بـ 60 إلى 70 ألف، ووزعوه على مناطق محصنة في إفريقيا، منها حضرموت، ثابسوس و كليبيا، وأوتيكا[6]، ومن جهته هيأ

---

[1] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 63.

(*) كايكلوس متلوس بيوس سكيبيو Caecilius Metellus Puis Scipio: حفيد سكيبيو نزيكا، جاء إلى إفريقيا مناصر للبومبيين، من عائلة بطريقية في روما ارتبط بعلاقة مصاهرة و صداقة متينة مع بومبي، فهو والد زوجته و زميله في القنصلية خلال النصف الثاني من سنة 52 ق،م، شارك في معركة فارسال 48 ق،م، و بعد الهزيمة انتقل على رأس البومبيين إلى إفريقيا، استنجد بيوبا الأول، ووعده بتسليمه في مقابل ذلك في حال النصر مقاطعة إفريقيا، لم يكن يتمتع بالكفاءة العسكرية بقدر ما كان معتمدا على مكانة الأسرة السيبيونية، و نسبها ضمن الطبقة الارستقراطية الرومانية، و بعد ثابسوس فر منهزما على أمل الانتقال إلى إسبانيا، و لما فاجأه سيتيوس وقراصنته في ميناء هيبون انتحر غرقا.(César ,XCVI.)

[2] Mommsen Th., *Histoire romaine*, T. VIII, p 23.

[3] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 177.

[4] Mommsen Th., Op – cit, T.V., p307.

[5] Gsell S., H.A.A.N, T., VIII, , p 5.

[6] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 177.

يوبا الموانئ والمحطات البحرية للدفاع، كما اعتبرها فرصة سانحة للانتقام من قيصر[1]، هذا الأخير قاد حملة ضد اسبانيا، بينما كلف كوريو بمحاربة أتيوس فاروس وحلفائه النوميد.

من خلال تتبعنا لمسيرة يوبا الأول يبدوا أنه كانت له وجهات نظر سياسية ذات أبعاد وطنية، من الملاحظ أنه كان على علم بسياسة الرومان التوسعية، خاصة خفايا قيصر المستقبلية التي كان يتوقعها يوبا الأول، المتمثلة في ضم الممالك المغاربية المتبقية في حال انتصار قيصر على بومبي، فما كان على يوبا الأول سوى اختيار الجانب الأقل ضرراً للحفاظ على مملكته من خطر التوسع.

3 -حملة كوريو على إفريقيا 49 ق،م.

بعث قيصر كوريو[*] نقيب العامة في سنة 50 ق.م بأربعة فرق إلى صقلية ليستولي عليها، فلما وصلها انسحب منها كاتون إلى إفريقيا[2]، ثم انطلق كوريو مع مساعده ربيلوس إلى إفريقيا سنة 49 ق،م على رأس فرقتين عسكريتين[3]، والمقدرة بـ 10 آلاف جندي من المشاة و 500 فارس[4]، وكانت سفن نقل الجنود في حراسة إثنى عشرة سفينة حربية، واستغرق العبور يومين وثلاثة ليالي تقريبا، حيث نزل بمنطقة أنكيلاريا، في حين اتخذ أنصار بومبي من أوتيكا مقرا لهم[5].

لقد حقق كوريو انتصارات أولية، حيث عند عودته للمعسكر حياه الجيش بلقب امبراطور، ولا شك أن هذا الانتصار السهل- يقول قزال- الذي ناله بفضل فرسانه 500 لا يستحق كل هذا التشريف[6]، لكن هذا ما دفعه إلى حصار أوتيكا التي تحصن بها فاروس[7]، بعد أن شجع كوريو

---

[1] Appien A., II, 7.44.

[*] **كوريو** C. Scribonius Curion: كان ابنا لأحد القناصل، و ذا موهبة من كبيرة في الحياة السياسية التي هيأت مولده لها، و كان ذا مظهر جذاب و ذكاء حاد، و بلاغة سلسة براقة، قال عنه شيشيرون أنها تنقصها الخدمة، و لكنه كان يعرف كيف يجتذب الجماهير، كما له جرأة تسترها رقة في العمل خالية من العنف، وهو أحد أوفياء قيصر، كان لإلى جانبه في حرب غالة و إسبانيا، عرف على غرار كل الرومان بحقده الكبير غلى نوميديا، فقد اقترح على مجلس الشيوخ إلحاق نوميديا أراضي روما، قبل الصراع بين قيصر و بومبي، و يبدوا أن ذلك ما جعل قيصر يكلفه بقيادة العمليات العسكرية باسمه في إفريقيا.أنظر: Gsell, (S) ,T.,VII, Op-cit, p 295.

[2] Djennas Messaoud, *La Saga des rois Numides*, Edit. Casbah, Alger, 2006, p. 192.

[3] César Jules, Mémoires C., T. II, L. II, XXVIII ; Guischardt Charles, *Mémoires Militaire sur les Grecs et les Romains*, Libraire Jean Marie Bruyset, Lyon, France, 1, I, p. 215.

[4] Mommsen Th., , Op – cit , T. V, p305.

[5] Gsell S., *H.A.A.N*, T., VIII, p 10.

[6] Gsell S., *H.A.A.N*, T., VIII, p11.

[7] Dion Cassius, XLII, 42.

جنوده وحفزهم بأنه سيمنح كل واحد منهم إقطاعا لو انتصروا على فاروس، فرفض بعض الجنود محاربة إخوانهم الرومان، لكن كوريو أقنعهم بأن الحرب موجهة للقضاء على النوميديين، كما حاول بعض الرومان اقناع فاروس بتسليم المدينة لكوريو، خشية أن يقعوا تحت سيطرة يوبا ويفقدوا ممتلكاتهم[1].

لاحظ يوبا الأول الذي قدم إلى مدينة أوتيكا أن فاروس قد تأخر في مواصلة القتال، فما كان عليه إلا التحرك ومبادرة القتال بنفسه، حيث قام بإدخال بعض العناصر من جيشه وسط جيش كوريو بصفتهم فارين من الجيش النوميدي[2]، كل ذلك من أجل الحصول على المعلومات الصحيحة وإعطاء المعلومات الخاطئة عن جيش يوبا الأول، ثم أرسل قوات معتبرة بقيادة سابورا لنجدة فاروس وقدرت بحوالي ألفين فارس من الخيالة المرتزقة الإسبان والغاليين[3]، وعدد كبير من المشاة وقام هو -يوبا- بالتحرك ورائهم بمعظم الجند وحوالي 60 فيل مدرب[4]، حيث استطاع فك الحصار ودفع كوريو إلى التراجع والتحصن خلف معسكر كورنيليا[5]، ليستدرجه يوبا إلى مكان اختاره ليكون ميدانا للمعركة[6]، هناك حاصره على رأس قوات معتبرة من النوميديين والغاليين والاسبان، فأبادهم عن آخرهم[7].

أما ما تبقى من جنده-كوريو- في معسكر كستراكورنيليا بقيادة م، روفوس Rufus، فعندما علموا بمقتل قائدهم اتجهوا إلى الميناء للإبحار، فلم تسعهم السفن لأعدادهم الكثيرة، وغنائمهم الوفيرة، فكانت هذه الأخيرة سببا في وقوعهم في يد قراصنة البحر، أما الذين استسلموا فقد أبادهم يوبا[8]، عدا المرتزقة الغاليين الذين ضمهم إلى جيشه[9]، وبذلك فكان يتصرف بكل حرية، حيث

---

[1] Gaid M., *Aguellids et Romains en Berberie*…, p 80.

[2] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص. 179.

[3] Guischardt C., op - cit, p 218.

[4] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص. 179.

[5] عبد اللطيف احمد علي، المرجع السابق، ص. 288 .

[6] Appien A., II, 45.

[7] Dion Cassius, XLIII, 30.

[8] Appien A., II, 46.11.

[9] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 179.

يذكر قزال أن فاروس ثار على هذا التصرف، لأنه تعدى على القوانين الرومانية التي تنص على أن الأسرى يصبحون ملك للرومان، ولكن لا أحد يستطيع الوقوف في وجه أوامر الملك النوميدي[1].

هذا الانتصار رفع من مكانة يوبا الأول، فقد كسب تأييد مجلس الشيوخ في مقدونيا، ومنحه لقب صديق الشعب الروماني[2]، وحسب قزال فإن انصاره –يوبا– على الفيالق الرومانية جعله يستحق هذا التشريف[3]، وبذلك أصبح يوبا يعتبر نفسه الحاكم الحقيقي ليس لمملكة نوميديا فقط وإنما على مقاطعة إفريقية كذلك[*]، وكان يرى في القائد الروماني مجرد مساعد له[4]، وفي نفس الوقت اعتبر مجلس الشيوخ الموالي لقيصر في روما أن يوبا عدو الشعب الروماني، ويجب معاقبته[5].

وبذلك استطاع يوبا بفضل سياسته أن يكسب الكثير من الأنصار إلى صفه في إفريقيا، ويجند أعداد كبيرة، منها 30 ألف من المشاة وقوات معتبرة من الفرسان و60 فيلا[6]، بالإضافة إلى قوات أنصار بومبي البالغة عددها 35 ألف جندي، منها 15 ألف فارس، وأسطول بحري من 50 إلى 60 سفينة[7].

ومن جهة أخرى قام قيصر في 29 نوفمبر 49 ق.م بعبور البحر الأيوني إلى شمال اليونان ومنها مباشرة إلى مدينة برانديزي[8] عن طريق بحر الأدرياتيكي على رأس 15 ألف ليفاجئ بومبي وأنصاره، فتمكن من إلحاق هزيمة ساحقة على بومبي في معركة فارسالوس في 9 أوت 48 ق،م[9]،

---

[1] Gsell S., H.A.A.N, T., VIII, p 24.
[2] Dion Cassius, XLI, 42.6.7.
[3] Gsell S., Op - cit , pp 24-25.

[*] تذكر بعض المصادر أن أقطاب الجمهورية الرومانية لم يكونوا يكنون أدنى احترام و تقدير للملك يوبا الأول، فاعتبروه وسيلة يحققون بها آمالهم في استرجاع السلطة، فهو إنسان غير قادر، متوحش، متكبر (Dion Cassius, XLII, 57.1.)، كما ذهب البعض إلى رفض الاستعانة بمتوحش و خبيث للدفاع عن الجمهورية، و ما أثار ضغينة الرومان هو أن يوبا كان يرى في نفسه ندا لهم، وأنه حليف و ليس تابع، لكنهم لم يجدوا عن مساعدته بديلا (Gsell S., T., VIII, p 35)

[4] Mommsen Th., Op – cit , T., V, p346.
[5] Dion Cassius, XLI, 42.7. ; Decret F., Fantar M., op - cit, p 152. ; Berthier A., La Numidie, Rome et le Maghreb, p 83.
[6] ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 657 .
[7] Lacroit M.F., *L'Afrique ancienne*, p 51.
[8] Béquignon Yves, *Études thessaliennes*. XII. **Bulletin de correspondance hellénique**. V 98, liv. 1, 1974, pp 119-123.
[9] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 56.

رغم الفارق الكبير بين الجيشين، حيث يتألف جيش بومبي من 45 ألف من المشاة و07 آلاف فارس، أما جيش قيصر فيضم 22 ألف من المشاة وألف فارس[1]، حيث لاذ بومبي بالفرار إثر هذه الخسارة المروعة[2].

وبعد هذه المعركة تفرق أتباعه، حيث فر بومبي إلى مصر، ولكن وجد مقتولا في السفينة التي أقلته في 16 أوت 48 ق،م[3]، وانتقل أنصاره إلى إفريقيا التي تحولت إلى معقل للجمهوريين، ومعقد آمالهم في استرجاع زمام السلطة في روما[4]، لكن هذا لم يكن في صالح قيصر المتواجد بمصر، حتى إن مخططاته لم تجري كما أراد، فمثلاً قائده بإسبانيا كوينتوس كاسيوس لنجينوس (Quintus Cassis Longinus) الذي من المفروض أن يبحر باتجاه موريطانيا الغربية بأربع فرق إلى الملك بوغود ثم يتابعون زحفهم إلى نوميديا وإفريقيا ولكن جند هذا القائد تمردت عليه وخاصة بعد وجود ابن بومبي بإسبانيا[5]، فقرر –قيصر– هذه المرة أن يقود الحملة بنفسه على إفريقيا، للانتقام من أنصار بومبي ويوبا، ولنجاح حملته، يجب أن يبحث على حلفاء له في إفريقيا، كما فعل من قبل سكيبيو الإميلي[6]، فكسب إلى حلفه كل من ملكي موريطانيا بوغود وبوخوس الثاني وإعلانهما حليفا و صديقا الشعب الروماني[7]، و جلب المرتزق الايطالي سيتيوس[*].

4 -**حملة قيصر على إفريقيا**: بعد أن نَظَّم قيصر أموره في الشرق، وكسب حلفاء من إفريقيا، جمع جيشا مُكَوَّن من 10 فرق من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان، وتجمع في صقلية، ثم

---

[1] Plutarque, *Vie de César*. Trad, A .Materne, Paris, Librairie Hachette, 1983, XLII, 154. ; D. Cassius, T. 4, L. XLI. (55 – 61). ; Charles Picard (G). *La civilisation de l'Afrique romaine*, **Population**, n°5, 1960. Pp 65- 66 .

[2] Velléius Paterculus C., *Histoire romaine*. L, II, Ch, LIII.

[3] Appien A., II, 44.46.

[4] Gsell S., Op - cit , p 35.

[5] Mommsen TH., op-cit, T. VIII, pp 24-25.

[6] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 166.

[7] Dion Cassius, XLI, 42. 7.

[*] المرتزق سيتيوس بوبليوس Sittius Publius: من إقليم كامبانيا بايطاليا، اشترك في مؤامرة كاتيلينا الفاشلة، أفلس و لم يتمكن من تسديد ديونه الكبيرة (Salluste, Catilina, XVII, 1) فر من المتابعات القضائية إلى اسبانيا، أنشأ عصابة من القراصنة و المرتزقة، وأصبح يعرض خدماته على ملوك المنطقة، قدم خدمة كبيرة لقيصر خلال الحرب الإفريقية، و هي مهاجمة ماسينيسا الثاني و يوبا الأول من الغرب بالتحالف مع بوخوس مما ساهم في انتصار قيصر، أنظر.Gsell S., Op - cit , pp 157-159.

انطلق من منطقة ليليبايوم(*) على رأس ستة فرق من المشاة، وسبعة كتائب من الفرسان[1]، ويقدر عدد فرسانه ما بين 2000 إلى 2600 فارس، وقوة صغيرة من الفرسان خفيفي العدة[2].

نزل قيصر في حضرموت في 31 أكتوبر 47 ق،م على رأس 3000 من المشاة و 150 فارس[3]، بعد أن فقد البقية في البحر بسبب العاصفة، عندما وضع قيصر أقدامه في تراب إفريقيا تعثر فحاول تغطية ما حدث أمام جنوده بقوله: "! Teneo te , Africa" إفريقيا لقد أمسكتك"[4]، فهي قوات متواضعة يقول حارش مقارنة بقوات أنصار بومبي المقدرة بـ 60 ألف، و كان من الأجدر عليهم أن يحاصروا قوات قيصر، لكنهم تركوا العنان للجنود كي ينهبوا الولاية الرومانية[5]، وهذا ما كان له أثر سلبي، حيث انفصل سكان المنطقة عنهم.

كان قيصر يهدف إلى السيطرة على مدينة حضرموت، التي وجد فيها حامية بقيادة كايوس كانسيديوس رفقة خيالة حضرموت (Hadrumète/Adrumetum) وحوالي ثلاث آلاف مقاتل نوميدي، لم يتلقى قيصر أي مجابهة من طرف حاكمها كونسيديوس[6]، لكنه فشل في السيطرة عليها، فقام –قيصر- ببعث رسالة إلى قائد حامية حضرموت لاستدراجه إلى جانبه[7]، ولكن كونسيديوس قتل الرسول وبعث بالرسالة إلى سكيبيو [8]، مما فرض عليه التوجه إلى لمطة ثم روسبينا، بعد أن وضع حامية بها –لمطة- وجعلها وسيلة لتلقى للإمدادات[9]، في اثناء انتقاله تلقى وفود كثيرة مرحبة به، كما بعث قيصر إلى المقاطعات الأخرى مثل سردينيا والمقاطعات الأخرى من أجل تموينه بالمواد الضرورية والفرق العسكرية، كما أمر رابيريوس بوستيموس (Rabirius Postumus) إلى صقلية

* ليليبايوم: تقع غرب صقلية، أبحر منها قيصر لضرب قوات بومبيوس عام 48 ق،م، وكانت معظم الحملات على إفريقيا تخرج من هذه المدينة.

1 César, *La guerre d'Afrique*, II, 1.
2 Ibid, II, 2-5.
3 Ibid, VI, 6.
4 Moinier colonel., *Compagne de J. César en Afrique (47-46 a. J-C.)*, **Rev. Afr**, Vol. 45, office des publications universitaires, Alger, p. 312,313.
5 حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 78.
6 César, II, 1-2.
7 César, IV, 2-3.
8 Moinier C., op –cit, p. 315.
9 Gsell S., H.A.A.N, T., VIII, p 87.

لجلب الفرق الأخرى، في نفس الوقت بعث 10 كتائب لجلب السفن التي لم ترسوا بعد مع تأمينها، كما أرسل البرايتور كايوس ساليستيوس على رأس مجموعة من السفن نحو جزيرة قرقنة للاستيلاء عليها نظراً لما كانت تحويه من مخازن معتبرة من القمح والمؤونة، وقد نجح ساليستيوس في مهمته بالاستيلاء على خزائن العدو وتسليمها إلى قيصر[1].

لقد تمكن قيصر من صد حملة لابينيوس التي كان غالبيتها من الجنود النوميديين، لكن وصول سكيبيو ويوبا على رأس قوات معتبرة قدرت بـ ثمانية فرق وثلاثة آلاف فارس[2]، فضلا عن قوات الملك النوميدي التي بفضلها حوصر قيصر في روسبينا[3].

لكن تطورات خطيرة سوف تحدث، منها سيطرة ساليست على جزيرة قرقنة[4]، وما تتوفر عليه من مؤن، وكذلك استيلاء سيتيوس وبوخوس على مدينة سيرتا[5]، ومن جهتهم، هاجم الجيتول وبتحريض من قيصر على مملكة يوبا من الجنوب[6]، هذه الأحداث جعلت يوبا يتخلى عن حملته في الشرق ليعود إلى حماية مملكته، وقسم قواته على ثلاث جبهات[7].

لقد كانت هذه التغيرات في صالح قيصر، الذي تعززت قواته بفرقتين و 800 فارس، و 1000 من رماة النبال[8]، مما أدخل الثقة في نفس قيصر، وأعطاه دفعا قويا، خاصة بعد وصول الجيتوليون الفارون إلى جانب قيصر، بعد عدة اتصالات من جانب قيصر، أدت بهم إلى التخلي عن يوبا الأول[9]. فاتجه جنوبا نحو أوزيتا Uzita التي سيطر عليها سكيبيو، لكن هذا الأخير رفض القتال، مما

---

[1] César, VIII, 4.
[2] Ibid, XXI.
[3] Appien A., II, 96.
[4] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 78.
[5] César, XXV.
[6] Ibid, XXXII.
[7] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص ص 78-79.
[8] Dion Cassius, XLIII, 4. 8.
[9] César, XXXV, 17.

شجع قيصر على حصارها، لولا قدوم لابينيوس(*)[1]، الذي دفعه إلى الانسحاب إلى أغار واستولى على سارسورا في فيفري 46 ق،م[2].

غَيّر يوبا بعد ذلك من خطته، فترك سابورا كقائد على قواته في سيرتا لمواجهة سيتيوس، وعاد هو إلى جانب معسكر سكيبيو، وعسكر قربه[3]، لكن قيصر وصلته آخر دفعة من قواته المقدرة بـ أربعة آلاف من المشاة و400 فارس، وألف من رماة النبال و المقاليع[4]، وقرر محاصرة ثابسوس(**).

نستنتج إلى حد هذه المرحلة أن قيصر قد حاول السيطرة على المدن الاستراتيجية ذات المؤونة، وكذا التلال والهضاب ذات المواقع الاستراتيجية، ومقاومة الحرب النفسية التي مارسها سكيبيو وخاصة بعد الدعم الذي تلقاه من الملك النوميدي يوبا الأول، واكتساب قوة بعد وصول الدعم العسكري المتمثل في الفِرق التي قدمت من صقلية، مع تحريض القبائل حول الانشقاق عن الملك يوبا الأول وقد نجح قيصر في ذلك وخاصة التحالفات الاستراتيجية بين قيصر والملك الموريطاني بوخوس الثاني، والمغامر المرتزق سيتيوس الذي غير مجرى الحرب، نجد كذلك سيطرته على المنافذ البحرية قصد تأمين الدعم من صقلية.

---

* **لابينيوس تيتوس** Labienus Tittus: تقلد منصب التريبونية Tribunatسنة 68 ق،م، كان من أنصار قيصر، و أظهر كفاءة كبيرة في كل المهام التي أسندت إليه في الحرب الغالية، و بعد عبور الروبيكون، وفي ظروف غامضة انتقل إلى الحزب البومبي، و التحق بإفريقيا مع كاتون في أعقاب هزيمة فارسال وفي الحرب الإفريقية تقلد منصب قائد أركان متلوس وشكل خطرا حقيقيا على قيصر، غير أن قلة كفاءة رئيسه المباشر متلوس، وتردد كاتون وخنوعه حالا دون ابراز كفاءته الحربية، ثم انتقل بعد ذلك إلى اسبانيا و لقي مصرعه في معركة موندا سنة 45 ق،م، وحملت رأسه إلى يوليوس امعانا في التنكيل.(.Appien A, II,43.5).

[1] César, XL.
[2] Ibid, XLVII.
[3] Ibid, XLVIII.

[4] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 79.

** **ثابسوس** هي راس ديماس بتونس الحالية، وهي أكبر مدينة على الساحل الافريقي جنوب قرطاجة، إذكان لها نشاط تجاري ضخم في الفترة الباكرة من حكم قرطاجة، و قد أورد ديون كاسيوس بعض استعدادات الخصمين لهذه المعركة، حيث يذكر أن أنصار بومبي عملوا على جر الخصم إلى الموقع المذكور ثم القيام بإغلاق البرزخ الشرقي من الجنوب بواسطة سلسلة من الخنادق تربط معسكر سكيبيو بمعسكر الملك يوبا، ثم إغلاق البرزخ من جهة الشمال بسلسلة خنادق تصل السبخة بالبحر، ولكن قيصر عندما أحس بأن أعداءه يخططون لحصاره داخل البرزخ غير من خطته، عن طريق استدراج خصومه نحو البرزخ، ثم إقامة تحصينات في الأماكن المرتفعة المطلة على البرزخ و انتداب أمهر العناصر للتحصن بها بانتظار اللحظة الحاسمة، وضع الأسطول في حالة الاستعداد التام قبالة ثابسوس للجوء إليه في حالة الهزيمة، وأخيرا غلق المنافذ الموصلة إلى ثابسوس التي كانت تحت حصار جيش قيصر. أنظر (.Dion Cassius, XLIII, 8-2)

تقع مدينة ثابسوس على البحر، في مكان يشكل برزخ ما بين الحافة الشرقية لسبخة مكنين وشاطئ البحر، ويمكن الوصول إليها عبر برزخين من الجنوب والغرب، حيث أقام قيصر في الجنوبي منه، وهو المكان الذي نجح قيصر في استدراج خصومه إليه، مع أن الاستدراج خطط له سكيبيو، وهو أن يستدرج القيصريين إلى نفس المكان ويتم غلق مدخلي البرزخ، ثم يفرض حصار محكم عليهم هناك، ويبدوا على الأرجح أن قيصر اكتشف ما ينويه خصومه فاتخذ إحتياطاته وأوقعهم في ما خططوا له[1].

قام يوبا الأول بمحاصرة باجة[2]، بسبب تدعيمها لقيصر، وفرض السيف على أهلها عن آخرهم[3]. شرع قيصر في استدراج العدو إلى الموقع المناسب والمعركة الفاصلة، وسرعان ما تهيأت له الفرصة، عندما عبر برزخ ضيق لمحاصرة بلدة ثابسوس[4]، ففي 6 أفريل 46 ق،م قام قيصر بهجومين كاسحين، حيث شن قيصر هجوماً خاطفاً على حشود العدو والتي انحصرت في قطاع ضيق لا يسمح باستخدام فصائل الفرسان[5]، وهزم جيش سكيبيو وشتته في البرزخ الغربي، أما الهجوم الثاني فكان على البرزخ الشمالي، حيث كان يعسكر العاهل النوميدي والقوات الرومانية بقيادة القنصل أفرانيوس[*] Afranuis اللذين لم يصمدا أمام قوات قيصر، خاصة عندما علما بهزيمة سكيبيو وفراره من ميدان القتال، حيث فقدا أكثر من 10 آلاف قتيل[6].(أنظر الملحق رقم 04 ص 225).

غير أن المصادر لم تقدم لنا أي تفصيل عما كان يجري في معسكر يوبا، الذي اتخذ معسكرا خاصا به، فهل اشترك فعلا في المعركة ؟، لأن المصادر تذكر أن القيصريين بعد أن انتصروا على

---

[1] عقون محمد العربي، الاتحاد السيرتي من استيلاء سيتيوس على سيرتا (46 ق،م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ و آثار و نظم سيرتا العتيقة، (رسالة دكتوراه ، جامعة منتوري، قسنطينة)، 2004-2005، ص ص 28-29.

[2] Mommsen T., op-cit, T., V, p 20.

[3] César, LXXIV, 35.

[4] Duruy V., op-cit, XXIII.

[5] عبد اللطيف احمد علي: المرجع السابق، ص. 278.

[*] أفرانيوس Afranuis : أحد ضباط بومبيوس الكبير و المقربين إليه، تقلد عدة مناصب، أهما منصب ليفاتوس، ثم انتخب قنصلا، كان خلال الحرب الإفريقية على رأس معسكر جنوبي برزخ ثابسوس، (عقون، م-ع، المرجع السابق، ص 29)، و قال عنه ديون كاسيوس أنه راقص ماهر أكثر منه رجل دولة،(Dion Cassius, XXXVII)

[6] Dion Cassius, XLIII, 9. ; Appien A., II, 96. ; César, XCV.

سكيبيو قاموا بالهجوم على معسكر أفرانيوس، واستولوا عليه، فلما شاهد يوبا ذلك اكتفى بالانسحاب باتجاه مملكته، بعد أن يأس من تحقيق حلفائه لأي نصر على قيصر، رغم ما قدمه من مساعدات، وخاصة الأفيال، ولكن سوء التخطيط وضعف القيادة في الصف الجمهوري أدى إلى تلك الكارثة، كما أن الجمهوريين لم يعملوا بنصائح يوبا الذي أشار بضرورة التخلص من ذوي الميول القيصرية في عموم المقاطعة، خاصة في أوتيكا، لأن هؤلاء قدموا الكثير للقيصريين من نقل للمعلومات، وبث البلبلة، ولاشك أن إثارة البلبلة في المملكة النوميدية وتحريك النعرات القبلية خاصة في أوساط الجيتول كان من فعل الجاليات الرومانية المستقرة بإفريقيا[1]، فكيف يمكن لأولئك المستوطنين الرومان أن يقفوا إلى جانب حزب أعلن تحالفه مع ملك نوميدي، وكان ينوي — إن هو انتصر– أن يسلم له إفريقيا، و بذلك ينتقلون من مواطنين رومان إلى رعايا المللك، الذي يكن عداوة لكل ما هو روماني قيصري، أما في الجهة الغربية فقد انتصر سيتيوس على سابورا وتوجه بعدها نحو قيصر لأخذ مستحقاته[2].

كانت هزيمة ثابسوس كارثة كبيرة، حيث استولى قيصر على المعسكرات الثلاث، معسكر أفرانيوس، ومعسكر سكيبيو، ومعسكر يوبا الأول، وقاموا بنهبها، كما ترك البروقنصل ربيليوس مع ثلاث فرق محاصرة مدينة ثابسوس ثم اتجه لمحاصرة مدينة ثوزدروس[3] التي يحكمها كانسيديوس [4]، واستسلمت له فلول الجيش الروماني الجمهوري المهزوم، لكن جيش قيصر أبادوهم أمام أعينه[5]، ثم اتجه قيصر نحو أوتيكا حيث يتواجد كاتون مطارداً بقية جند سكيبيو [6]، لكن كاتون انتحر قبل وصول قيصر[7].

[1] عقون محمد العربي، الاتحاد السيرتي...، ص 29.

[2] César, XXXV. ; Decret F., Fantar M., op - cit, p 156.
[3] César, XXXVII.
[4] César, LXXXVI.

[5] عقون محمد العربي، المرجع السابق، ص30-31 .

[6] Lamartine Alphonse, *Vies de quelques hommes illustres (Homère, Cicéron, César).* T.34, Edit, chez l'Auteur. Paris, 1863, p 352.
[7] César, LXXXVIII. ; D. Cassius, T. 4, XLIII.

أما مصير القادة الجمهوريين، فقد استطاع سولا فوستيوس وأفرانيوس من الوصول إلى موريطانيا في محاولة للإبحار نحو إسبانيا، لكن اعترض سبيلهما بعض مرتزقة سيتيوس، وألقوا القبض عليهما وسلما لقيصر الذي قتلهما[1]، أما سكيبيو فقد حاول الفرار عن طريق البحر، لكن عاصفة معاكسة أعادته إلى هيبون، وقتل هناك، في حين نجح لابينيوس وفاروس وسيكتيوس بومبيوس من الفرار إلى إسبانيا[2] ومعهم أرابيون بن مسينيسا الثاني ملك نوميديا الغربية[3].

وبذلك انضمت إليه المدن المجاورة لقيصر، ففتحت أوتيكا الأبواب له، وأعلنت ثابسوس وثوزدروس[*] طاعتها بعد فترة من الحصار، فضلا عن أوزيتا وحضرموت دون مقاومة[4]، وفي هذه الظروف الصعبة وجد يوبا نفسه معزولا ومعه القائد بتريوس، ولعل وجهتهما في الأول كانت أوتيكا على أمل الالتحاق بكاتون، لاستئناف القال من جديد، لأن يوبا أرسل إلى كاتون يستعلمه عن ماذا يكون قد قرر للدفاع عن أوتيكا وبقي متخفيا ينتظر الرد، ولما لم يصله شيء قرر العودة إلى عاصمته[5]، لكن المدن التي مر بها رفضت فتح أبوابها، حتى أدرك زاما-ريجيا التي أغلق سكانها الأبواب في وجهه خشية تدميرها[6]، لأنه قطع وعدا على نفسه قبل مغادرتها، بإحراقها بمن فيها في حالة هزيمته[7]،كما قام اهلها باستدعاء قيصر لحمايتهم، و ربما هذه القصة هي ذات حبكة رومانية، الهدف منها خلق الفوضى والبلبلة التي استغلتها الجالية الرومانية لصالحهم[8]، في حين استقبل سكان زاما الإمبراطور المنتصر استقبالا باهرا[9].

---

[1] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 183.

[2] Berthier A., La Numidie…, pp 86-87.

[3] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 57.

[*] ثوزدروس: تقع على بعد 50 كلم جنوب روسبينا و تعرف بمدينة الجم بالقطر التونسي.

[4] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص ص 183-184.

[5] عقون محمد العربي، الاتحاد السرتي...، ص31-32 .

[6] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 82.

[7] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 57.

[8] عقون محمد العربي، الاتحاد السرتي...، ص 32.

[9] Berthier A., op - cit, pp 87-88.

وما كان على يوبا الذي فقد مملكته ورفضت عاصمته أن تفتح أبوابها له، وهو الذي كان يحلم أن يجعل من نوميديا مملكة مستقلة، فانسحب رفقة بتريوس إلى بيته الريفي، فلم يبق له غير الانتحار[1]، فمات بذلك معه آخر أمل للنوميديين من أجل إعادة بناء دولة قوية، حيث فضل الموت على الاستسلام لقيصر في ضواحي زاما على الاستسلام للأعداء[2].

على إثر هذه التغييرات غادر قيصر مدينة أوتيكا، وصل في 14 أفريل إلى كاراليس (Caralis) على سواحل سردينيا، ثم إلى روما التي وصلها في 25 ماي 46 ق.م[3]، أين خاطب جمهورها في احتفاله بالنصر على مصر و بونت ثم افريقيا[4]، لأنه أرضخ هذه البلدان للشعب الروماني التي سوف يستفيد منها كل سنة 200 الف صاع من القمح وثلاثة مليون لتر من الزيت[5]، كما أن قيصر أحضر في احتفاله هذا ابن يوبا الأول الذي لم يكن حينها إلا طفلاً و 40 فيل، وسلم لكل جندي من كتائبه خمسة آلاف دينير (Denier/Dinarius)، بعد تسميته قنصل للمرة الرابعة اتجه إلى اسبانيا لمحاربة ابن بومبي وما تبقى من الأعداء [6].

ثانيا : إنعكاسات الحرب الأهلية الثانية.

1 **إنعكاسات الحرب على نوميديا:** بعد انحياز يوبا الأول عاهل نوميديا إلى الحزب الأرستقراطي (Optimates)، وربط مصيره بقادة ولاية إفريقيا وكانت النتيجة أنه لقي مصيرا مؤلما على يد يوليوس قيصر حينما انتصر على خصومه سنة 46 ق.م[7]، وحتى الجالية الإيطالية لم تسلم من ذاك الصراع لأنها عبرت عن مكانتها في الولاية البروقنصلية بمشاركتها في الحرب وذلك بانضمامها إلى الحزب الأرستقراطي، كقوة يجب أخذها في الحسبان أثناء الحرب الأهلية التي دارت بين أتباع قيصر وبومبي .

---

[1] Decret F., Fantar M., op - cit, p 156. ; حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 82

[2] حارش محمد الهادي، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر...، ص. 257.

[3] Moinier colonel, *Compagne de J. César en Afrique*, p 11.

[4] Duruy V., op- cit, XXIII.

[5] Plutarque, *Vie de César*, LV.

[6] Ibid, LVI.

[7] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 60.

لقد ترتب عن نهاية الملك يوبا الأول، هذه النهاية المأساوية، نهاية المملكة النوميدية، وفقدان النوميد لسيادتهم بعد ذلك قرونا عديدة، وبعد انتصاره في حرب إفريقيا سنة 46 ق،م، قام يوليوس قيصر بإجراءات عديدة كانت لها انعكاسات خطيرة ليس على نوميديا وحسب، بل على كامل التراب المغاربي القديم.

كان يوليوس قيصر قد أمر بإزالة المملكة النوميدية، وجعل منها مقاطعة رومانية باسم إفريقيا الجديدة Provincia Africa Nova تمييزا لها عن الولاية القديمة [1] Africa Vetus، وقد امتدت حدودها من المجرى الأسفل لنهر الواد الكبير Ampsaga حتى جبال الأوراس غربا وقفصة جنوبا، فهي تمتد من الخط المار بين هيبوريجيوس وروسيكادا، وينحدر نحو الجنوب غربي كالاما–قالمة– ثم باتجاه الجنوب الشرقي ليصل إلى كابسا[2]– قفصة– ، و كان أول حاكم لها هو سالوستيوس برتبة بروقنصل[3]، ويفصل بين الإفريقيتين الخندق الذي وضعه سكيبيو الإميلي، والمعروف باسم الحفر الملكية Fossa Regia[4]، وقد خلد ساليست نفسه كمؤرخ و وصمه التاريخ كأكبر مبتز لمحكوميه[5].

يذكر شنيتي أن القضاء على نوميديا في ذلك العام بالتحديد يمثل نهاية لمرحلة دامت قرنا من الزمن (146 ق،م–46 ق،م)، و كأن قيصر – يقول شنيتي– أراد بتلك المصادفة التاريخية أن يحتفل بالذكرى المئوية للانتصار الروماني على القرطاجيين، بأن أضاف مكسبا إقليميا جديدا إلى المكاسب الرومانية القديمة، مساهمة منه في توسيع الامبراطورية على حساب الشعوب المجاورة[6].

أما الجزء المتبقي من نوميديا، فقد قسم بين بوخوس والمرتزق سيتيوس كمكافأة لهما، فعمد الأول إلى مَدِ حدوده من واد الساحل إلى الواد الكبير، بينما غنم الثاني – سيتيوس– الشمال الغربي من مملكة نوميديا، ويشمل مقاطعة سيرتا وضواحيها[7]، والتي أقاموا بها إمارة، عرفت باسمهم–

---

[1] Appien. A., II, 100 ; César, XCVII. ; Dion Cassius, XLIII, 9. 2.

[2] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 183.

[3] Appien. A., II 100 ; César, XCVII.

[4] Chaligne. C., *Occupation romaine de l'Afrique*, **R.S.A.C**, 1921-1922, pp.13-19.

[5] عقون محمد العربي، الاتحاد السرتي...، ص 32.

[6] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 65.

[7] حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 82.

الستيانيين-[1] وهي أشبه بكونفدرالية، تجمع عدة مدن مشهورة، وهي القل Chullu وسكيكدة Rusicada، ميلة Milev، وسيرتا كعاصمة لها[2]، وشكل فيما يعرف بالاتحاد السرتي، الذي ألحق بإفريقيا الجديدة، بعد مقتل سيتيوس سنة 44 ق،م[3].

كما قام قيصر كذلك بمنح المدن الكبرى التي يسكنها الإيطاليين حقوق المواطنة الرومانية[4]، من الواضح أن لهذه الإجراءات التي اعتمدها قيصر في شمال الولاية الجديدة سيكون لها أبعاد خطيرة مستقبلاً على المنطقة بأكملها، يبدوا أنه منح تلك المنطقة لمرتزقة سيتيوس يعد عملاً وقائيا حتى يحمي ظهر الولاية الجديدة ربما من طموح بوخوس الثاني، أو من توحد القبائل وهذا ما جعل قيصر بعدم اطمئنانه إلى حلفائه المغاربة، ولهذا رأى في جماعة سيتيوس أنسب قوة بشرية تستطيع استيطان تلك المنطقة والدفاع عنها.

بالإضافة إلى ما انتزعه قيصر لصالح سيتيوس، قامت الجالية الرومانية بمساعدة من سيتيوس، بإنشاء عدة مستوطنات زراعية نموذجية في المنطقة التي استقروا فيها، مما مهد لمرحلة الاستيطان الواسعة التي ستشهدها فترة حكم أكتافيوس أغسطس[5]،

كما قام قيصر بإعادة مشروع الإخوة كراسوس التي حطمتها مخططات أصحاب الامتيازات في إفريقيا[6]، حيث استطاع التأثير على مجلس الشيوخ بعد نجاحه في الجانب العسكري، مما جعله يهتم بحركة الاستيطان في الولايات والتي اكتسبت الطابع الرسمي لأن قيصر هو الذي تبناها، ومن أهم بنود هذا المشروع التي تنظم الأراضي، والتي أطلق عليها اسم الأراضي الخاصة والخراجية (Ager galisque Privatus Vecti)، وهي أراضي استحوذ عليها الرأسماليون الرومان، شريطة دفع ضريبة الخراج أو بما نسميها الدخل (Vectigal)، وعلى هذا النحو وضعت أسس الضيعات الكبيرة

---

[1] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 58.

[2] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 65.

[3] Decret F., Fantar M., op - cit, p 157.

[4] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 134.

[5] غانم محمد الصغير، مقالات و آراء....، ص 195.

[6] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق...، ص. 128.

(Latifundia)، التي قامت خاصة في ولاية إفريقيا[1]، ومن هذه الآونة صارت ولاية إفريقيا مسرحاً للاحتلال الروماني، حتى الإيطاليين ذهبوا للإقامة بولاية إفريقيا واحتملوا دفع جزية المهزومين (Stipendiarii) واستوطنوا المدن بالآلاف حتى في سيرتا عاصمة النوميديين كما فعلوا من قبل في غالة والشرق، وكانوا هؤلاء المستوطنين من أصحاب الحرف والصناعات.

ونلاحظ ذلك جلياً عندما قام قيصر بالخروج عن المألوف، عندما قام بإعادة بناء قرطاجة بولاية إفريقيا، رغم العرف والوازع الديني إلا أنه تحدى هذه الأفكار القديمة، من أجل تطبيق سياسته التوسعية، وعليه أمر ببناء مدينة قرطاجة في المكان الذي كان يعتبر ملعون.

وهكذا نلاحظ زوال مملكة نوميديا من الوجود، وتغيير الخريطة السياسية لبلاد المغرب، وبذلك كان سير الاحتلال بخطى سريعة خاصة أثناء الحروب الأهلية، وعلى سبيل المثال قام ماريوس بمنح أراضي لقدماء الجنود في مدن ولاية إفريقيا، كذلك قيصر الذي غزا ولاية إفريقيا ونوميديا، قام بعمل جديد متمثل في إعادة رسم خريطة نوميديا التي عرفت إنشاء مقاطعة جديدة من ناحية، وإمتداد موريطانيا شرقا، فضلا عن الأراضي التي استلمها المرتزق سيتيوس[2].

هذا بالنسبة لنوميديا، أما مدن مقاطعة إفريقية فقد اتخذ بشأنها قيصر عدة قرارات تختلف حسب موقفها من الحرب، ففي أقصى الشرق حول مدينة لبدة Leptis Magna الحليفة، لمدينة تابعة، نتيجة موقفها المعادي له، حيث زودت يوبا بالرجال والأموال والسلاح، فتعرضت لضريبة سنوية قدرت بثلاثة ملايين رطل من الزيت[3]، وبما أن أويا (Oea طرابلس) وصبراطة سارتا على خطى لبدة، فإنهما أنزلتا بدورهما إلى منزلة المدن التابعة[4]، ثم توجه إلى أوتيكا حيث باع أملاك جميع الذين كضباط تحت أوامر يوبا و بتريوس[5].

---

[1] روستوفتزف ج.، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي و الاقتصادي، ترجمة زكي نجيب، محمد سليم سالم، النهضة العربية، ب-د، ص384.

[2] Appien A., II, 54.

[3] César, XCVII, 3.

[4] نصحي ابراهيم، المرجع السابق، ص 662.

[5] César, XCVII , 2.4.

أما حضرموت وثابسوس فقد فرض عليهما غرامة مالية، قدرت بمليونين سيسترس للأولى، وثلاثة ملايين سيسترس للثانية، في حين ألزمت مدينة ثوزدروس دفع ضريبة عينية من القمح[1]، كما لم يتسامح قيصر مع المواطنين الرومان الذين تحالفوا مع الجمهوريين، ففرض على مواطني حضرموت غرامة مالية بلغت خمسة ملايين سيسترس، وثلاثة ملايين بالنسبة للمقيمين في ثابسوس[2]، كما لم يسلم المواطنين الرومان المقيمين بزاما عاصمة الملك يوبا[3]، بينما تسامح مع النوميديين الذين أغلقوا الأبواب في وجه ملكهم يوبا الأول، وأبطل الضرائب التي فرضها عليهم يوبا[4].

ومجمل القول، نرى أن قيصر قد حقق انتصارا كبيرا ضَمِن من خلاله ضريبة سنوية تقدر بمليون ومائتي ألف صاع من القمح وثلاثة ملايين رطل من الزيت، فتم ضم نوميديا إلى ملك الشعب الروماني Ager Publicus، وعلى هذه الأراضي تأسست – كما أشرت سابقا- المزارع الكبرى لصالح أعضاء مجلس الشيوخ وطبقة الفرسان التي بدأ دورها يتزايد خارج إيطاليا[5].

هذا فضلا عن المستوطنات التي أسسها قيصر مثل مقاطعة هيبودياريتوس (Hippo Diarrhytus–بنزرت) ومقاطعة قوروبيس (Curubis–رأس الطيب)، قليبية(Clupea، قارابيس (Carapis –مريسة) وبنابوليس (Neapolis– نابل)[6]، وهناك أنزل قيصر محاربيه القدامى للدفاع عن المستوطنات وحمايتها، هذه الحركة التوسعية في إطار سياسة الرومنة، قد بدأها قيصر ثم تتوسع مع العائلة اليوليانية مع سيطرة أكتافيوس على السلطة وإعلان الامبراطورية[7].

لقد بعث قيصر حركة الاستيطان من جديد بعد احتلاله لإفريقيا[8]، وبذلك انتهت سياسة روما اتجاه إفريقيا المتمثلة في التدخل عن بعد مع حفظ مصالحهم بتدعيم وتنصيب الملوك المواليين،

---

[1] César, XCVII, 2.4.
[2] Gsell S., H.A.A.N, T., VIII, p 153.
[3] Ibid, p 153.
[4] César, XCVII, 2.4.

[5] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 65.
[6] روستوفتزف ج.، المرجع السابق، ص 65.
[7] شارن شافية و آخرون، الاحتلال الاستيطاني و سياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 67.
[8] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق ص 129.

تعتبر حملة قيصر على إفريقيا نقطة البداية لاحتلال إفريقيا، حيث نلاحظ أن روما اعتمدت في الأول الثورة السياسية والاقتصادية ثم أعقبتها بالغزو والتهدئة من طرف الإدارة، ومع انتصار قيصر بدأت سياسة الاستيطان في إفريقيا ونوميديا، هذه السياسة شملت حتى الديانة البونية السابقة، هذه السياسة الذكية ساهمت في التعايش بين الوافدين والسكان الأصليين، وفتحت لهم باب الطموح للحصول على الجنسية الرومانية عن طريق التدرج في المراتب نحو الأعلى[1].

يذكر شنيتي أن ماسحو الأرض كانوا يسيرون في أعقاب جنود الاحتلال وهذا بعد الانتهاء من مهام نزع الملكية من أصحابها بالقوة، ثم يقوم الماسحون بتجزئتها إلى قطع حتى يسهل توزيعها[2]، إذ يرى بعض المؤرخون أن قيصر عندما احتل نوميديا سنة 46 ق.م، كان الغرض هو التوسع في امتلاك الأراضي وفتح المدن أمام الاستثمار الروماني، وقد انتهجت الدولة الرومانية سياسة نزع الملكية عنوة، وترحيل هذه القبائل إلى الجنوب النوميدي، مثل قبيلة نوميديا (Numidia/Numidie) بإقليم مداوروش (Mdaoures/Madaure) وحيدرة (Haidra/Ammaedara) التي نقلت إلى الجنوب، وانزل بعضها بالقرب من خميسة التي عرفت بعاصمة القبيلة تحت اسم توبورسيكو نوميداريوم[3].

2 - **انعكاسات الحرب على روما:** عاد قيصر إلى روما في نفس السنة -46 ق،م-،بعد أن نظم أمور إفريقيا، وقسمها كما أشرنا سابقا، وفي روما انتخب ديكتاتورا لمدة عشر سنوات، لكن سلطته الواسعة والمطلقة، وسيطرته في الانتخابات والتعيينات وعظمة ألقابه النادرة، أثارت المخاوف في روما، والتي أدت إلى اغتياله في 15 مارس 44 ق،م، عند تمثال بومبايوس على أيدي بروتوس وكاسيوس[4]

---

[1] Charles Picard Gilbert, *La civilisation* ….., pp. 916,917

[2] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص ص 51-52.

[3] نفســه، ص ص 53-54.

[4] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص ص 232 -233.

لقد أعقب اغتيال يوليوس قيصر فترة من الفوضى السياسية والعسكرية، وظهور شخصيتين هما أنطونيوس الذي كان الساعد الأيمن لقيصر، وأكتافيوس[*] الذي كان ابنا بالتبني لقيصر نفسه.

يذكر بعض المؤرخين أن مقتل قيصر كان بمؤامرة من مجلس الشيوخ، ودليلهم في ذلك أن مجلس الشيوخ عقد مجلسا بعد مقتله، أظهر فيه تأييده للمتآمرين- قتلة قيصر- لكنهم بالمقابل أدركوا أهمية القنصل ماركوس أنطونيوس وأبدوا الخوف منه، فاقترحوا تمرير إصلاحات قيصر وإقرار الوصية مقابل العفو عن قتلة الديكتاتور[1]، و أقيم لهذا الأخير احتفال جنائزي رسمي، فيه أشيد بقيصر لإثارة حماس أنصاره[2].

لكن بعد أن تليت الوصية، أصيب أنطونيوس بخيبة أمل كبيرة، لأن قيصر تبنى أكتافيوس، وأوصى له بما عنده، فحمل اسمه الذي أصبح " كايوس يوليوس قيصر أكتافيوس"[3]، فشكلت هذه الوصية نقطة خلاف بين أنطونيوس و أكتافيوس، حيث حاول أنطونيوس السيطرة على غالة القريبة وإقصاء ديكيميوس بروتوس، لكن مجلس الشيوخ عين كل كايوس بانسا Cauis Pansa وأولوس هيرتيوس Aulus Hietius بمساعدة أكتافيوس، حيث هزموا أنطونيوس في معركة مودينا في أفريل 43 ق،م[4].

---

[*] أكتافيوس Octavius Caius: ولد 23 سبتمبر 63 ق،م، و هو ابن أخت يوليوس قصر، وابن غابيوس أكتافيوس الذي ينحدر من أسرة وليترو Velitroe المحترمة ، وهي من عشيرة من نبلاء العامة Gens de la noblesse plébeienne، توفي والده و هو في 4 من عمره، نال قسطا كبيرا من العلوم على يد أشهر الأساتذة مثل أبولو ذوروس البرجامي، و أريوس الاسكندري ، ثم أرسله خاله إلى أبولونيا سنة 45 ق،م ليكمل علومـــه، و يختبر في الحيـاة العسكرية مع الضباط و الجنود، وفي أواخر سنة 44 ق،م تلقى رسالـة من والدته تنبئه بوفاة خاله قيصر، فأسرع بالعودة إلى روما عبر برنديزي، وبعد أن تليت الوصية و الاعلان عن تبنيه من قبل قيصر، عرف باسم غايوس يوليوس قيصر أوكتافيوس حتى سنة 26 ق،م اشتهر بعد ذلك بلقب أوغسطس Augustus، عضو في الثلاثية ما بين 42- 32 ق،م مع انطوان و ليبديوس، تقلد سلطة تقديرية ما بين 31- 24 ق،م، قام بتوحيد الإفريقيتين نهائيا في مقاطعة واحدة "البروقنصلية "، وبذلك أنهى الامتيازات السيتيانية. (أنظر: ابراهيم أيوب، التاريخ الروماني، ص 235. ؛ عقون محمد العربي، المرجع السابق، ص 28.

[1] عبد اللطيف علي أحمد، المرجع السابق، ص 342.

[2] Appien, II, 146.

[3] Ibid, II, 9.

[4] حجازي عبد العزيز، روما و إفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006، ص 146.

لكن رغم انتصاره ودوره في هزم أنطونيوس، عين ديكيموس بدلا من أكتافيوس، فأغضبه هذا القرار، مما جعله يغير سياسته وقرر التحالف مع أنطونيوس[1]، هذا الأخير زحف على رأس ثمانية فرق عسكرية على روما، واستمال إلى جانبه لبيدوس، وفي سهل البو التقى الطرفان بأكتافيوس، حيث تفاوضوا واتفقوا على إنشاء حكومة ثلاثية ثانية[2]، تنظم أمور الجمهورية وتضبطها[3].

في هذا الاتفاق الثلاثي الثاني اتفقوا على تقسيم الولايات الغربية على الشكل التالي، أسندت لأكتافيوس ولايات سردينيا وصقلية وإفريقيا، أما لبيدوس فمنح إسبانيا الغربية وغالة النابونية، على أن يكون نصيب أنطونيوس كل من غالة الغربية، وكل بلاد غالة عبر الألب[4]، واتفقوا أيضا على تولي أكتافيوس وأنطونيوس قيادة الحملة على الشرق للقضاء على قتلة قيصر، على أن يحمي لبيدوس شؤون روما ومصالحها[5].

لقد تمكن أكتافيوس وأنطونيوس من القضاء على كل من بروتوس و كاسيوس قتلة قيصر في معركة فليبي Phillippi، فقررا إعادة تقسيم الولايات، فأسندت إسبانيا القريبة والبعيدة وسردينيا وولاية افريقيا لأكتافيوس، على أن يتولى أنطونيوس حكم غالة عبر الألب، أما لبيدوس فتم استبعاده بتهمة التحالف مع سيكتيوس بومبيوس، وإن ظهرت براءته –يقول غزال– تمنح له ولاية إفريقيا[6]، كما اتفقا أيضا على أن يتجه أنطونيوس إلى الشرق لاستعادة هيبة روما، ويعود الثاني إلى إيطاليا ويتدبر شؤونها[7] .

لكن ما هي أوضاع إفريقيا الجديدة؟، هل تقبلت الأمر الواقع؟، في الحقيقة ظهر شكل آخر للمقاومة النوميدية، والذي جاء نتيجة انتصار قيصر على إفريقيا، وبذلك أردت أن أشير إلى رد فعل النوميديون بقيادة أرابيون، ولو قد أتجاوز فترة الدراسة قليلا.

---

[1] Appien, II, 80.

[2] Frédouille J.C., op-cit, pp 161-162.

[3] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 237. ؛ حجازي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 146. ؛ بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 58.

[4] Appien, II, 2.

[5] Ibid, II, 2. ; عبد اللطيف علي أحمد، المرجع السابق، ص ص 347-348.

[6] Gsell S., *H.A.A.N*, *T.*, *VIII*, p 191.

[7] عبد اللطيف علي أحمد، المرجع السابق، ص 350. ؛ ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 141.

ثالثا: مقاومة أرابيون للوجود الروماني.

إن مقاومة النوميديين ظاهرة تاريخية لا يمكن تجاهلها، حيث اتخذت عدة أشكال، وبرزت في صور مختلفة باختلاف الظروف والمعطيات، فاتخذت طابع المواجهة العسكرية على يد يوغرطة ضد روما، وشَكْل المناورات السياسية والمساومات العسكرية مع يوبا الأول، ثم برزت في صورة مواجهة شعبية اكتسبت طابع الثورة الجزئية ضد توسع الاحتلال الروماني، وهذا ما فعله القائد أرابيون.

1 -**الصراع بين حاكمي الإفريقيتين** : عندما غادر قيصر إفريقيا في 13 جوان 46 ق،م نصب ساليست على رأس مقاطعة إفريقيا الجديدة- كما سبق وأشرنا- أما مقاطعة إفريقيا القديمة فقد عين على رأسها كالفيسيوس سابينوس، لكن وبعد وفاته-قيصر- تغيرت الأوضاع، فتم عزل ساليست الذي وجهت إليه تهم ابتزاز محكوميه، وعوض بسكستيوس المقرب من أنطونيوس شريك أكتافيوس في الثلاثية، كما تم تعويض سابينوس-حاكم إفريقيا القديمة- بكورنيفيكيوس Cornificius، وكان مقربا من شيشيرون[1]، مما خلق وضعا مضطربا[2].

هذا الوضع المضطرب المتمثل في الصراع بين حاكمي إفريقيا القديمة –كورنيفيكيوس- وإفريقيا القديمة -سكستيوس-، كان كل واحد منهما يسعى إلى توحيد الإفريقيتين تحت حكمه ولصالح حزبه[3]، فمال الأخير إلى الائتلاف الثلاثي، لأن مجلس الشيوخ جرده من كتائبه[4]، أما كورنيفيكيوس[*] فقد مال إلى مجلس الشيوخ[5]، وبعد تقسيم الولايات الغربية بين أعضاء الثلاثية، كانت إفريقيا من نصيب أكتافيوس، فعين سكستيوس واليا على الإفريقيتين الجديدة والقديمة، لكن

[1] عقون ،م-ع، المرجع السابق، ص 34.

[2] Berthier A., op - cit, p 87

[3] Gsell S., H.A.A.N, T., VIII, p 184.

[4] Mercier E., *Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française 1830*,T.1, éd. Ernest Leroux, Paris,1888. P 84.

[*] في رواية ديون كاسيوس و أبيان اختلاف كبير، بحيث ذكر الأول أن سكستيوس كان مواليا لأنطونيوس، أما الثاني فيجعله من أنصار أوكتافيوس، و لعل رواية ديون كاسيوس أكثر مصداقية، لأن أوكتافيوس في وقت لاحق سيعين حاكم وهو فانغو في مواجهة سكستيوس، أو ربما ولاءه للحاكمين قبل عقد التحالف الثلاثي. أنظر: عقون ،م-ع، المرجع السابق، ص 34. ؛ Gsell S., Op-cit, pp 184-185.

[5] Poulle Ch., Op - cit , p 98.

كورنيفيكيوس اعترض على ذلك، وعبر عن أنه لا يعترف بما يقرره أعضاء الحكم الثلاثي، ووصل الأمر إلى حد إعلان الحرب بين الواليين سنة 42 ق،م[1].

بعد أن نظم سكستيوس قواته، زحف على منطقة حضرموت لإجبار خصمه على الانسحاب[2]، فرد عليه كورنيفيكيوس بجيش لتقويضه من الأمام والخلف، بأن وضع ونتديوس P.Ventiduis على رأس جيش وكلفه بإجلاء قوات خصمه من حضرموت، والجيش الثاني عين ليليوس ديكيموس Laeluis Decimus كقائد عليه، وكلفه بغزو إفريقيا الجديدة وحصار عاصمة[*] سكستيوس[3].

لقد استطاع ونتديوس أن يوقف زحف سكستيوس، ويتراجع بذلك إلى عاصمته، أين كان ليليوس في انتظاره، حيث مالت بذلك كفة الحرب إلى صالح كورنيفيكيوس الذي أدار المعركة بخبرة عسكري متمرس حسب بعض المصادر[4].

2 - **عودة أرابيون من إسبانيا و دوره في استرجاع نوميديا:** لا نملك معلومات عن ميلاد وطفولة ونشأة الأمير أرابيون، باستثناء ما تذكره المصادر عن مساهمته في الدفاع عن نوميديا إلى جانب والده ماسينيسا الثاني، ثم انتقاله إلى إسبانيا صحبة أنصار بومبي، بعد هزيمتهم في ثابسوس سنة 46 ق،م، وخلال إقامته بإسبانيا شاهد عملية تصفية بقايا البومبيين في معركة ماندا Manda في 17 مارس 45 ق،م[5]، فكان وجوده بعد ذلك في إسبانيا دون أهمية، فقرر العودة إلى وطنه[6] للثأر لوالده وبلده[7]، خاصة والتغيرات التي حدثت في إفريقيا جراء الصراع بين حاكمي الافريقيتين،

---

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 169.؛ Mercier E., Op – cit, p 84.

[2] شارل أندري جوليان،نفســه.

[*] هناك اختلاف حول عاصمة سيكتيوس الواردة، هل هي زاما أم سيكا، و لعلها دوقة، لأن المقصود بإفريقيا الجديدة هي جزء من نوميديا الشرقية، و من المستبعد أن تكون سيرتا. أنظر: Pallu de Lessert M.C., *Fastes de la Numidie sous la domination romaine*, **R.S.A.C**, Vol., XV, 1888, pp 3-6

[3] Mercier E., Op – cit, p 84. ; Gsell S., Op-cit , p186.

[4] Dion Cassius, XLVIII,21 .

[5] Ibid, XLVIII,40.2. ; عقون ،م– ع، المرجع السابق، ص 38.

[6] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 171.

[7] Camps G., *Arabion*, in **Encyc. Be**, VI, EDISUD, France, 1989, p. 832.

وذلك لتكوين جيش وطني لعله يتمكن من إبطال ما ترتب عن الحملة القيصرية، وإعادة بعث المملكة النوميدية من جديد[1].

يذكر قزال أن أرابيون صحب أثناء عودته من إسبانيا بعض النوميديين الذين اكتسبوا خبرة عسكرية[2]، فلم يكن للأمير غير القاعدة الشعبية النوميدية، التي اقتنعت بمسألة مقاومة الاحتلال الروماني، فهي عكس ما تصوره المصادر اللاتينية بأن المقاومة كانت قضية أمير يريد استرجاع عرشه، بل هي فوق ذلك، إرادة شعب يريد قيادة تمتلك الاستعداد والخبرة، وهي الشروط التي يكون قد لمستها هذه القاعدة في شخصية أرابيون[3].

كمرحلة أولى استطاع أرابيون أن يسترجع الإقليم الذي كان تابعا لوالده من قبل بوخوس الثاني[4]، حيث استغل النوميديين فرصة الاضطرابات في إقليم بوخوس، وقاموا بالثورة على سلطته، وبذلك تحررت المنطقة وعادت إلى أرابيون، فاسترجع قسم كبير من مملكته الممتدة من الصومام إلى أمساغا[5]، لكن بقي له أن يسترجع الجزء الشرقي من مملكة والده، الذي ضم إلى إمارة الستيانيين، والمتكون من سيرتا وما جاورها، في الوقت الذي كانت القيادة الرومانية في صراع بين سكستيوس وكورنيفيكيوس، ولما شعر بالقوة، هاجم سيتيوس وقضى عليه سنة 44 ق،م[6]، ورغم ذلك لم يسترجع سيرتا لأنها ضمت إلى مقاطعة إفريقيا الجديدة[7]، ولكن الثوار النوميديين بقيادة أرابيون استطاعوا أن يحيوا كيان نوميديا الغربية، وحقق حلم النوميديين في استرجاع مملكة يوبا الأول، وأضحى سيد الأفارقة على حد قول شنيتي[8].

---

[1] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم...، ص 82.

[2] Gsell S., H.A.A.N, T., VIII, p 184.

[3] عقون م-ع، المرجع السابق، ص 40.

[4] Poulle Ch., *A travers la Maurétanie Setifienne*…, p 96.

[5] Ibid, p 97.

[6] Appien A., IV, 54. ; Poulle Ch., Op - cit, p 97.

[7] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 95.

[8] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 69.

يذكر بشاري أن أرابيون لم يقتنع بما حققه من انتصارات، ورغم ذلك أوقف نشاطه العسكري حتى لا يثير مخاوف الرومان[1]، وبذلك يكون قد تفرغ لتنفيذ الخطوة التالية وهي الإستفادة من الصراع بين حاكمي الإفريقيتين، متبعا في ذلك سياسة المناورة والتظاهر لكل منهما بالتأييد والمناصرة.

وهنا نشير إلى أن أرابيون قد أفلح في مهمته على المستوى الداخلي، حيث أنه تمكن من استقطاب عناصر الثوار، و توحيد كلمة الأمراء وشيوخ القبائل، فجند الرجال والجيوش، واستطاع أن يوقظ الوازع الوطني في نفوس سكان المدن والأرياف على السواء، حيث تحمس سكان المدن للمقاومة، فامتنعت بعض المدن منها زاما–ريجيا من الإصغاء للرومان، الذين لم يتمكنوا من اقتحامها إلا بعد حصار طويل أعجز أهلها على المقاومة.

3 - **أرابيون يتحالف مع سكستيوس** : بعد أن انهزم سكستيوس في حضرموت، لم يجد إلا الاستعانة بأرابيون على خصمه كورنيفيكيوس، هذا الأخير سعى أيضا لاستمالة أرابيون إلى جانبه[2]، وبما أن سكستيوس ينتمي لحزب قيصر ذو الأهداف التوسعية، فقرر الوقوف إلى جانب كورنيفيكيوس، لكن لما أدرك أن الكفة تميل لصالح ممثل الائتلاف الثلاثي[3]، انظم إلى الأول – سكستيوس– خاصة بعد أن استعان كورنيفيكيوس بالسيتيانيين وبذلك تحالف أرابيون مع سكستيوس[4]، أي وقف إلى جانب الطرف الضعيف لكي تكون له الكلمة العليا في حالة تحقيق النصر.

بانضمام أرابيون إلى سكستيوس، قرر الانطلاق على رأس جيش لنجدته وتمكن من فك الحصار الذي فرضه جيش كورنيفيكيوس على عاصمة إفريقيا الجديدة، وأجبر ليليوس على الانسحاب والعودة إلى أوتيكا[5]، ويذكر لنا أبيان أن ديكيموس قد عسكر في أعلى هضبة غير بعيد

1 بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 95.

2 Mazard jean, *Corpus de Monnaie de la Numidie et de Maurétanie…*, p 94.

3 Appien A., IV, 54.

4 عقون م– ع، المرجع السابق، ص 41.

5 Mercier E., Op – cit, pp 84-85.

عن معسكر كورنيفيكيوس، عندما أدركه أرابيون وحاصره بفرق الخيالة النوميدية السريعة، وفرض حصار شديد، وبعد التحاق سكستيوس على رأس جيش، خرج كورنيفيكيوس لمواجهة الوضع، وبذلك منح لأرابيون فرصة الانتقام، فأمر قسما من الفرسان النوميد بالهجوم على معسكر العدو، فأبادوا من به من حرس، واستولوا على ما به، وأمر القسم الآخر من جيشه بتطويق جيش كورنيفيكيوس، فقتله و وقع جيشه في خطر إبادة حقيقية، كما انتحر ليليوس عندما شاهد المعركة من أعلى الهضبة[1].

وحسب قزال كانت هذه المعركة كافية بتشتيت الجيش الجمهوري، وفروا في كل الاتجاهات، حيث توجه أكثرهم إلى صقلية عند سكستيوس بومبيوس، مما سمح بسيكستيوس بالاستيلاء على المقاطعة وأضحى الحاكم الوحيد لإفريقيا الرومانية[2].

ومن جهته عاد أرابيون إلى مملكته، بعدما تحصل على العفو من عداوته مع أنصار قيصر، محملا بالغنائم، فهذا النصر أكد السيادة الوطنية للمملكة، بعدما أضيف إليه بعض الأراضي الخصبة إلى مملكته، منها السهول العليا الشرقية والكتلة الأوراسية، وهذا ما منح له لقب الأمير[3].

رأينا مما سبق، أن أكتافيوس وأنطونيوس بمجرد انتصارهما في معركة فليبي ضد قتلة قيصر، والشكوك التي دارت حول لبيدوس، تم إعادة تقسيم الولايات، فكانت إفريقيا القديمة من نصيب أنطونيوس، فثبت سكستيوس فيها، أما إفريقيا الجديدة فكانت من نصيب أكتافيوس الذي بعث فوفكيوس لتولي شؤونها.

---

[1] Appien A., IV, 53.
[2] Gsell S., H.A.A.N, T., VIII, p 190.
[3] Poulle Ch., *A travers la Maurétanie Setifienne*…, p 99 .

4 -**أرابيون يتحالف مع سكستيوس قائد أنطونيوس:** يذكر قزال أن تعديلا آخر قد حدث بين أكتافيوس و لوكيوس أنطونيوس- أخ أنطونيوس- فكانت ولايتا إفريقيا من نصيب أكتافيوس، فكان على سكستيوس أن يسلم مقاطعتا إفريقيا لفوفكيوس فانغو[1]، لكنه رفض، فحدث صراع بينهما، واستطاع فوفكيوس الاستيلاء على إفريقيا الجديدة[2].

وأمام هذا الانتصار الذي حققه فانغو، استنجد سكستيوس بأرابيون مرة أخرى للاستفادة من خيالته[3]، فاستطاعا إرغام فانغو بالتراجع، لكن الأخير قام بطرد أرابيون، فلجأ إلى سكستيوس، حيث طالب برأس أرابيون، لكن حليفه رفض، وتمكنا مرة أخرى من إرجاع فانغو إلى الوراء[4].

غير أن سكستيوس اتضح له أن أرابيون أصبح قوة لا يستهان بها، وأن وطنيته قد تدفع به إلى الانقلاب ضده، بعد أن يمتن أركان مملكته التي أحياها، وتأكد له ذلك من نواياه المناهضة للوجود الروماني ككل[5]، فدبر عملية اغتياله بين 41 و 38 ق،م، مدعيا أنه اشتبه في أمره، وإنه تأكد من تعاونه مع فانغو[6]، ومن جهته يذكر لنا أبيان أن سبب حقد سكستيوس على أرابيون يكمن في شجاعته، وحسن تنظيمه لجيشه، وخاصة تعلق الجيش النوميدي به[7]، وفيه من يعتقد أن لبوخوس يد في اغتيال أرابيون[8].

كان رد فعل النوميد بالانفصال عن جيش سكستيوس، وانظموا إلى جانب فانغو أملا في الانتقام من قاتل قائدهم، لكن سكستيوس استطاع هزم فانغو ودخل زاما التي تجمع فيها الفرسان النوميد بعد مقاومة عنيفة[9]، و أصبح الحاكم الأوحد لإفريقيا الجديدة، ومن جهته تمكن بوخوس من استرجاع أراضيه التي انتزعها منه أرابيون، وعادت الحدود الشرقية لمملكته إلى لمساغا[10].

---

[1] Gsell S., *H.A.A.N*, T., VIII, p192.
[2] Mercier E., Op – cit, p 86.
[3] عقون م-ع، المرجع السابق، ص 43.
[4] Mercier E., Op – cit, p 86.
[5] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 69.
[6] Gsell S., Op - cit , p196.
[7] Appien A., IV, 54.
[8] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 70.
[9] Gsell S., Op - cit, p193.
[10] Ibid, p 194.

وبنهاية أرابيون سنة 40 ق،م سقطت شخصية نوميدية أخرى ضحية فشل المناورات السياسية التي خاضها ملوك نوميديا في سبيل الخلاص من التوسع الروماني، واتضح أن عملية اغتيال أرابيون لم تكن بسبب شخصيته المشتبه فيها، وإنما كانت اغتيال للحركة الوطنية التي حمل لواءها ذلك النوميدي الجريء.

نستنتج أن نهاية المملكة النوميدية أمام حملة قيصر، كانت ضحية المؤامرة التي رضى الملك بوخوس الثاني لنفسه أن يشترك فيها وأن يضع نفسه في درجة القرصان سيتيوس، ليقوم بذلك الدور المهين الذي مهد الطريق لاستئناف التوسع الروماني في المنطقة.

يرى بعض المؤرخون أن مشاركة يوبا في الحرب الأهلية الثانية إلى جانب أنصار بومبي سعيا منه لاسترجاع مقاطعة افريقيا التي احتلها الرومان، و قيامه بنقل عاصمة مملكته من سيرتا إلى زاما التي أصبحت عاصمة ملكية حتى تكون قيادة المملكة قريبة من ميدان الأحداث، وليحاول من هناك تحرير قرطاج و إقليمها لتكون " مملكة موحدة"، وكان ذلك حلما منذ عهد مسينيسا، غير أن تقاطع الوقائع التاريخية ما بين هذا الطموح ومشروع يوليوس قيصر التوسعي في المنطقة حال دون ذلك، لأن الطموح يطغى عليه الأمل والتمني، أما المشروع فهو أدوات ووسائل تنفيذ، وبذلك تحقق المشروع لدى الطرف الروماني وخاب الأمل والطموح لدى الطرف النوميدي، فلم ينجح يوبا الأول في خطته رغم جهوده، خاصة الوعد الذي قدمه أنصار بومبي للتنازل له عن الأراضي الرومانية في إفريقيا، وبالتالي تحقيق حلم مسينيسا في جعل قرطاج عاصمة للمملكة النوميدية.

لقد وقع ما كان يخشاه النوميديون، ذلك أنه حالما انتصر قيصر في إفريقيا أعلن عن إلغاء مملكة نوميديا من خريطة المغرب السياسية، و إقامة مقاطعة رومانية لى أراضيها، وبذلك ألحق الرومان مصير نوميديا بمصير قرطاجة التي قد مرّ على ذكراها مائة سنة، واستعاض الرومان عن دور نوميديا في حزام الأمن بمملكة موريطانيا الواقعة خلفها، وهي مملكة برهن ملوكها عن وفائهم لروما بالقدر الذي لا يخشى معه على مصلحة الرومان في المنطقة الغربية، وبذلك وفّى قيصر بوعده لمبدأ حزبه الشعبي التوسعي، لكن انتصاره نفذ بطريقة فيها حكمة وتبصر شديدان، حيث منح الجزء الشمالي لمرتزقة

سيتيوس، لحماية ظهر الولاية الجديدة من خطر المقاومة النوميدية، التي لا يمكن الاطمئنان إلى سكانها، بدليل أن هؤلاء ما لبثوا أن هبوا ملبين نداء الثورة التي أطلقها أرابيون، حيث تمكن من قتل سيتيوس سنة 44 ق،م و ابعاد بوخوس الثاني من الأراضي التي استولى عليها بعد ثابسوس، وأعاد بذلك الحياة مؤقتا لنوميديا، إلا أنه وقع هو الآخر في فخ التحالف مع طرف روماني ضد آخر، فكانت نهايته مأساوية من طرف حاكم المقاطعة الرومانية سنة 40 ق،م، بعد أربع سنوات من الحكم.

وحاصل القول أن انهزام يوبا الأول في معركة ثابسوس 46 ق،م مثلت نهاية السيادة النوميدية، وتحققت أهداف قيصر التوسعية، وكأن قيصر يقول شنيتي يحتفل بالذكرى المئوية لاحتلالها، بضم أراضي جديدة، كانت سابقا أراضي لدول حليفة، كثيرا ما وقفت الأرستقراطية حجر عثرة في وجه الاتجاه الشعبي، فكانت نهاية لمرحلة طويلة من التدخل الروماني في شؤون المملكة، ابتدأت بعد الانتصار في الحرب البونية الثانية وانتهت في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد.

الفصل الرابع: **دراسة تحليلية لطبيعة العلاقات النوميدية-الرومانية (203-46 ق،م).**

المبحث الأول: العلاقات السياسية .

المبحث الثاني: العلاقات العسكرية .

المبحث الثالث: العلاقات الاقتصادية .

الفصل الرابع: دراسة تحليلية لطبيعة العلاقات النوميدية– الرومانية.

رأينا مما سبق، مجمل العلاقات التي ارتبطت بها الممالك النوميدية بكل من قرطاجة وروما في بداية ظهورها، ثم بعد أن توحدت في مملكة واحدة، حيث شهدت استقرار وتنظيما داخليا بارزا، ومكانة هامة في حوض المتوسط، فإذا كان البعض أرجع ذلك إلى شخصية الملوك المحليين وكفاءتهم، في حين أرجعها البعض الآخر إلى دور روما، وفَضْلها الكبير في تسيير شؤون المملكة الداخلية، التي لا تخرج عن السيطرة والتدخل الروماني، وهؤلاء انطلقوا من عدة أحداث يدعون أن لروما دَخْل فيها، وأصدروا أحكاما عامة على مدى استقلالية المملكة النوميدية عن الجمهورية الرومانية من تبعيتها، فما هي هذه الأحداث ؟، وما مدى تقبلها ؟.

أولا: طبيعة العلاقات السياسية: لفهم السياسة الداخلية والخارجية النوميدية القائمة مع روما، ينبغي علينا التطرق إلى السياسة المعتمدة من طرف روما في المنطقة، وذلك لإدراك موقف النوميديون منهم، وسياستهم تجاه الجمهورية الرومانية.

لقد طَبَع العلاقة السياسية الخارجية للمملكة النوميدية مع الجمهورية الرومانية صِراع سياسي كبير، وهذا نظرا للمصالح المتعارضة والأهداف المرسومة من كل طرف، كما ميزت هذه العلاقات فترات متباينة حافلة بالأحداث منذ بداية العلاقات إلى أن أُحْتلت المملكة وأصبحت تابعة لروما.

بَيَّنَت لنا الفترة التاريخية التي برزت فيها الممالك الوطنية النوميدية، أنها كانت فترة صعبة جدا، والتي شهدت نشوب صراع طويل بين أقوى الدول في الحوض المتوسط في تلك الآونة، وهي قرطاجة و روما من أجل بسط النفوذ والحفاظ على مصالحهما، هذا الذي لم يُبْقِ الممالك النوميدية بعيدة عنه والتي كانت بأمس الحاجة إلى الاستقرار السياسي والأمني لتكوين هياكلها وتقوية سلطتها، ولقد كان التودد القرطاجي الروماني من أجل عقد معاهدات التحالف والصداقة فرصة عَمِد الملوك المحليين على استغلالها من أجل تحقيق طموحاتهم، معتمدين على سياسة خارجية كانت لها ثمارها على المدى القريب، بحيث استطاعوا أن يفرضوا وجودهم ومكانتهم في مسرح الأحداث، وهذا ما استخلصناه من

خلال مختلف البعثات التي اسْتقبلت في مملكة نوميديا، وكذا المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمت بين القادة المحليين و قادة روما.

بداية العلاقات النوميدية الرومانية تعود إلى فترة الصراع الروماني – القرطاجي، في هذا الصراع حاول من خلاله الطرفين كسب الحلف النوميدي إلى جانبه، و كذلك استغلت روما الخلاف الموجود بين الممالك النوميدية وقرطاجة، فقد ذكرت المصادر سيفاكس سنة 219 ق،م كحليف الملك حنبعل[1]، وأن جيوشه حاربت إلى جانب القوات القرطاجية في إسبانيا، ولسبب لم يذكره تيت ليف ساءت العلاقة بينهمـــا[2]، وأرجعه فنطر لمطالب إقليمية تابعـة لسيفاكس[3]، فلم تدع روما هذه الفرصة تمر دون استغلالها، حيث أن سكيبيو تقرب من ملك نوميديا الغربية، أما غايا ملك نوميديا الشرقية، فقد استغل الظرف للتقرب من قرطاجة، وتجسيد سياسة مُوَحدة[4]، وهنا بدأ يظهر مسينيسا كقائد للفرسان النوميد إلى جانب القرطاجيين في إسبانيا[5].

نستشف من المصادر الكتابية القديمة بأن السياسة الخارجية للممالك النوميدية مع روما كانت حافلة بين الملوك الأفارقة والقادة الرومان، وكذلك السفارات المتبادلة بين المحليين ومجلس الشيوخ الروماني والتي تَنْصب في مجملها حول ملفات التحالف والصداقة المتبادلة.

وإن صح التعبير اتخذ الملوك المغاربة مواقف متباينة مع روما وهذا تبعا للأوضاع التي سادت في بلاد المغرب القديم بصفة خاصة والحوض المتوسط بصفة عامة مراعين بذلك مصالح ممالكهم.

كملاحظة أولية، نجد مساهمة القرطاجيين والرومان في إذكاء النزاعات الإقليمية والخلافات بين النوميديتين الشرقية والغربية، والتي نشبت بين خلفاء غايا، ثم مكيبسا تحت تأثيرات أجنية، خدمة لأهدافها في المنطقة، فكان من مظاهر النجاح التي سجلتها السياسة الرومانية لدى الملك سيفاكس، لكن معظم المصادر تؤكد أن سيفاكس انظم إلى الطرف الروماني بنوع من التحفظ، من خلال ما

[1] Polybe, XVI, 2, 3-6.
[2] Tite live , XXI, 23.3.
[3] Decret F., Fantar M., op - cit, p 89.

[4] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 115.
[5] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 23.

ذكره تيت ليف أن سيفاكس بعث سفارة إلى روما أكد فيها أنه :" ليس هناك عدو دائم لقرطاجة، ولا حليف أكيد لروما "[1]، ويوجد ما يؤكد هذه المساعي، من خلال اجتماع سيغا سنة 206 ق،م، حيث برز فيه سيفاكس- حسب كامبس- كوسيط سَلاَم[2]، وأرجع بوليب ذلك إلى إدراك سيفاكس لمدي الضعف الذي وصلت إليه قرطاجة من جهة، وقوة روما من جهة ثانية[3].

لكن تطورات كثيرة حدثت في الممالك النوميدية أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، منها وفاة غايا سنة 206 ق،م، وخلفيات تولي العرش النوميدي الشرقي بعد وفاته، خاصة وتدخل كل من سيفاكس وقرطاجة في ذلك، دون أن ننسى قضية سوفونيزبة التي منحها بعض المؤرخون نصيب وافر من الاهتمام في الخلاف بين المملكتين، وجعلت منه قرطاجة عملا سياسيا أكثر منه عاطفي[4]، وهذا ما يؤكده كل من أبيان[5] وديون كاسيوس[6]، لكن يوجد ما يفند ذلك من خلال أن مسينيسا عقد اتفاقا سريا مع جوليوس سيلانوس قبل سنة 205 ق،م، وفيه وعد الأول بالمحالفة والثاني بالعون في استرجاع الملك[7].

أما ما ذكره ديون كاسيوس في مساعدة صدربعل لسفاكس في الاستيلاء على نوميديا الشرقية بعد وفاة غايا[8]، يفنده أيضا تيت ليف، باعتبار هذه السيطرة جاءت بعد وقت متأخر من وفاة غايا[9]، ويرجع ذلك هذا التحالف إلى رغبة مسينيسا لرد الجميل[10]، لما أسماه حارش بالمبادرة الطيبة التي قام بها سكيبيو عند إطلاق سراح مسيوا (Massiva)[11]، أما فنطر فقد أرجع انضمام مسينيسا للحلف الروماني كان بعد انتصارات سكيبيو في إسبانيا، وهي التي سقطت فيها المدينة

---

[1] Tite live, XXVII, 17.7-8.

[2] كامبس غبريال، من ضفاف البحر الأبيض المتوسط الى أطراف المتوسط...، ص 20 .

[3] Polybe, XIV, 1.9 ; XXX, 3.5.

[4] Berthier A., *La Numidie, Rome et le Maghreb*, pp 34-35.

[5] Appien, Lib 37, Lib 10.

[6] Dion Cassius, Histoire Romaine, IX, 11.

[7] فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 86.

[8] Dion Cassius, IX, 11.

[9] Tite live, XXVIII, 16. 17.

[10] Tite live, XXVIII, 19.

[11] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي ..، ص 16.

القرطاجية الجديدة "قرطاجنة" عام 209 ق،م، حيث أراد مغادرة صفوف كتبت لها الهزيمة –قرطاجة– لأنها تنكرت لحقوق الصداقة و الشرعية[1].

وبذلك وجد مسينيسا نفسه مُجبرا أن يختار شرًّا كان قائما حين ذاك وهو قرطاجة، وإما أن يختار شرًّا محتملا وهو روما، فكانت الأحداث التي تلت استخلاف غايا، والتي كان لقرطاجة وسيفاكس يدا فيها، خاصة وقد تبين له بأن قرطاجة تسعى إلى الحيلولة دون وصوله إلى العرش، واعتبر ذلك تدخلا في شؤون المملكة، فضلا عن كونه يعد تنكرا لدوره العسكري في إسبانيا.

كل هذه المعطيات أدت إلى تغيير مسينيسا لسياسته الخارجية تجاه قرطاجة، وأكدت له ما دار بينه وبين القائد الروماني[2]، فانظم إليه عندما نزل بشمال إفريقيا، فكانت للمساعدة الرومانية دور كبير في التخلص من سيفاكس وقرطاجة، وفي فترة زمنية قصيرة استطاع أن يظفر بما كان يريد، من خلال السيطرة على سيرتا، التي جعلها مقرا له، وبذلك أصبح يمتلك مملكة قوية واسعة الأرجاء، وبدأ يتطلع لأن يكون قوة أخرى منافسة لقرطاجة وروما، لكن من جهة يرى البعض أنه فتح المجال واسعا أمام روما لتضع أقدامها في بلاد المغرب، فلولا مساعدة مسينيسا لما انتصرت روما، ولتغير تاريخ المنطقة[3]، أما قستنسكي فيقر بأن الحرب البونية الثانية بَيَّنت أن لمسينيسا دبلوماسية ممتازة، وضع القرطاجيين والرومان أمام الأمر الواقع، واعترفوا بمكانته وسلطته[4].

لكن هذا النصر الذي حققه مسينيسا سواء على سيفاكس أو على قرطاجة كثيرا ما أرجعته معظم المصادر والمراجع إلى روما، أن مسينيسا مَدِّين لها بهذا الإنجاز، بل أن نوميديا ملك لروما وللشعب الروماني، وقد نقلنا ما ذكرته بعض المصادر في هذا المجال.

ففي خطاب نقله لنا تيت ليف ألقاه أومين أمام مجلس الشيوخ جاء فيه ما يلي:" إن مسينيسا قبل أن يكون حليفا لكم كان عدوكم، إنه عندما التجأ إلى معسكركم لم يصحب معه بشيء تابع لمملكة قائمة، ولكنه أقبل عليكم كرجل حكم عليه بالنفي والإبعاد ... فلم يكفكم أنه

---

[1] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص – ص 49-50.

[2] Tite live , XXVIII, 35.

[3] بشاري محمد، المرجع السابق، ص 50.

[4] Gostynski T., *L'Afrique du nord dans L'antiquité*, p 48.

انتصب على مملكة آبائه، ولكنه أضاف إلى هذه المملكة القسم الأكثر غنى من مملكة سيفاكس، لقد جعلتم منه الملك الأكثر قوة بين ملوك إفريقيا"[1]، فكلمة "جعلتم منه ملكا" تدل على فضل روما على مسينيسا، وفي موضع آخر استدل تيت ليف بما قاله مسغبا ابن مسينيسا بأن والده مدين للشعب الروماني، ولا يحق له قبول التعويضات، وصرح بتواضع أنه كان يتصرف في مملكة تبقي روما هي المالكة الحقيقية لها[2].

أما ساليست فإن إشارته كانت بعيدة نوعا ما عن فترة مسينيسا، ولكن يمكن تطبيقها على نظرة روما لمملكة نوميديا، حيث ذكر على لسان أذربعل بأنه لا يملك سوى وكالة تسيير المملكة النوميدية، وأن السلطة الفعلية والشرعية في قيادتها تعود لروما[3]، وبذلك فنوميديا لم تكن مملكة سوى بالمجاملة، وأن وجودها كان وهميا، وأن اسمها مدين للشعب الروماني الذي دفعت به الضرورة إلى تكليف شيخ قبيلة بتسييرها باسمه، فداعبت مسينيسا بلقب ملك[4]، ونفس الوصف نجده عند قزال الذي لا نستبعد أن يكون متأثرا بما كتبته المصادر القديمة، حيث نعت مسينيسا بالتابع المعترف، وأنه مدين لروما، فنصبته ملكا[5]، و كأنه لم يكن من قبل، ونفس العبارة نجدها عند فنطر الذي أشار إلى أن سكيبيو منح لقب الملك لمسينيسا، وأن هذا الأخير أرسل وفدا إلى مجلس الشيوخ يطلبون تزكيته حتى يطمئن على عرشه، ويسترجع أراضي أبيه، فأرسل سكيبيو ثُلَةً من أعوانه كي يساعدوا الملك على توطيد مكانته[6]، وفسر ذلك قزال بأن سكيبيو أرسل تلك القوات ليشعر مسينيسا بدينه إزاء روما، ولم تعامله كحليف للرومان، أنه أصبح يعتقد أن لا سبيل لوجوده إن لم ترضى به روما ملكا[7].

لكن إلى أي مدى نتقبل ذلك ؟، فالعبارة الواردة عند تيت ليف" جعلتم منه ملكا" وردت عند بوليب "اعترفتم به ملكا"[8]، ذلك أن تيت ليف لا يفرق بين مملكة نوميديا الشرقية التي

---

[1] Tite live, XXXVII, 53, 22.
[2] Ibid, XLV,13 .
[3] Salluste, XVI.
[4] شنيتي محمد البشير،قضية السيادة النوميدية...، ص 35.
[5] Gsell S., H.A.A.N, T., III, p 255.
[6] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص – ص 75.
[7] Gsell S., op - cit, p 160.
[8] شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص 37.

استرجعها مسينيسا من أعدائه وبين نوميديا الغربية التي ضمها على حكمه[1]، أما أنها -روما- منحته وكالة تسيير نوميديا فلماذا تدخلت فيما بعد، عندما رأت أن توسعات مسينيسا تشكل خطرا على مصالحها، فحسب حارش فقد أرادت أن تضع حدا لقوة مسينيسا المتنامية، لا القضاء على قرطاجة المنهارة[2].

وبالعودة إلى المصادر القديمة، فنجد أن أبيان وبوليب يذكران أن مسينيسا تربطه علاقة تحالف وصداقة، ولا مجال للتبعية فيها، وأنه -حسب بوليب- على غرار معاصريه المقربين للجمهورية الرومانية، و كان ملك حر، ولكنه صديق للشعب الروماني[3].

نلاحظ أن ما ذكره تيت ليف وساليست يَرجِع إلى فكرة انطلقا منها مفادها أن البلاد التي هُزم فيها الأعداء تدخل ضمن أملاك الشعب الروماني، سواء مارس سلطته عليها بصفة فعلية مباشرة أو اكتفى به نظريا عن طريق توكيل أو تعيين أحد الأهالي على هذه الأراضي، فعندما انهزم سيفاكس في معركة سيرتا سنة 203 ق،م أصبحت هذه الأراضي ملك للشعب الروماني، لكنها عينت على أراضيها مسينيسا، وعليه يحق لها استرجاع العرش الإفريقي أو إعطائه لمن تريد[4]، وانطلاقا من هذه الفكرة، وخاصة في إطار الصراع بين طبقة العامة والنبلاء، التي كانت نقطة خلاف بينهما حول انتفاع الشعب الروماني بأرض المهزومين، فإذا كان النبلاء يفضلون بقاء هذه الأراضي في يد مسينيسا في صفة حليف، فإن العامة يرون ضرورة إلحاقها بأراضي روما[5].

وحسب بعض المصادر الرومانية فإن مسينيسا لم يلعب دورا كبيرا في القضاء على سيفاكس وعلى قرطاجة، فاستحق بذلك عطاء محدودا، لا يتعدى حكم المملكة بصفة وكيل روماني، لكن بوليب يفند ذلك و يؤكد دور مسينيسا في هذه الانتصارات، التي لم يلعب الجنود الرومان دورا فيها،

1 شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص 37.

2 حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 31.

3 نفسه، ص 38.

4 نفسه، ص ص 36-38.

5 أيوب، إبراهيم، المرجع السابق، ص 184.

وفي موضع آخر يضيف بوليب أن " الماسيل وضعوا بين يدي مسينيسا مملكة آبائه، و هم سعداء بأنه سيكون ذلك الملك المرتقب منذ أمد بعيد "[1].

نلاحظ مما سبق، أن فكرة العطاء التي روج لها كل من تيت ليف وساليست، وأنه يحكم المملكة بصفة وكيل روماني، نتيجة العمل النسبي والمحدود الذي قام به، ما هو إلا نتيجة حتمية لشعار قديم مفاده حق الشعب الروماني في الانتفاع بأراضي المهزومين، وقد تم تأكيد هذه الفكرة بعد وصول قيصر إلى حكم روما، وتعيين ساليست بصفة بروقنصل على إفريقيا الجديدة سنة 46 ق،م، وبالمقابل ألا يمكن أن نفصل بين صفة التابع والحليف، وهذا ما أكده بوليب في ما ذكرته سابقا، فبذلك تبقى إشارة كل من تيت ليف وساليست تفتقر لسند تاريخي دقيق.

النقطة الأخرى التي أثارتها بعض المصادر والمراجع في فترة حكم مسينيسا، هي توسعاته ضد قرطاجة بداية من سنة 201 ق،م، فكيف كان موقف روما منها ؟، لقد تضمنت معاهدة زاما 201ق،م حق مسينيسا استرجاع ما يراه ملكا لأسلافه[2]، و بموجبها حقق انتصارات كبيرة على قرطاجة، كثيرا ما تغاضت روما الطرف عن مسينيسا، وقد أرجع حارش ذلك إلى المساعدات التي قدمها لروما في حروبهم ضد مقدونيا (171-186 ق،م)[3]، وأرجعها البعض إلى هدف روما في إضعاف قرطاجة عن طريق مسينيسا دون القضاء عليها، وبالتالي صد الطريق أمام مسينيسا للاستفادة من أراضي قرطاجة، والتي كان يريد السيطرة عليها لجعلها عاصمة للمملكة النوميدية، كما يفهم من أبيان أن روما تغاضت عن الصراع بين مسينيسا وقرطاجة، ذلك أن هذا الصراع كان يخدم المصالح الرومانية بالدرجة الأولى، ومن الأصح أن تُراعَى مصلحة الشعب الروماني، وبالتالي أن يستمر النزاع بين الطرفين[4]، ورأي ثالث يرجع ذلك إلى دور غلوسة الذي أرسله مسينيسا سنة 172 ق،م

---

1 Polybe, XV, 5.13.

2 Gsell S., *H.A.A.N*, T.,III, p200.

3 حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص 26.

4 Appien, VIII, 9.61.

لشرح الموقف لدى روما، فحسب تيت ليف فقد عرف كيف يحذر الرومان من سوء نية القرطاجيين[1].

وفي باقي مسيرته الطويلة، احتفظ الملك مسينيسا بصداقته مع روما، وهذا ما تدل عليه العديد من البعثات المتبادلة، والتي يسودها حسن الاستقبال من الطرفين، إضافة إلى المساعدات التي قدمها العاهل في مختلف المجالات، فكان بذلك حليفا لا يستهان به لدى الرومان.

لكن بالمقابل نجد أن روما كانت شديدة الحذر من العاهل النوميدي، وذلك عندما أحست بنوع من الاستقلالية والقوة لدى مسينيسا، فلم تكن لتسمح له بأن يهدد مصالحها في إفريقيا، ونستنتج ذلك عندما أرسلت لجنة تحقيق بعد شكوى قرطاجة بقيادة "كاتون" الذي أشار بضرورة تهديم قرطاجة، لأنه من مصلحة روما أن تبقي نوميديا دولة ثانوية[2]، وهذا ما أكده كايكيليوس متيلوس الذي ألقى خطابا على مجلس الشيوخ دعى فيه إلى عدم المغالاة في تقوية مسينيسا، والأفضل –يقول- أن نراعي مصلحة الشعب الروماني[3]، ومصلحتهم تكمن في وضع حد لطموح مسينيسا، ومنع قيام دولة إفريقية قوية، وهذه الدولة القوية ستعرقل السياسة الرومانية الرامية إلى بسط نفوذها في الحوض الغربي للمتوسط[4]، فاتخذت من ذريعة خرق بنود معاهدة زاما من قبل قرطاجة لوضع حد لقوة مسينيسا المتنامية، وأن قرطاجة حسب قزال أصبحت غير قادرة على الدفاع عن نفسها[5].

وعندما قررت روما ذلك، أبدى مسينيسا امتعاضه لذلك، ذلك أن جهوده لن تكون لصالحه، وأشار قزال في هذا الصدد إلى أن روما عندما طلبت المساعدة من مسينيسا في بداية الحرب البونية الثانية 149 ق،م رد ببرودة بأنه سيقدمها عندما تكون روما بحاجة لها[6]، فأدرك في آخر حياته لخبث الرومان يقول بشاري، واستغلالهم له، لتحقيق مآربهم[7]، لكن كيف نفسر قيامه

[1] Tite live, XLIII,3 .
[2] Gostynski T., *L'Afrique du nord dans L'antiquité*, p53.
[3] Appien, VIII, 9.61.
[4] حارش محمد الهادي، المرجع السابق ، ص 29.
[5] Gsell S., H.A.A.N, T.,III, pp 329-330.
[6] Ibid, p 354.
[7] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 50.

بتفويض مهمة تقسيم السلطة بين أبنائه إلى سكيبيو الافريقي، والتي درج معظم المؤرخين على اعتبارها أقصى مظاهر التبعية النوميدية لروما.

إن اختلاف الرأي بين المؤرخين القدامى حول موضوع استقلالية المملكة أو تبعيتها لروما ترك الباب مفتوحا لاجتهادات المؤرخين المحدثين، فحاول بعضهم دراسة هذه الاشكالية على ضوء النصوص القديمة واستقراء الأحداث المتعلقة بالعلاقات النوميدية الرومانية، ومنها موقف الرومان من انتقال العرش من ملك هالك إلى خلفه، وهل كان لروما دخل في ترتيب أمور الخلافة عند وفاة الملك أم أنها كانت تكتفي بالاعتراف بالوريث مهما كانت مواصفاته ؟.

بالعودة إلى المصادر القديمة يشير أبيان إلى أن سكيبيو هو الذي قسم السلطة بين أبناء مسينيسا الثلاث(1)، ومنه نقلت معظم المراجع ذلك، فقد ذكر قزال أن مسينيسا أراد استشارة سكيبيو، لأنه هو من نصبه ملكا على مملكته، فهو يشعر بخطأ إذا خرج عن وصايتها، و بذلك ختم حياته بنوع من الاعتراف بأن مصير نوميديا متوقف عن ارادة روما(2)، فهو اعتراف بالعجز والخضوع حسب كامبس(3)، فهو لم يتصرف كحاكم سَيِّد بل تصرف كما لو أنه مجرد حاكم مفوض من روما، وتساءل عن عظمة مسينيسا، هل تَكْمُنُ في خضوعه العبودي لإرادة روما، أم أنه كان يدرك أن سلطته ومملكته كانت ضعيفة ومن ثم ترك مصير سلالته في يد سكيبيو(4)، وأرجعها لاكروا إلى مبدأ تقسيم السلطات للحفاظ على امتيازات الرومان، فخطط لها سكيبيو، ونفذها مسينيسا بإتقان(5).

ومن جهتها المراجع المحلية لم تخرج عن هذا السياق فقد أرجع شنيتي ذلك إلى سكوت المصادر خاصة المحايدة منها، ولكنه لا يستبعد أن يكون مسينيسا يرى أنه مدين للرومان بما أنهم توجوه ملكا رسميا، بذلك أراد أن تُتَوِجِ روما كذلك أبنائه كما فعلت معه سابقا، ويَشْعر الملوك أن قضايا المملكة تعود لروما، باعتبارهم أصحاب النفوذ فيها(6)، فسكيبيو ابتدع طريقة جديدة للحكم

---

1 Appien, Lib 106.
2 Gsell S., H.A.A.N, T.,III, p300.
3 Camps G., Massinissa..., p 279.
4 Ibid.
5 Lacroix M.L., op-cit, p 25.

6 شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 30-31.

حسب بشاري، من خلالها تسعى روما لخلق النزاعات بين الإخوة الملوك، واستغلال ذلك للتدخل في شؤون المملكة[1].

مما سبق، نستنج ما للرومان من تدخل في شؤون نوميديا، وإن دَلَّت على شيء انما تدُّل على مستوى التبعية التي وصلت اليها نوميديا، لكن بالمقابل توجد كثير من الإشارات التي تفند ذلك، فما أسماه قزال و لاكروا بأنها طريقة حكم جديدة جاء بها سكيبيو، فإن حارش وصفها بإصلاح إداري قام به مسينيسا[2]، ونجد ما يُدعِّم ذلك عند شارل بيكار الذي أعاد ذلك إلى تقليد نوميدي قديم[3]، فقد حكم مكثر والتبوروس وسيرتا ثلاثة أشفاط، وهذا ما تؤكده النقوش من خلال نقيشة حتحور، وشاهد قبر كنتوس روقاتوس، فضلا عن ذلك نجد أن الكونفدرالية السرتية فيما بعد حكمها ثلاثة ولاة[4].

بالإضافة إلى ما سبق ذكره فقد وضع مسينيسا في أصبع ابنة الأكبر مكيبسا خاتم الملك، إشارة منه إلى أولويته في الخلافة شرعا، وهو يرمز إلى السلطة والقيادة[5]، لكنه فضل أن يبقى الإعلان في ذلك إلى حين حضور ممثل روما ليشهد الأمر ويعبر عن اعتراف مجلس الشيوخ الروماني بذلك[6]، هذا ولا نستبعد أن مسينيسا قد أوصى لأبنائه الثلاثة بتقاسم مهام المملكة كل حسب كفاءته واختصاصه، وهي نفس المهام التي كانوا يشغلونها في حياة مسينيسا، حيث استلم أكبرهم مكيبسا الذي تحصل على خاتم الملك الأمور والشؤون السياسية والإدارية، وقاد غلوسة الجيش واستمر في تلك المهام، بينما يقوم مستنبعل بالأمور ذات الطابع الاجتماعي والقضائي والمناسبة لتكوينه[7]، وربما تولى جباية الضرائب[8].

---

1 بشاري محمد، المرجع السابق، ص 51.

2 حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي....، ص ص 105-106 .

3 Picard G.Ch., *La Civilisation de l'Afrique romaine*..., pp 39 – 40.

4 حارش محمد الهادي، ساليستيوس وحرب يوغرطة...، ص ص 56-57.

5 Gsell S., T.,III, p 365.

6 شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص 40.

7 نفسه.

8 Appien, Lib 106.

وهكذا فسواء أوصاهم أبوهم بالاحتفاظ بمهامهم مع طاعة كبيرهم المستلم لخاتم الملك أم أنه أبلغ وصيته لممثل حلفائه الرومان لأمر في نفس مسينيسا، لم يحدث كما سبق أن أشرت أي تغيير في شؤون نوميديا[1]، ثم أن مكيبسا الذي وصفه أبيان بأنه مسالم[2]، واعتبره قزال ضعيف الشخصية[3]، وبالتالي أراد مسينيسا أن يجعل له سندا عن طريق أخويه، لكن مكيبسا أثبت جدارة في فترة حكمه، ثم ما لبث أن بقي ملك وحيدا بعد وفاة أخويه و لم تتدخل روما لتضيف له شخص كشريك له في قيادة المملكة، مما يزكي القول باستقلاليتها، وكَوْن القيادة العليا فيها كانت لمكيبسا ولم يَكُن أخواه سوى مساعدين له[4].

ويوجد ما يدعم ما ذكرناه في المصادر الأثرية، فمسكوكات المملكة النوميدية، لا نعثر على قطع نقدية تنسب للملكين غلوسة، مستنبعل، عكس مكيبسا الذي عثر له على قطع عديدة، وهذا ما يدل على أنه تمتع بلقب الملك من دون أخويه، فضلا عن أن النقود المنسوبة للمدن النوميدية والتي تعود لتلك الفترة لا تحمل إشارات التبعية والارتباط بروما [5].

وفيه رأي آخر مخالف لما قلناه، وهو أن سبب قدوم سكيبيو إلى نوميديا، كان بهدف طلب العون العسكري منها، فاستقرار الأمور السياسية في نوميديا، يعني ضمان المساعدة العسكرية لروما في القضاء على قرطاجة[6].

الواقع أنه عندما حضر مسنيسا الموت أرسل في طلب القنصل الروماني سكيبيو ايميليانوس، وكان آنذاك يحاصر قرطاجة 148 ق،م، ولكن الموت عاجله قبل وصوله هذا الممثل الروماني، فترك مقاليد المملكة موزعة في الظاهر بين ثلاثة من أكبر أبنائه، ولما وصل هذا القنصل حضر مراسيم توزيع

---

1 شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص 40.

2 Appien, Lib 105. Lib106.

3 Gsell S., *H.A.A.N*, T. V, p113.

4 شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص 40.

5 نفســه.

6 فرحاتي، فتيحة، المرجع السابق، ص 143.

المهام بينهم، فَفُهِم من ذلك أنه وَزَّع السلطة بينهم مما يؤكد مقولة ساليست وتيت ليف بتبعية المملكة لروما.

وبوفاة غلوسة ومستنبعل، انفرد مكيبسا بالسلطة وسار على نهج أبيه، علاقة تحالف وتعاون مع الرومان، كما تحولت سيرتا إلى قبلة للجاليات الايطالية سواء كانوا تجار أو فلاسفة أو أدباء، كما قدم مكيبسا عدة مساعدات عسكرية لروما في حروبها في ايبيريا، ومنها حرب النومانس سنة 134ق،م و التي برز فيها القائد النوميدي يوغرطة بصورة بارزة[1].

إذا كانت فترة حكم مكيبسا اعتبرها البعض بأنها أكثر عهود المملكة نفعا، إن لم تكن أكثر بريقا[2]، فإن نهاية حكمه، وبالأخص مشكلة العرش النوميدي لم تجد حلا سلميا كما كان متوقعا لها، ذلك أن الخلافات حول وراثة العرش قد تجددت في صورة أكثر خطورة، وسلكت القضية هذه المرة اتجاها وطنيا معاديا للوجود الروماني في المنطقة، مما سبب متاعب كبيرة لإخضاع نوميديا الثائرة، ويتمثل في الصراع الذي نشب بين أحفاد مسينيسا، عقب وفاة مكيبسا عام 118 ق،م.

وقبل مناقشة قضية الصراع بين الملوك الثلاث حول العرش النوميدي، أشار ساليست إلى قضية تبني مكيبسا ليوغرطة نزولا عند رسالة سكيبيو بعد حرب النومانس 134-133 ق،م، والتي أشار فيها بأن يوغرطة جدير بك وبجده مسينيسا[3]، وهذا يدل على أن مكيبسا خضع لضغط حلفائه الرومان حسب ساليست، وكانت هذه الرسالة ايعاز من سكيبيو بضرورة تبني يوغرطة وإشراكه في الحكم[4]، ومثلت بذلك حسب شنيتي شهادة حسن سيرة لصالح يوغرطة[5]، فهي إن دلت على شيء إنما تدل ما للرومان من سيطرة على الأوضاع السياسية في نوميديا[6]، ولم يكن التبني عن حسن نية و انما جاء نتيجة ضغط سياسي خارجي سُلِّط من طرف الرومان[7].

---

[1] حارش، محمد الهادي، دراسات في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة...، ص 243.

[2] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 155 .

[3] Salluste, IX.

[4] حارش محمد الهادي، ساليستيوس و حرب يوغرطة...، ص 55 .

[5] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 33.

[6] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص – ص 120.

[7] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 33.

لكن الأحداث التي يقدمها ساليست بها مواطن ضعف كثيرة، إذ يوحي أن مكيبسا تبنى يوغرطة نزولا عند رغبة سكيبيو، لكن دراسة تحليلية لما جاء عند ساليست يفند ما ذكره، ذلك أن سكيبيو توفي سنة 129 ق،م، و مكيبسا توفي سنة 118 ق،م[1]، وأثناء مراسيم الدفن، جرى نقاش بين الأبناء الثلاثة، اقترح فيه يوغرطة إلغاء كل التدابير والقرارات التي اتخذها مكيبسا في السنوات الخمسة السابقة، فرد هيمصال بأن أبانا تبناك منذ 3 سنوات ليسمح لك بالوصول إلى العرش[2]، معنى هذا أن تبني وقع سنة 121 ق،م، عكس ما أورده ساليست بأن التبني كان فور عودة يوغرطة من حرب النومانس 133 ق،م[3]، فقلص ساليست فترة 15 سنة إلى 3 سنوات، في حين يؤكد قزال أنه يجب الفصل بين قرارين رئيسيين هما قرار التبني وقرار تسجيله في الوصية، فالقرار الأول حسب قزال حدث سنة 133 ق،م[4]، وبالتالي لا حاجة للوصية لأن يوغرطة يمكن له الوصول إلى الحكم باعتباره أكبر العائلة الحاكمة أو عن طريق الحكم الثلاثي[5]، والقرار الثاني فحدده بسنة 121 ق،م الذي يحدد تسجيله في الوصية[6]، فبذلك نستبعد تدخل سكيبيو في قضية تبني يوغرطة، وإنما كان التبني نتيجة المرض[7].

إذا كانت قضية تبني يوغرطة قد أثارت الكثير من التساؤلات حول تدخل روما من عدمها، فإن مسألة تقسيم السلطة بعد مكيبسا لم تخرج عن هذا السياق، فهل مكيبسا هو الذي قسَّم السلطة قبل وفاته بين أبنائه حسب ما أشار إليه ساليست في وصية مكيبسا التي نقل لنا نصها، أم أن روما هي التي فصلت في القضية باعتبارها صاحبة الحق في توريث الخلافة، أم أنها اكتفت بالمصادقة على هذا التقسيم.

[1] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 124.

[2] Salluste, XI.

[3] Ibid, XI..

[4] Gsell S., *H.A.A.N*, T., VII, p141.

[5] حارش محمد الهادي، ساليستيوس وحرب يوغرطة...، ص 56 .

[6] Gsell (S), Op - cit, p141.

[7] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 56 .

بالعودة إلى نص ساليست الوارد في كتابه حرب يوغرطة يذكر بأن مكيبسا خاطب أبناءه قائلا :" إني تارك لكم عرشا قويا، إن أَحْسَنت سِياسَتكم، ضَعِيفا إن لم تُحسنوها، بالوحدة والإتقان تقوى الدول الصغيرة وبالتفرقة تَنْهار أعظم الدول "[1]، لم يُبَيِّن فيما إذا كانت روما تدخلت في ذلك أم لا، لكن نجد بعض الإشارات عند بالو دي ليسارت الذي أكد أن روما تدخلت في هذا الشأن، بحيث أرسل مجلس الشيوخ بوركيوس كاتون للفصل في هذه القضية[2]، كما أن قزال لا يستبعد أن يكون مجلس الشيوخ قد بعث في هذا الشأن لتسوية التَّركة، لكنه يشكك في ذلك من خلال أن كاتون توفي سنة 118 ق،م وهي نفس السَّنَة التي توفي فيها مكيبسا[3]، فإذا كانت روما هي صاحبة السلطة في المملكة النوميدية، فهي حسب شنيتي لا يهم أن يكون مجلس الشيوخ الروماني قد مارس اختصاصاته هذه بواسطة حاكم إفريقيا، أم أنه فعل ذلك بطريقة أو أخرى لم تحتفظ بها المصادر[4].

ومما سبق، نستنتج أن ما ذهب إليه بالو دي ليسارت لا يَقْترن إلى سند تاريخي حقيقي، خاصة وأن ساليست لم يحدد بدقة كيفية انتقال السلطة بعد مكيبسا، غير أن وصية مكيبسا فيها إشارة لتنظيم عملية استخلافه، بالإضافة إلى أن هذا النوع من الحُكْم لم يكن بالجديد على مملكة نوميديا، وربما مكيبسا مزج بين النظامين القديم والجديد.

لكن الأخطار التي تحدق بالمملكة النوميدية أكبر من محتوى وصية مكيبسا، فهي تحمل حسب حارش ارهاصات الصراع و التفرقة أكثر من إرهاصات الوحدة والتعاون[5]، ذلك أن هيمصال لقي حتفه بعد مدة قصيرة من توليه الحكم من قبل مكيبسا، فكان رد فعل أذربعل بإرسال وفد إلى روما يشكوا يوغرطة لمجلس الشيوخ، ونسب له ساليست خطاب لأذربعل يوحي إلى تبعية المملكة لمجلس الشيوخ وهي " إن نوميديا لكم reganum numidiae quad vostrum est"[6] وفي موضع آخر جاء فيه:" أوصاني أبي وهو على فراش الموت بأنني لا أملك إلا سوى وكالة تسيير المملكة

[1] Salluste, X.
[2] Pallu de lesserte, Op-cit. p5.
[3] Gsell S., *H.A.A.N*, TVII, p21.

[4] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 34.

[5] حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي...، ص 45 .

[6] Salluste, XIV.

النوميدية، وأن السلطة الشرعية، في قيادتها تعود إليكم"[1]، بالمقابل في إطار هذا الصراع بين الملوك النومديين أرسل يوغرطة وفدا إلى روما للدفاع عن نفسه أمام مجلس الشيوخ الروماني، فكيف نفسر ما قام به الملكين، هل كانا يمارسان سلطتهما بصفة ملكيين مستقلين أم وكيلين لدى روما.

لقد تصرف الملكان و كأنهما وكلاء لدى روما، وأن المملكة ما هي إلا مقاطعة رومانية[2]، فبمجرد وجود رسل في روما من قبل الملكين يعتبر اعترافا ضمنيا بهيمنة وشرعية التدخل الروماني في المنطقة يقول فنطر[3]، حتى وإن قَرَأَ البعض تصَرُف يوغرطة بأنه كسب للوقت لتدعيم وقفه[4]، وبذلك فهو لا يتضمن اعترافه بروما، لكن هذا يقودنا إلى سؤال آخر، ألا يعتبر إرسال روما للجنة التحقيق سنة 116 ق،م بقيادة أوبيميوس لتقسيم المملكة بين أذربعل ويوغرطة قمة التدخل الروماني ورمز للتبعية، ومن بعده سكاوروس، ثم مبعوث أذربعل وتوسله لمجلس الشيوخ بالتدخل بغرض حمايته من يوغرطة، فردت روما بوفد ثالث نزل بأوتيكا وتم استدعاء الملكيين أذربعل ويوغرطة للمثول أمام اللجنة الرومانية[5].

هذه الأحداث التي ميزت نوميديا، والسياسة التي سار عليها المملكين النوميديين تُبَيِّن لنا ما لروما من تأثير في المملكة، فقد تصرفا وكأنها مقاطعة رومانية وما الملكيين إلا موظفان لديها، يمارسان سلطتها بتفويض روما، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار الأهداف الحقيقية التي يسعى إليها يوغرطة، ومن المحتمل أنه يهدف إلى تدعيم و تقوية وجوده وسلطته[6]، وهذا ما تؤكده الأحداث اللاحقة، فبعد أن دخل سيرتا وقضى على أذربعل كما قام بالتنكيل بالجالية الايطالية[7]، وكان سببا في توتر العلاقات، وتحول هذه السياسة من تدخل سياسي في شؤون نوميديا إلى تدخل عسكري للقضاء على يوغرطة،

---

[1] Salluste, XIV.

[2] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 52.

[3] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 140.

[4] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 52.

[5] Salluste, XXV.

[6] بشاري محمد لحبيب ، المرجع السابق، ص 52.

[7] Salluste, XXVI.

فأرسل هذا الأخير وفد لتوضيح أعماله[1]، إلا أن روما لن ترضى إلا بتسليم المملكة و وضعها في سلطة الشعب الروماني[2]، ذلك أنه- يوغرطة- ارتكب جريمة، وأساء إلى عظمة روما وحرمة الشعب الروماني وكذلك حدود مملكة أذربعل الذي يصفه البعض بالتابع لروما، ثم حسم الأمر ضد يوغرطة[3].

وأثناء الحملة العسكرية الرومانية التي قادها بيستيا، والشبهات التي دارت حولها، واتهام بيستيا بالرضوخ لأموال يوغرطة، فتم استدعاء هذا الأخير للمثول أمام مجلس الشيوخ[4]، لكن كيف نفسر ذلك؟، ملك اعتدى على الجالية الإيطالية، قاوم الحملة الرومانية، ثم يمثل أمام مجلس الشيوخ في روما، ليس بصفة ملك –حسب قزال- وإنما اتخذ صفة رجل يرجوا الشفقة والرحمة[5].

يرى البعض أن يوغرطة كان على علم بالمشاكل السياسية التي يعاني منها المجتمع الروماني، حسب انتمائهم بين الأشراف والعوام، ولهذا قام يوغرطة حسب ما أورده شارل سيمان بإقامة علاقات مع حزب الشعب، وأدار ظهره للنبلاء الذين أبدوا عجزهم في السيطرة على حركة حزب الشعب، وعمد إلى الاستمرار في مؤامرته على مجلس الشيوخ[6]، في حين ترى فرحاتي أن قدوم يوغرطة إلى روما كان بهدف التخلص من مسيوا Massiva الذي كان يشكل حكومة في المنفى، أكثر من كونه يهدف إلى المثول أمام مجلس الشيوخ[7]، فكيف يضع نفسه تحت تصرف مجلس الشيوخ يقول حارش حيث يرتكب جريمة قتل، فعوض أن يلقى به في السجن يبعد من روما ليعود إلى نوميديا ليقود الحرب من جديد[8]، وأبدى رفضه للانصياع لإرادة روما منتهجا سبيل الاستقلال بالرأي والتخلص من الوصاية الرومانية، فشنت عليه جحافل الجيش الروماني حربا مدمرة دامت قرابة السبع سنوات(112-105 ق،م) انتهت بالقضاء عليه.

---

[1] Salluste, XXVIII.

[2] فنطر محمد، المرجع السابق، ص 162.

[3] Decret F., Fantar M., op - cit, p 172.

[4] Salluste, XXXI.

[5] Gsell S., *H.A.A.N*, T.VII, p157.

[6] Soumagne Charles, *La Numidie*…, pp 216-217.

[7] فرحاتي فتيحة ، المرجع السابق، ص 157.

[8] حارش محمد الهادي، ساليستيوس و حرب يوغرطة...، ص 61.

وبذلك اقتضت سياسة روما التي تعتمد على سياسة الاحتلال التدريجي التي أملتها ظروف روما الداخلية عدم استثمار النصر العسكري الذي أحرزه الجيش الروماني في حربه ضد يوغرطة، إذ كان متيسرا لروما أن تعلن نوميديا المهزومة إقليما رومانيا وتنصب ولاية لها فيه على نحو ما فعلت من قبل في إقليم قرطاجة عام 146 ق،م، لكن بدلا من ذلك رتبت أوضاع ما بعد الحرب بصورة ضمنت لها قوة النفوذ وزمام المبادرة بالتدخل كلما لزم الأمر، صونا لمصالحها العليا في المنطقة[1].

وهكذا أبقى الرومان على عرش المملكة قائما على جزء من ترابها، إذ تم تفتيت الوطن النوميدي وتوزيعه على الأطراف التي توسعت فيها روما والاستعداد للمحافظة على نفوذها في المنطقة، ومن تلك الأطراف نجد بوخوس ملك موريطانيا الذي أصبح منذئذ حليفا قويا لروما، ثم أمراء نوميديون وقفوا في صف الرومان، فيما يبدوا أثناء حروب يوغرطة، وسلمت روما جزءا ضئيلا من تراب نوميديا الفسيح إلى غودا وهو أخوا يوغرطة الذي وصفه المؤرخون بضعف الشخصية وقلة المواهب.

تعيين غودا على رأس نوميديا كان خدمة لمصالح روما، لأن ضعف شخصيته ستجعله يخشى روما ومن ثمة ستجعله خاضعا ومخلصا[2]، يأتمر بأوامرها[3]، ذلك أنها اعتبرت المملكة النوميدية بعد هزيمة يوغرطة ملك للشعب الروماني المنتصر، وفقدت مواصفاتها الاستقلالية ودخلت نوميديا بعد ذلك هذه الاجراءات الحاسمة عهد التبعية الصريحة وخمدت طموحاتها في التخلص من هيمنة روما المتزايدة، وتلاشت أحلام جيل يوغرطة في مقاومة المد الروماني بقوة السلاح، واكتفت الأسرة المالكة بمسايرة الوضع الجديد الناجم عن سنين الحرب اليوغرطية، وتجنب الملوك انتهاج السبل السياسية التي تُذَكِّر روما بعهد يوغرطة تفاديا منهم لتكرار التجربة الأليمة، وأفضى هذا السلوك السياسي بنوميديا إلى التأثر بمجريات الأحداث السياسية وتقلبات الوضع في روما نفسها، حيث أصبحت نوميديا في نظر الاتجاه الديمقراطي جزءا مكملا لولاية روما الافريقية لم يحن بعد وقت افتكاك زمام أمره من

[1] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر...، ص 72.

[2] Lacroix M.L., op-cit, p 40.

[3] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 68.

الأسرة النوميدية التي تشرف على تسييره، بينما كان يرى الأرستقراطيين ضرورة الاكتفاء بإبقاء المملكة النوميدية في وضعية الحليف الوفي وتجنب سياسة الاحتلال وإجراءات ضم الأراضي التي تجلب لروما متاعب هي في غنى عنها لو أحسنت استغلال وضعية حلفائها المخلصين[1].

فالمملكة النوميدية تعرضت لنماذج متنوعة من أوجه السياسة الممهدة للاحتلال، فهذه السياسة تمثل أولى خطوات الرومان نحو السيطرة على بلاد الاحلاف، ذلك أنها كانت تتأثر بما يحدث في روما من صراعات، ليظهر في شكل صدى سياسي وعسكري في نوميديا.

ومن أمثلة هذا التأثر بالصراع السياسي والعسكري الروماني أن ملوك نوميديا كانوا يجدون أنفسهم مجبرين على إعلان مواقفهم من الأطراف المتنازعة على الحكم في روما، إذ أن اتخاذ موقف حيادي كان أمرا متعذرا عليهم في تلك الظروف، خاصة وأن مصير المملكة كان مرتبطا إلى حد بعيد بمصير تلك الصراعات الحزبية الجارية في روما وولاياتها، ذلك أن الأطراف الرومانية المتنازعة على السلطة من بلاد الأحلاف كانت واضحة لدى الملوك النوميديين، ومن ثم كانوا معنيين بما سيؤول إليه ذلك الصراع، وفي هذا السياق نذكر الصراع الذي حدث بين سيلا وماريوس، حيث انضم هيرباص إلى هذا الأخير، في حين وقف هيمصال الثاني ومسينيسا الثاني لسولا، لكن النصر كان لصالح سولا، الذي قضى على هيرباص بفضل بوغود[2]، وتم إعادة هيمصال ومسينيسا الثانيين إلى الحكم، كما ضم الأول مملكة هيرباص مع اجتياح أراضي الجيتول، واستطاع هيمصال أن يحتفظ بسياسة متميزة وطيبة مع الرومان طيلة مدة حكمه وهذا ما جعل شيشرون يقر بأن هيمصال حصل على لقب الملك الحليف[3]،

وبذلك نلاحظ أن نوميديا هي التي تتحمل النتائج السلبية للصراع السياسي في روما، فضلا عن رغبة الديمقراطيين في ضم أراضي نوميديا التي أصبحت جزءا مكملا لأراضي روما الإفريقية.

[1] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر...، ص 73.

[2] Plutarque, vie de pompée, 10.12.

[3] Censorius mitulius, *sur la loi Agraire*, trad. A. Boulanger, édit. les belles lettres, paris, 1921, liv., II, 22.58.

وهناك مثال آخر يبين لنا أثر التقلبات السياسية في روما وانعكاساتها على نوميديا، ففي منتصف القرن الأول قبل الميلاد حدث انقسام سياسي بين الاتجاه الارستقراطي المحافظ Optimates الذي تزعمه بومبيوس، والاتجاه الشعبي Populates الذي حمل لوائه قيصر، وهو الانقسام الذي تحول إلى حرب مدنية، أقحمت فيها نوميديا نفسها عن طريق الملك يوبا الأول، الذي كان يدرك سياسة قيصر التوسعية التي تستهدف ضم أراضي الممالك الحليفة وفتح أبواب الاستيطان البشري في وجه الفلاحين الايطاليين و الجنود المسرحيين[1].

فإذا كان البعض صنف نشاط يوبا الأول في هذه الحرب ضمن الرفض النوميدي لكل أشكال الوجود الروماني، وهي بذلك ذات أبعاد وطنية[2]، خاصة وأن فاروس وعد يوبا بالتنازل له عن الأراضي التي تحتلها في إفريقيا[3]، وفي الوقت نفسه كان كوريو قد طالب بتجريد يوبا من مملكته وتحويلها إلى مقاطعة رومانية[4]، ثم أن ممثلي الأرستقراطية الرومانية في كل من مقاطعة إفريقيا ومملكة نوميديا كانوا يعملون على توطيد العلاقات بين أمراء نوميديا والأرستقراطية الرومانية التي ارتبطت مصالحها بالوضع السائد، ولم يكن يرقها أي تغيير في سياسة روما ببلاد المغرب، هذه الفئة كانت وراء إفشال مشروع الإخوة "غراكوس" عام 122 ق،م الذي يهدد حركة توسيع الاستيطان بالمقاطعة الإفريقية، وقد أدرك ملوك نوميديا هذه السياسة المحافظة، والتي ارتبطت معها بعلاقات متينة بالمدافعين عنها في مجلس الشيوخ الروماني[5].

فإذا كان يوبا قد اختار أهون الشرّين حسب شنيتي[6]، فإن نتيجة هذا النشاط الوطني التحرري، كان عكس توقعاته، فلم يوفق في تقديراته للجو السياسي بالمنطقة، خاصة جيرانه الغربيين،

---

[1] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 74.

[2] نفسه ، ص 61.

[3] Piganiol , Conquet Romaine..., p552

[4] نصحي ابراهيم، المرجع السابق، ص 629.

[5] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر...، ص ص 74-75 .

[6] شنيتي محمد البشير،سياسة الرومنة...، ص 61.

فقد وقف بوخوس موقفا عدائيا ليوبا وأخذ نصيبه من ذلك[1]، حيث تحصل على الجزء الغربي من مملكة نوميديا.

وبانهزام يوبا الأول في معركة ثابسوس 46 ق،م انتهت السيادة النوميدية، وتحققت أهداف قيصر التوسعية، التي مثلت تكملة لمصير قرطاجة، وكأن قيصر يقول شنيتي يحتفل بالذكرى المئوية لاحتلالها، بضم أراضي جديدة، كانت سابقا أراضي لدول حليفة، كثيرا ما وقفت الأرستقراطية حجر عثرة في وجه الاتجاه الشعبي[2]، فكانت نهاية لمرحلة طويلة من التدخل الروماني في شؤون المملكة، ابتدأت بعد الانتصار في الحرب البونية الثانية وانتهت في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، وهذا لا يعني أن الشعب النوميدي قد تقبل الوجود الروماني، بل رد بأشكال مختلفة من المقاومة والرفض، برزت في صورة مواجهة شعبية اكتسبت طابع الثورة الجزئية أو الشاملة ضد تغلغل الاستعمار الروماني كما هو الشأن التي قادها أرابيون، أو التي اشتهرت بشخصية تاكفاريناس، وغيرها من الثورات التي قامت ضد التواجد لروماني بالمنطقة.

فلم ييأس المغاربة من الانتصار، ولم تنل الهزائم من عزائمهم الوطنية وظلت روح النضال تدفعهم إلى المزيد من المحاولات وتكرار التجارب من أجل ايقاف المد الروماني في بلادهم، ولكن هذه المحاولات انتهت اليه الأحداث من تغيرات جديدة لصالح الرومان، حيث تم لهم تشتيت القوى الوطنية التي تزعمها بعض القادة.

---

[1] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر...، ص 75 .

[2] نفسه، ص 76.

ثانيا: طبيعة العلاقات العسكرية.

العلاقات العسكرية بين نوميديا وروما لا تخرج عن نطاق العلاقات السياسية، باعتبار أن القوة العسكرية من أهم الركائز للدول للحفاظ على سيادتها وصَوْن حدودها، وفرض سيادتها الخارجية للدول والقائمة على عقد معاهدات التحالف والتعاون بما يخدم مصالح كل دولة.

ظهور العلاقات العسكرية لنوميديا كانت في إطار الصراع بين أكبر قوتين في حوض المتوسط وهما قرطاجة وروما، بحيث سعى كل طرف إلى بسط نفوذه وسيطرته على المتوسط، وحفاظ كل طرف على مصالحه، ولجأ المتصارعان إلى البحث عن التحالفات وذلك لضمان الدعم والمساندة، وبالمقابل كانت تتوافق مع طموحات الملوك النوميد في تأسيس مملك قوية قائمة على ركائز متينة، تسمح لهم بأن يكون لهم دورا في حوض المتوسط[1].

لكن هذه الأوضاع التي مرت بها منطقة البحر المتوسط جعلت من طبيعة العلاقات العسكرية تتسم بالتباين من فترة إلى أخرى، وذلك تماشيا مع التطورات التي تشهدها كل فترة، والتي كانت تتحكم فيها قوة وضعف الدول المتصارعة فيما بينها، وبالأخص قرطاجة وروما، والتي جعلت من مملكة نوميديا محل استناد كبير في حوض المتوسط.

العلاقات العسكرية لنوميديا مع روما كانت نتيجة حتمية للعلاقات القرطاجية النوميدية، فقد عرفت قرطاجة فترة صراع مع غايا، وهذا نتيجة التوسع القرطاجي على حساب أراضيهم ومحاولة الاستيلاء على بعض المدن التابعة لهم[2]، إلا أن الظروف التي كانت تمر بها قرطاجة أدركت ما كانت تقوم به، وعدلت عن سياستها، فأول خطوة قامت بها التنازل لغايا عن الأراضي المتنازع عنها مقابل مناصرتها في الحرب ضد الرومان[3]، بحيث وضع جنوده وعلى رأسهم مسينيسا في خدمة قرطاجة، وكان حليفا قويا لها[4].

---

[1] Gsell S., Op - cit , T. III , p207.
[2] Tite live , IX, 17.
[3] Polybe XXIV,23 .14
[4] Appien, Lib 10. Iber.16.

لكن وفاة غايا والملابسات التي طبعت خلافة عرش نوميديا الشرقية، وما لقرطاجة من يد فيها، حيث انقلب ضدها وتحالف مع الرومان بعد أن قرروا نقل الحرب إلى إفريقيا[1]، ومن جهته سيفاكس تحالف مع القرطاجيين وقدم لهم يد المساعدة العسكرية ضد الرومان[2]، بعدما تيقن بأن الرومان هم أخطر من القرطاجيين.

فقد قدمت قرطاجة مساعدات عسكرية لسيفاكس حتى تساعده في القضاء على مسينيسا، في حين وقف هذا الأخير إلى جانب روما، وقدم لها مختلف المساعدات العسكرية والاقتصادية، وساهم مساهمة فعالة في إضعاف قرطاجة[3]، ومنح الذريعة للقادة الرومان لإعلان الحرب عليها والسيطرة عليها، مقابل دعمه ضد منافسه سيفاكس، وبذلك فتح المجال واسعا أمام روما لتضع أقدامها في بلاد المغرب، تمهيدا للسيطرة عليها كلية، إذ نرى أنه لو مساعدة مسينيسا لما انتصرت روما، ولتغير تاريخ المنطقة[4].

نستخلص من المصادر التاريخية بأن العلاقات العسكرية مع روما سادها الاختلاف والتباين والتمييز من فترة إلى أخرى، فبدايتها تميزت بالمصالح المشتركة، بحيث أن مسينيسا كان مفتاح الرومان في إفريقيا، وفيه من يرى أن الرومان كان لهم دور كبير في استرجاع مسينيسا لعرشه، والقضاء على غريمه سيفاكس.

نجد عند بوليب ما يفند ذلك، فهو يذكر أن معاهدة زاما تضمنت مصالح المملكة النوميدية كطرف ثالث في الصراع[5]، في حين يرى قزال أن روما إدعت لنفسها هذا الانتصار وهذه الفتوح وأرادت أن تؤكد أن مسينيسا مدين لها بكل شيء[6]، لكننا أشرنا فيما سبق، أن نظرة روما للأراضي التي انهزم فيها أعدائها، تعتبرها حق شرعي للشعب الروماني، فهي ترى أن الفضل في القضاء على سيفاكس يعود لقواتها، غير أن شنيتي يذكر أن انتصار مسينيسا على خصمه كان بمساعدة فصيلة من

---

[1] Tite live , XXVIII, 35.
[2] Ibid, XXIX, 35.10-11.

[3] حارش محمد الهادي، التطور السياسي... ، ص 17.
[4] بشاري محمد، المرجع السابق، ص 50.

[5] Polybe, XV.
[6] Gsell S., op - cit, T. III, p 255.

الجيش الروماني وقائدها ليليوس، وهزم حنبعل بفعالية الفرسان النوميد بقيادة مسينيسا، ذلك أنه بمجرد مشاركة رمزية لجنود رومان في تلك المعركة الفاصلة أكسبت الشعب الروماني حق الانتفاع بأرض المهزومين[1]، ولكن عندما انتصر مسينيسا كانت نوميديا مجزأة إلى شرقية وغربية، فالقسم الشرقي ملك وراثي لمسينيسا، والثاني أصبح في وضع غنيمة حرب له و لحلفائه الرومان [2].

وقد سادت فكرة أكثر تطرفا في أوساط الديمقراطيين – وساليست واحد منهم- يروج لها نواب العامة، حيث قللوا من دور مسينيسا في الحرب البونية الثانية، وأنه لم يفعل أكثر من أنه ساعد الرومان في فتوحاتهم بنوميديا الغربية، وبذل بعض الجهود في معركة زاما 202 ق،م، ومن ثمة استحق عطاء محدودا، لكن أبيان يذكر أن الجنود الرومان المصاحبين لجيش مسينيسا لم يلعبوا دورا يذكر في المعارك التي دارت ضد سيفاكس، وأن مسينيسا هو الذي تمكن من الانتصار على عدوه وأسره وأنه قرر ارساله إلى حليفه سكيبيو بمحض إرادته وليس قائد الجنود الرومان ليليوس هو الذي أجبره في ذلك[3].

كما أن تيت ليف ذكر إشارة تضمنت اعتراف مجلس الشيوخ الروماني بمملكة نوميديا جاء فيها:"أرسل السيناتو بعثة لتهنئة مسينيسا ليس فقط لكونه سيطر على مملكة آبائه ولكن لأنه وسعها بضم القسم الأكثر غنى من مملكة سيفاكس"، وبخصوص هذه الشرعية يقول شنيتي نقلا عن بوليب أن :"أهل الماسيل وضعوا بين يدي مسينيسا مملكة آبائه وهم سعداء بأنه سيكون ذلك الملك المرتقب منذ أمد بعيد"[4]، فهي إشارة عن إخلاص النوميد وثقتهم في المملك الذي سيعتليه دون اكتراث برأي روما.

وفيه ما يؤكد ذلك عند بوليب، الذي أشار أن مسينيسا ملك حر، ولكنه صديق الرومان شأنه شأن معاصريه من الملوك، كما أن معاهدة زاما تضمنت مصالح المملكة النوميدية كطرف ثالث

[1] شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص 36.
[2] نفسه، ص 37.
[3] نفسه، ص ص 38-39.
[4] Polybe, XV, 5.13.

في النزاع[1]، أما أبيان فيورد في هذا الصدد أن مسينيسا دخل الحرب البونية الثانية كملك نوميدي قوي الجانب، وأنه دخلها إلى جانب سكيبيو مخيَّرًا على رأس جيش من رعايا مملكة أجداده الماسيل، جيش متمرس على فنون وأساليب القتال التي تقتضيها الأرض الإفريقية، كما أن مسينيسا دخل الحرب بعبقرية عسكرية دون أن يهمل نصائح حليفه سكيبيو، وفي هذا السياق يدخل يشن هجومه الانفرادي على خصمه سيفاكس ودخوله مدينة سيرتا، وألقى القبض على سوفونيزبة، ثم قتلها بدل تسليمها لحليفه سكيبيو الذي جَدَّ في طلبها، وحسب أبيان فإن مسينيسا كان يهدف إلى الحصول على امبراطورية واسعة الأرجاء، وبذلك كَوَّن نوميديا المستقلة حسب تصوره وفق رغبته[2].

فهذه الإشارات تفند ما ذكره فنطر أن سكيبيو أرسل مع مسينيسا ثلة من أعوانه كي يساعدوه في توطيد مكانته بين القبائل[3]، كما نستبعد ما ذكره قزال بأن سكيبيو لم يرسل القوات الرومانية صحبة مسينيسا باعتباره حليف الرومان فحسب، بل يشعره بأنه مدين لروما وجيشها[4].

رأينا مما سبق كيف استغل مسينيسا إحدى بنود معاهدة زاما التي تحقق له استرجاع الممتلكات والحقول والمدن وجميع ما بحوزة مسينيسا أو كان تابعا لمملكة آبائه يجب إعادته إليه، فكان له ذلك بعد أن ضم مملكة سيفاكس سنة 203 ق،م، ثم استغل فرار أفتير أحد المتمردين سنة 193 ق،م فاستولى على إقليم أمبوريا، والمنطقة الممتدة من لمطة إلى طرابلس[5]، وهذا ما شجعه على استرجاع ما أسماه كامبس بالحفر الفينيقية[6]، كما افتك ما بين 174-171 ق،م حوالى 70 مدينة[7]، واستكمل السيطرة على إقليم أمبوريا[8]، ثم السهول الكبرى سنة 153 ق،م توسكا التي تشمل 50 مدينة[9].

---

[1] Polybe, XV, 18,1.

[2] شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص ص 38-39.

[3] فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص 75.

[4] Gsell S., H.A.A.N, T., III, p 160.

[5] Soumagne Ch., Op - cit, p 238.

[6] Camps G., Massinissa....., p.193.

[7] حارش محمد الهادي، التطور السياسي ...، ص 27.

[8] Tite live, XLII.

[9] Gsell S., op - cit, T.,III , p194.

لكن ما موقف روما على سياسة مسينيسا التوسعية، هل كانت لترضى إذا استولى على قرطاجة، يرى حارش أن مسينيسا استغل الدعم الذي قدمه لروما أثناء حروبهم ضد مقدونيا[1]، وسوريا، والليغوريين والسلتي ابيريين، لكن بعد قرار لجنة التحقيق التي ترأسها كاتون[2]، وكذلك خطاب كنتيوس أمام مجلس الشيوخ الذي دعى إلى عدم المغالاة في تقوية مسينيسا، والحفاظ على مصلحة الشعب الروماني[3]، خاصة عندما أحسوا باستقلالية مسينيسا أن قوته في تزايد، تدخلت روما بالقضاء على توسعات مسينيسا الذي بدأ يشكل خطرا على المصالح الرومانية في إفريقيا، عن طريق القضاء على قرطاجة، وبذلك تقضى على طموحات مسينيسا بطريقة غير مباشرة.

وبعد وفاة مسينيسا، خلفه أبناءه الثلاثة غلوسة، مستنبعل، ومكيبسا، وبعد مدة انفرد هذا الأخير بالحكم، وسار على نهج والده[4]، ويتجلى ذلك في الدعم العسكري الذي قدمه لروما في حروبها في جزيرة ايبيريا في سنوات 143-142-141 ق،م[5]، كما أرسل مساعدات عسكرية لسكيبيو في حرب النومانس بقيادة يوغرطة سنة 143 ق،م، والمتمثلة في المشاة والفرسان، واكتسبوا من خلال مشاركتهم في الحروب إلى جانب الرومان من الخبرة العسكرية التي تميزت بها الفيالق الرومانية[6].

ونستنتج مما سبق أن فترة مكيبسا قد سادها نوع من الهدوء في علاقته العسكرية مع روما نظرا لما أسماه البعض بعلاقة المصالح المتبادلة، إلى أن جاءت فترة حكم يوغرطة، والذي أراد أن يوحد مملكة نوميديا بعدما تم تجزئها، وإقامة مملكة قوية[7]، وهذا ما تعارضه روما لتخوفها من أن يهدد مصالحها الاقتصادية والسياسية في المنطقة، ونستنتج ذلك من خلال تقسيم لجنة أوبيميوس سنة 116 ق،م[8]

[1] حارش محمد الهادي، التطور السياسي ...، ص 26.

[2] Pline L'Ancien, XX, 20.74-75.

[3] Appien, VIII, 9.61.

[4] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 51.

[5] Appien A., Iber, 67. ; Gsell S., H.A.A.N, T.,V, p 137.

[6] Appien, Lber, 89. ; Salluste, VI, VIII.

[7] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 47.

[8] Carcopino J., Op – cit, p 285.

التي منحت الجزء الغربي ليوغرطة لأنه يشكل خطرا على المقاطعة الرومانية، وبالتالي لا تطمئن روما إلى مجاورته، أما أذربعل فقد منح الجزء الشرقي لأنه مسالم ولا يشكل خطرا على مصالح روما.

لم يمر وقت طويل حتى تأكدت روما خطورة يوغرطة بعد أن نَكَّل بحليفها أذربعل والجالية الإيطاليـــة[1]، ودفاع هذه الأخيرة عن المدينـــة، دفاع عن مصالحها في المنطقة، وهذا العمل شكل حسب ساليست سبب في الإعلان عن الحرب ضد يوغرطة[2]، لأنه أساء إلى روما[3]، واعتبر بروني يوغرطة نموذج للحرية الافريقية، وهو الذي حاول الوقوف في وجه السياسية الرومانية في المنطقة والتدخل في الشؤون الداخلية لنوميديا[4].

وبعد انتصار روما على يوغرطة اعتبرت نوميديا ملك عام للشعب الروماني المنتصر، فكان متيسرا على روما أن تعلن نوميديا المهزومة إقليما رومانيا، لكنها أبقت على نوميديا في صفة دولة تابعة أكثر منها حليفة، وفتحت المجال واسعا أمام تجارها وطبقة الفرسان والباحثين عن الثروة، وعدم ضم روما لنوميديا باعتبار أرض انهزم فيها أعدائها، شكلت في أوساط أعضاء السيناتو من ذوي الاتجاه المعادي للأرستقراطية المسيطرة على هذا المجلس، فأوهموا الناس أنه كان على أرباب العمل والسلطة في روما أن ألا يتركوا الفرصة للنوميديين حتى يصبحوا في مستوى الخطر الذي ظهر به يوغرطة على روما، وأنه كان يجب على الأرستقراطية الحاكمة أن تتصرف بطريقة أخرى، تجعل من مملكة نوميديا إقليما رومانيا منذ انتصار الجيش الروماني في إفريقيا استنادا إلى العرف الروماني القديم[5].

ورغم هذه المعارضة الشديدة للسياسة الرومانية، إلا أن الرومان كانوا مترددين في التدخل المباشر في إفريقيا، واعتمدت على ملوك موالين، وتفادي الادارة المباشرة[6]، وصف مومسن هذه

---

[1] Salluste, XXVI.
[2] Salluste, Lo-cit.
[3] Decret F., Fantar M., op - cit, p 172.
[4] Peyronnet Raymond, Op-cit, p135.

[5] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر...، ص 73.
[6] نفســـه، 74.

السياسة بسياسة الجبناء ونقص الرؤية[1]، وهي سياسة الحذر لدى الرومان نظرا لشخصية سكانها[2]، واعتبرها بوسبير قمة الحكمة الرومانية[3].

وفي إطار الحروب الأهلية الرومانية، أصبحت إفريقيا ملجأ للقادة العسكريين مثل ماريوس ومن بعده أنصار بومبي، وهذا ما جعل إفريقيا مسرح لصراعات الرومان فيما بينهم[4]، وقد استغل بعض الملوك هذه الاضطرابات، للقيام بمحاولات تحررية، خلال هذه الهزات السياسية الرومانية، فكان الرومان يتجنبون خطر هذه المحاولات، ويفوتون على أصحابها فرص النجاح، ولعل أبرز هذه الثورات الوطنية التي انتهزت فرص الأزمات السياسية الرومانية للقيام بحركة تحررية، ثورة الأمير النوميدي هيرباص الذي استغل الصراع بين ماريوس وسيلا، وتمكنت حركته من انتزاع السلطة من خصومه مسينيسا و هيرباص الثانيين أتباع بومبي[5]، لكن حركته ما لبثت أن أخفقت أمام قوات سيلا.

وفي النصف الثاني من القرن الأول ظهرت حركة أخرى قادها الملك يوبا الأول، واعتبرها فرصة لتخليص إفريقيا من السيطرة الأجنبية، وتحقيق حلم مسينيسا في إقامة مملكة نوميدية واسعة[6]، وقد وجد الدعم في أنصار بومبي المحسوب على الحزب الأرستقراطي المناهض لقيصر، خاصة وأن هذا الأخير كان يدعوا إلى وضع ملكة نوميديا تحت سلطة الشعب الروماني[7]، وبذلك اختار التيار الأرستقراطي لأبعاد وطنية محضة[8].

كان أهم انتصار حققه يوبا الأول هو القضاء على حملة كوريو 49 ق،م[9]، وكسب بذلك تأييد مجلس الشيوخ في مقدونيا، ومنحه لقب صديق وحليف الشعب الروماني[10]، وبذلك أصبح يوبا حسب قزال يعتبر نفسه الحاكم الحقيقي ليس لمملكة نوميديا فحسب وإنما على مقاطعة إفريقيا

---

1 Mommsen Th., Op - cit , p 160 .
2 Boissier G., *L'Afrique Romaine*, p 84.
3 Boissiere G., Op – cit, p 156.
4 شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 60.
5 Salluste, *Conjuration de Catilina* , XVIII.
6 شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 62.
7 Dion Cassius, XLI, 41.3.
8 شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 63.
9 Dion Cassius, XLIII, 30.
10 Ibid, XLI, 42.6.7.

ككل[1]، وما القادة الرومان إلا مساعدين له[2]، مكنه ذلك من كسب الكثير من الأنصار في إفريقيا وتجنيد الآلاف من المشاة والفرسان للتحضير لمرحلة لاحقة.

غير أن يوبا الأول لم يوفق في تقديرات للجو السياسي بمنطقة المغرب، وما يمكن أن يترتب عنه من تطورات في الميدان العسكري، فكانت حالة التبعية التي كانت تميز علاقة الممالك النوميدية القديمة بروما قد ساعدت الأطراف المتنازعة في روما نفسها على كسب موقف هذه المملكة أو تلك إلى جانبها[3]، دون أن ننسى دور سيتيوس في إحراز النصر على أعدائه البومبيين يوبا الأول، وتطويق هذا الأخير من الخلف، وكان نصيبه من هذا النصر حسب بنابو Benabou مأخوذ بعين الاعتبار[4].

كان لانتصار قيصر على أنصار بومبي وسيطرة بوخوس الثاني وسيتسوس على سيرتا، نتائج كبيرة على مملكة نوميديا خاصة في الميدان السياسي والاقتصادي، فتم إنهاء الوجود السياسي لنوميديا والقضاء على سيادتها، وضمها إلى المكاسب الرومانية القديمة.

لكن هذه النزعة الوطنية لدى النوميد بقيت قائمة، وظلت روح النضال تدفعهم إلى المزيد من المحاولات والتجارب من أجل إيقاف المد الروماني في بلادهم، وكثيرا ما استغلوا التصدع السياسي في السلطة الرومانية للقيام بنشاط عسكري، وهذا ما نلمسه في الثورة التي قادها أرابيون، وهو الذي استطاع أن يقضى على سيتيوس ويسترجع الإقليم الذي كان يسطر عليه[5]، ثم أزاح جيش بوخوس الثاني من الجزء الغربي من مملكة نوميديا القديمة، فأحيى بذلك أرابيون بهذه الانتصارات السريعة كيان نوميديا الغربية[6].

لكن لم يكن لروما أن تترك قوة أرابيون تشكل خطرا على مصالحها في المنطقة خاصة وأن قوته أصبحت لا يستهان بها، وقد تدفعه إلى الانقلاب ضده بعد أن يمتن أركان المملكة التي

---

[1] Gsell S., H.A.A.H., T., VIII, p35.
[2] Mommsen Th., Op – cit, T. V, p346.
[3] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر...، ص 75.
[4] Benabou M., Op-cit, p 39.
[5] Appien A., IV, 54. ; Poulle Ch., Op - cit , p 97.
[6] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص ص 68- 69.

أحياها[1]، فقرر سيكتيوس أن يضع حدا لنشاط هذا الأمير النوميدي، قبل أن يستعصي أمره، فاغتاله بدعوى أنه اشتبه في أمره[2]، كما تابع هجماته ضد الثوار النوميديين من أتباع أرابيون الذين قاوموه باستماتة.

ومجمل القول هو أنه رغم السياسة السلمية لبعض الملوك الأفارقة في المنطقة، واتخاذ البعض أسلوب القوة في وجه السياسة الرومانية في المنطقة، إلا أن هدفهم واحد وهو الحفاظ على أمن واستقرار ممالكهم في المنطقة، لأنهم كانوا على علم بأن الرومان هدفهم منذ البداية هو السيطرة على حوض المتوسط، ومنع أي محاولة تهدف إلى الاخلال بأمن روما، وبالتالي يجب على الجميع الخضوع لها[3].

ثالثا: طبيعة العلاقات الاقتصادية.

لقد مثلت التجارة الخارجية أهم الأنشطة الاقتصادية التي احتلت مكانة هامة لدى الامبراطوريات القديمة باعتبارها مصدر دخل كبير للدول نتيجة المبادلات القائمة من خلالها، وكذلك باعتبارها أساس قيام العلاقات ومظاهر الاتصال والاحتكاك مع مختلف الدول، ولهذا اهتمت بها مملكة نوميديا، وكانت من إحدى أهم أهداف الملوك المحليين.

فبعد انهزام قرطاجة وسيفاكس أواخر القرن الثالث قبل الميلاد[4]، على يد مسينيسا وحليفته روما، استطاع العاهل النوميدي أن يوحد مملكة نوميديا، وأن يقيم نظاما مركزيا قويا، حيث كان هدفه من ذلك جعل المملكة تلعب دورا اقتصاديا هاما في حوض المتوسط، وهذا ما شرع فيه، حيث وسع الأراضي المستغلة لإنتاج مختلف المحاصيل الموجهة للتبادل التجاري وبالأخص الحبوب، خاصة بعد استرجاع أراضيه المسلوبة من طرف قرطاجة، وإضافة إلى الإشراف على الموانئ والمحطات التجارية التي كانت تحت نفوذها[5]، كما عمل على تطوير المدن الساحلية لوعيه بما تختص به من أهمية في العلاقات مع الدول المجاورة لحوض المتوسط[6].

---

[1] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 95.

[2] Gsell S., H.A.A.N, T., VIII., p196.
[3] Barthier A., *La Numidie*…, 43.
[4] Tite live, XXX.11.12.
[5] Camps G., Massinissa..., p196.
[6] Decret F., Fantar M., op - cit, p 112.

لكن بالمقابل من ذلك، كان لانتصار روما على قرطاجة وتأسيس ما يسمى بمقاطعة إفريقيا الرومانية سنة 146 ق،م، بداية توافد إيطالي لم ينقطع سيله طيلة عهد الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، إذ كان تحطيم قرطاجة في نظر التجار الايطاليين والراغبين في الاستثمار فتحا مكنهم من الجلوس على حطام المؤسسات الاقتصادية البونيقية، والاستيلاء على تركة القرطاجيين وتحويل مواردها لصالحهم.

غير أنه لا تتوفر هنالك مصادر دقيقة تمكننا من التعرف على حياة أولئك المستأثرين الأوائل بالثروة الإفريقية، لكن المؤكد أن روما مجاورة ترابيا لنوميديا بعدما كانت فيما وراء البحر، والملاحظ أن النفوذ الروماني قد تزايد بحكم هذا الجوار، واتخذ طابع التغلغل عن طريق توافد العنصر البشري الروماني من رجال التجارة والاستثمار، حيث انفتحت أبواب المملكة على مصراعيها أمام التجار وأصحاب الاقتصادية من الإيطاليين، فأصبحوا يشكلون نسبة عالية من الجالية الأجنبية بالمدن النوميدية الكبرى(1).

فوجود جالية إيطالية كبيرة في إفريقيا، حيث كانوا تجارا في أغلبيتهم(2)، ومن المحتمل أن عملهم لم يقتصر فقط على التجارة الخارجية، بل تعدت مهامهم إلى القيام بعلاقات أخرى خارجية، ذلك أن العلاقة التي كانت تربط الأرستقراطية الرومانية بالقادة النوميديين، هي علاقة كان يؤطرها ممثلو الارستقراطية الرومانية من وكلاء ورجال أعمال وتجار، كانوا يمارسون نشاطهم في مملكة نوميديا مثلما كانوا يفعلون في الولاية الرومانية، وهذا الترابط المصلحي يبعث بحكام الولاية بأن يسهروا على حماية تلك النشاطات التي يقوم بها الوكلاء عبر مدن نوميديا ومراكزها التجارية.

فالمصادر القديمة تشير إلى وجود حركة تجارية نشيطة بين روما ونوميديا بدليل تواجد التجار الايطاليين بكثرة في العديد من مدن المملكة التي كانت أسواقا كبرى كمدينة أوتيكا Utica وباجة Vaga التي وصفها ساليست بأنها أهم سوق بالمملكة، حيث يقيم بها عدد كبير من التجار المحليين

---

(1) شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم...، ص 71.

(2) Christophe Hagoniot, *Rome et Afrique, de chute de Carthage au début de la conquête arabe,* Champs Université, Flammarion, 2000, p35.

والايطاليين[1]، وتيسدروس Thysdrus التي شهدت تواجد التجار الايطاليين بها حسب ما جاء في كتاب حرب إفريقية[2]، وإذا ما أشار ساليست إلى التجار الايطاليين الذين تواجدوا بالمملكة في عهد يوغرطة (118-105 ق،م) وتحدث صاحب كتاب حرب إفريقية عن التجار الذين قدموا إليها في عهد يوبا الأول، فإن بداية ظهورهم بنوميديا قد ترجع إلى عهد مسينيسا حين أقحم مملكته في التجارة الدولية التي ميزت حوض البحر الأبيض المتوسط آنذاك.

لقد استغل رجال المال والأعمال العلاقات الخاصة التي كانت تربط نوميديا بروما فحصلوا على امتيازات كبرى في ميدان المبادلات التجارية، إذ لم يكن يعقهم عن التنقل عبر المراكز التجارية أي عائق أو يعطل نشاطهم إجراء جمركي ما، بل أن حريتهم كانت مضمونة واستقلالهم عن القوانين والأعراف المحلية كان مصانا، كل هذا أتاح لأولئك الوافدين تشكيل جالية إيطالية بالمدن النوميدية لها وزنها السياسي إلى جانب مكانتها الاقتصادية المرموقة[3].

كما يتجلى لنا من خلال المعطيات المستخلصة من النصوص القديمة نجاح مملكة نوميديا في فرض تواجدها ضمن المبادلات التجارية الدولية التي ميزت حوض المتوسط، وتبرز لنا جليا أن القمح قد تصدر قائمة الصادرات النوميدية نحو روما بدليل أن المدن التي تمركز فيها التجار الإيطاليين والمشار إليهم أعلاه، إما اشتهرت بزراعة القمح أو تقع بالقرب من حقول القمح، هذه المادة التي كان مجتمع روما بأمس الحاجة إليها لاسيما وأن نسبة منها كانت توزع مجانا على عوام المدينة[4]، ومما يدل على أهمية القمح النوميدي لدى الرومان هو قول صاحب كتاب حرب إفريقية، والذي جاء فيه أن المزارعين والتجار الايطاليين قاموا بتخزين 300 ألف صاع من القمح بمدينة تيسدروس خلال الحرب الأهلية بين يوليوس قيصر وبومبيوس[5]، دون أن ننسى المقولة الشهيرة لقيصر والتي مفادها أن نوميديا التي غزاها توفر الدولة الرومانية 12000000 مد من القمح سنويا[6].

---

[1] Salluste, XXI,2 ; XXLVII,1.
[2] César , XXXVI,2.

[3] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم...، ص 72.
[4] منصوري خديجة، المرجع السابق، ص87 .

[5] César, XXXVI,2.
[6] Plutarque, César, LX.

لكن النقطة التي اختلف فيها المؤرخون هي هل كانت هذه العلاقات التجارية بين مملكة نوميديا والجمهورية الرومانية صفقات تجارية بين الطرفين ؟، أم أنها عربون صداقة لا غير بهدف رد الجميل لروما لأنها منحت الملك والعرش لمسينيسا ليسيرها بالوكالة ؟.

يشير تيت ليف إلى أن مسينيسا تأسف عندما دفعت روما سعر القمح الذي قدمه هبة لها سنة 170 ق،م، ويحاول تيت ليف أن يستشف أدلة على ما ذهب إليه من امتناع مملكة نوميديا من قبول تعويضات بعثت بها روما إليها عن حبوب تلقتها منها أثناء حروبها في اليونان، وأورد تيت ليف تصريحا لابن مسينيسا الذي أوصل المساعدات إلى روما جاء فيه بأن أباه مدين للشعب الروماني ولا يحق له قبول هذه التعويضات(1).

لكن بالمقابل ألا تعتبر هذه الاشارة في حد ذاتها دليل على أنها كانت صفقات بكل معاني الكلمة، كما أن نفس المؤرخ يشير في موضع آخر إلى أن مسغبا -أحد أبناء مسينيسا- نزل بروما، وأما مجلس الشيوخ استعرض المساعدات التي قدمها مسينيسا، وكذا الأموال التي قام الرومان بإرسالها إلى العاهل النوميدي مقابل القمح المقدم(2)، ففي هذا الصدد يشير حارش إلى أنها كانت صفقات تجارية(3)، وأن تيت ليف روى خبرا ونسب كلامه لأمير نوميدي أمام مجلس الشيوخ مضمونه اعتراف بالتبعية دون سند تاريخي(4)، كما أنه تم العثور على قطع نقدية في إيطاليا وصقلية تعود إلى مسينيسا وكذلك خلفائه من بعده، كما تم العثور على قطع نقدية إيطالية في بلاد المغرب لدليل قاطع على صفة التبادل التجاري بينهما.

هذا فيما يخص طبيعة العلاقات الاقتصادية بين مملكة نوميديا والجمهورية الرومانية، أما تاريخ استقرار التجار الايطاليين في بلاد المغرب ففيه اختلاف كبير، حيث يرى هوت(5) (Huet P.D) أن روما لم تعرف تجارة مع بلاد المغرب إلا بعد تدمير قرطاجة سنة 146 ق،م، أي لم تكن هناك تجارة

---

1 Tite live, X LX.13.
2 Ibid , XLV,14 .

3 حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 135 .

4 شنيتي محمد البشير، السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة...، ص 34.

5 Huet p.d., histoire du commerce et de la navigation des Anciens, éd. Fournier Rabat, 2004 , p 63.

قبل هذا الزمن، وهذا ما يفهم أيضا من سويتونيس Suetonuis[1]، في حين يرجعها البعض لفترة مسينيسا، كما تحولت نوميديا بعد حرب يوغرطة إلى سوق للتجار الرومان والجواسيس الذين يستغلون الثروات النوميدية، حيث بادر ماريوس بعملية استيطان الجالية الايطالية في العديد من المدن، ومن بعده يوليوس قيصر الذي فتح المجال للاستثمار في كل أراضي إفريقيا، والملاحظ أنه في تلك الفترة تغيرت نظرة الساسة الرومان اتجاه حملات الاستيطان بصفة جذرية بعدما وجد فيها سادة روما الوسيلة الامثل في تطبيق وإنجاح سياسة الرومنة في إفريقيا ضمن مخططاتهم الرامية إلى تطبيق المشاريع السياسية في المنطقة، لذلك بادر قيصر مباشرة بعد انتصاره لوضع حد لكيان المملكة النوميدية التابعة ليوبا الأول، وتحويلها إلى مقاطعة إفريقيا الجديدة لاستيعاب العدد المتزايد من المستثمرين الرومان، خاصة فئة قدماء المحاربين.

وباعتبار الجيش الروماني في كان مؤسسة متكاملة من وحدات قتالية ووحدات الهندسة العسكرية، فانه انتهج سياسة إلحاق الأراضي من خلال استراتيجية لخصت في مسخ الأراضي التي تم احتلالها بالقوة، لتضاف إلى أملاك الشعب الروماني، فمباشرة بعد الاستحواذ على الأراضي من طرف الوحدات القتالية تقوم فرق الهندسة العسكرية، بإحصاء الأراضي وتقسيمها إلى مساحات متساوية[2]، لتسهيل عملية مراقبتها وإعطائها الصبغة الرسمية والشرعية لهذه الأراضي، وكل هذه الإجراءات تهدف غلى تسهيل عملية جمع الضرائب والتحكم في كل المقاطعات الإفريقية، فقام بإنشاء الطرق وأبراج المراقبة لتسهيل عملية التدخل السريع ونقل خيرات هذه المقاطعات اتجاه الموانئ والمدن الكبرى[3].

العملة النوميدية و قضية السيادة: تعتبر العملة والمسكوكات من أهم العوامل التي تبين سيادة دولة ما، وكذلك نفوذها على الساحة الدولية، فالعملة في القديم كانت بمثابة عامل اقتصادي

[1] Suétone, Les douze césars, trad, Maurice Rat, éd. Garnier fréres, Paris, 1955, Vie de Terence, 1.

[2] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 52.

[3] Cagnat (R.L.V.), *L'armée romaine et l'occupation militaire de l'Afrique ...*, p 316.

وسياسي هام في تطوير العلاقات بين مختلف الدول، وكذلك التحكم في التعامل التجاري وتسهيل المبادلات وتنظيم الجباية، وذلك بجعل العملة مكافئة لقدر من البضاعة أو الأجر والأداء المستحق، ومن هذا المنطلق كان يجب أن تضمن قيمتها سلطة وتسهر عليها مؤسسة لتسهر على مراقبتها والتكفل بكل ما يترتب عن التعامل بها من تبعات ربحا و خسارة[1]، ومن الجهة الدينية، كــان الدفن الإرادي لقطع من العملــة طقسا دينيا، يقتضيه تأسيس المعبد، وهو يدل على معزة النقود ودلالتها لدى الأمم[2].

لقد اقترن ظهور العملة بسلطة ذات نفوذ وقدرة على التحكم[3]، وهو بارز بوضوح فيما بعد، لما ظهرت المنافسة التجارية قصد الانفراد بالأسواق، وهذا ما لم تغفله مملكة نوميديا، على غرار كل شعوب البحر المتوسط القديم، فإذا كانت شعوب الحوض الشرقي للبحر المتوسط هي السباقة لإصدار العملة، فإن قرطاجة كان لها السبق في جزءه الغربي ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد[4].

أما نوميديا فقد عرفت صك العملة في القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت الغربية منها هي السباقة لذلك، فقد أصدر كل من سيفاكس وابنه فيرمينا العملة[5]، وكانت له علاقات مع إسبانيا، أين سك جزء من عملته، والتي كانت من البرونز و تحمل اسم الملك بالبونيقية[6]، ومن المحتمل أن تكون له نقود فضية[*][7].

أما نوميديا الغربية فقد عرفت سك العملة في عهد غايا[8]، في حين شنيتي يرفض ذلك، لأن نوميديا لم تعرف عملة آنذاك، فيقترح أن يكون الحضر القرطاجي عن إصدار العملة، ربما يكون

---

[1] شنيتي محمد البشير، نوميديا العملة والسيادة، الجزائر النوميدية، متحف سيرتا، قسنطينة، 2010، ص 74.
[2] نفســه.
[3] نفســه.

[4] Camps G., Op - cit, p.203.
[5] Troussel Marcel, *le trésor monétaire de Tiddis*, **R.S.A.C**, T.66, 1948, p129.
[6] Camps G., Op - cit, p.206.

[*] أنظر ملحق رقم 04 ص 227 .

[7] Müller L., *Numismatique de l’ancienne Afrique*, Imprimerie de Biano Luno, Copenhague, 1860, avec un supplément de 1874, N°2.4, pp 90-91.
[8] Gsell S., H.A.A.N, T., V., p157.

سبب ذلك، حيث لم تشمل حركة النقود جميع أنحاء المملكة إلا في عهد مسينيسا ومكيبسا، أما بعدهما فكانت قليلة[1].

فيما يخص أنواع العملة فكانت لنوميديا نوعين من رئيسيين، عملة سكت باسم ملوك نوميديا، والنوع الثاني باسم مدن المملكة(**)، ويمكن أن نضيف نوع ثالث يحتمل أنها تعود لبعض حكماء القبائل، أما فيما يخص المادة المستخدمة، فهي تبين لنا الحالة الاقتصادية للكيان السياسي الذي سكت باسمه، حيث تعتبر النقود الرصاصية أكبر كماً من النقود المضروبة من باقي المعادن، لوفرة وسهولة استخراجه[2]، واقتصر استعماله على التبادل التجاري المحلي[3]، وبدرجة أقل نجد النحاسية وذلك لندرة مناجم النحاس في نوميديا، وكانت تتداول داخل أرجاء العالم المتوسطي، والدليل على الكنزان اللذان عثر عليهما في كولا ببلغاريا، والثاني في مازين Mazin بكرواتيا الذي احتوى على 328 قطعة معظمها تعود إلى 80 ق،م[4]، أما الذهبية والفضية فهي نادرة، منها 3 قطع ذهبية منسوبة وقطعتين لمكيبسا[5]، ومجموعة أخرى تنسب ليوغرطة وإلى هيمصال الثاني[6]، أما مسينيسا فلم يسك عملة من معدن الذهب، باستثناء مادة الفضة[7]، والتي تستخدم للتجارة الخارجية[8]، كما عثر على كنز نقدي في قسنطينة يعود إلى 79 ق،م عددها 273 قطعة، وكلها أجنبية إغريقية، رومانية، مرسالية، اسبانية[9].

أما عدم إصدار مسينيسا للنقود الذهبية فيرجعه البعض إلى محافظته عليه في شكل سبائك، وخوفه من خروج هذا المعدن من نوميديا، وإحداث خلل في ميزانيتها، لتوفر عدد كبير من التجار

---

[1] Camps G., Op - cit, p.300.

** أنظر ملحق رقم 05 ص 228.

[2] Troussel Marcel, *l'énigme de la tête laurée et barbue et du cheval galopant a gauche*, **R.S.A.C**, 1955-1956, p 43.
[3] Ibid.
[4] Camps G., Op - cit, p.208.
[5] Müller L., Op-cit, N°6-7, p 16.
[6] Ibid, N°40.45, p38.
[7] Müller L., Op-cit, N°50.58, pp 92-95.
[8] Claude Nicolet, *Rome et la Conquête du monde Méditerranéen*, T.,2, imp., P.U.F,1991, p22.
[9] Charrier L., *description des monnaies de la Numidie et de la Mauritanie*, protat frères Maçon, 1912, p 10.

الشرقيين، والإغريق والايطاليين[1]، وقد اتبع في ذلك سياسة ملوك الشرق ومصر وحتى الدويلات الافريقية[2].

لقد كان لإصدار العملة علاقة بسيادة الدولة النوميدية واستقلالها، فكان بذلك عملا سياسيا وإشهاريا كبيرا، فضلا عن كونه عملا اقتصاديا أو تجاريا[3]، فكان ذكر اسم الملك وصفته على العملة بعد كبيرا، فمثلا العملة التي نسبت لسيفاكس ظهر على أحد وجهيها الملك، متجها نحو اليسار ملتحيا، وعلى الوجه الآخر حصان يركض ناحية اليسار يمتطيه فارس يمسك بلجامه، ويلبس رداءا فضفاضا، تحته كتابة بونية على الشكل التالي: س.ف.ك – ح.م.م.ل.ك.ت[4]، وكذلك ذكر فرمينا على عملته بصفته ملك ونفس الشيء بالنسبة لمسينيسا، ويوبا الأول، أما الملوك النوميديين الذين خلفوا هؤلاء، فلم يتم ذكر صفتهم باستثناء ذكر اسم الملك مختصر مثل غ.ن بالبونية و التي تعني غلوسة، و ح بالبونية و تعني هيمصال، فما سبب ذلك ؟.

يذكر شنيتي أن سيفاكس أصدر عملة، ليس لأنه ملكا قويا، وصهر قرطاج وحليفهم المخلص، لكن لأن قرطاج قد أذنت له بضربها، ليعبر من خلالها عن قوته ومكانته كملك صاحب سيادة على إقليمه السياسي المعترف به طرف حلفائه القرطاجيين، ومن جهته ضرب مسينيسا عملة باسمه بعد اعتراف روما به ملك، حينما سلمها خصمه سيفاكس، فأذنت بدورها لمسينيسا بضرب عملة تحمل اسمه وصفته كملك، مع إخراج تلك العملة في مظهر جيد، تماشيا مع مقتضيات الدعاية الحربية[5]، فسلمت له شارات الملك، دون أن تسمح له بالانفراد بمملكة نوميديا الكبرى، والتصرف المطلق في مصيرها بمفرده.

[1] شارن شافية، النشاط التجاري.....، ص ص 351-354.

[2] Camps G., Op - cit, p.207.

[3] Charrier L., Op.cit, pp 26-32.

[4] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 76.

[5] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 76.

وكثير من العملات النوميدية ما اختصر اسم الملك في الحرفين م.ن، فيرجعها البعض إلى الحرف الأول والأخير للملكين مسينيسا ومكيبسا[1]، ويرى البعض أنهما يعودان للورشات التي سكت هذه النقود[2]، ويرى شاريي أن "م.ن" هما الحرفان الأول والأخير لمعظم الاسماء الليبية والبونية، فيرمزان لأسماء مختلفة لرؤساء قبائل مختلفين يجمعهم الحرفين[3].

كما عمم كذلك نفس الفهم على حرف "هـ" الذي يَرِد منفردا على ظهر قطعة العملة أحيانا، فاعتبره البعض يرمز لعبارة " همملكت" أو مملكة[4]، لكن شنيتي يرفض ذلك، لأن هذه العمولات التي ذكرت بهذه الصفة " حرف هـ"، جاءت في الفترة اللاحقة لزمن الملك مسينيسا، وهي الفترة التي فقدت فيها المملكة سيادتها بصفة شبه كلية، لأنه حسب شنيتي روما هي التي وزعت السلطات بين الملوك النوميديين[5].

و من هذا المنطلق، هل منعت روما خلفاء مسينيسا من كتابة أسمائهم مقترنة بألقابهم كملوك على غرار الصيغة التي ظهرت بها عملة أبيهم، حتى لا يظهروا في مظهر الملوك الحقيقيون، فأصدروا عملاتهم خالية من أسمائهم الصريحة، فجاءت بذلك لغرض التعامل التجاري لا غير.

يستند في ذلك شنيتي إلى احتمال إصدار يوبا الأول لعملة ورد فيها "يوبا هممملكت"[6] باعتبارها لغة الحلفاء قادة المقاطعة[7]، وتم سكها من قبل حرفين إيطاليين، باللغتين البونية باعتبارها لغة رسمية، ولاتينية بإذن من حاكم المقاطعة الرومانية، وبتشجيع منه لهذا الإغليد، كي يقف إلى جانبه في حرب قيصر، ولهذه الازدواجية دلالتها يقول شنيتي، بالإضافة إلى ذلك كانت له عملة برونزية من صنع محلي[8].

---

1 Troussel Marcel, *le trésor monétaire de Tiddis*...., pp 136-137.
2 Troussel Marcel, Op-cit ,pp 136-137.
3 Charrier L., Op.cit, p17.
4 Barthier A., *La Numidie*…, pp 207-210.
5 شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 77.
6 Mazard jean., Corpus …, p 49.
7 شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 77.
8 شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 77.

وبذلك كان لهذا البروز المفاجئ للعملة النوميدية الملكية في ظروف سياسية، ميزها الصراع في إطار الحروب الأهلية، كما مكن يوبا الاول من البروز كملك قوي، كما سمحت الفرصة لمسينيسا وسيفاكس من الظهور في إطار الصراع بين روما و قرطاجة، وبذلك أصدروا رموز السيادة وشعارات الملك بشكل صريح لا اختصار فيه و لا تورية[1].

انطلاقا مما سبق، يعود غياب عبارة العملة الملكية في بقية الملوك النوميدية، دليل على غياب السيادة الكاملة على أراضي المملكة، و تبعيتها لروما، أما في عهد يوغرطة الذي تمرد على هيمنة روما، لذلك لم يصدر عملة صريحة باسمه.

في الأخير لا يستبعد شنيتي تفسيرا آخر لإصدار ملوك نوميديا عملات بهذه المواصفات من غير ارتباط ذلك بظروف سياسية عسكرية، اقتضت استمالة أولئك الملوك و تجنيد إمكانيات دولهم لنصرة هذا الطرف أو ذاك، وبالتالي فيجب إمعان النظر في علاقة سيادة الدولة بمواصفات العملة التي تصدرها، من حيث مدى توفرها على المعايير المعبرة عن استقلالية السلطة الآمرة بالضرب عن الخارج سياسيا واقتصاديا وثقافيا [2].

[1] نفسه.

[2] نفسه.

خـــــاتمة :

يتضح لنا من خلال دراسة هذا الموضوع أننا نفتقر إلى مصادر تاريخية كافية، تثبت بالضبط دخول بلاد المغرب في التاريخ، وعن وجود كيان سياسي مكتمل الشروط قبل ظهور قرطاجة أو بعدها بقليل، ولكن هناك مصادر كتابية وأثرية وُردت فيها أسماء عدد من المجموعات القبلية في تعداد شعوب الشمال الإفريقي القديم ما قبل الاحتلال الروماني، وتدلُّ هذه الأسماء على مجموعة قبائل محكومة بروابط التقاليد والعادات، وأبرز هذه الأقاليم نجد النوميد.

المصادر التاريخية القديمة لم تشر للقبائل النوميدية إلا في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وظهورها كقوة هامة في بلاد المغرب القديم يعود إلى التطورات التي عرفتها المنطقة في تلك الفترة، وهذا في ظل الصراع بين قرطاج و روما، من أجل السيطرة وبسط النفوذ والحفاظ على أمن مصالحها، هذا الصراع لم يكن للمالك النوميدية أن تبقى بعيدة عنه، أو أن تتخذ موقف الحياد من الأطراف المتنازعة على المنطقة.

ولقد كان للتودد القرطاجي الروماني من أجل عقد معاهدات التحالف والصداقة فرصة عمد الملوك المحليين على استغلالها من أجل تحقيق طموحاتها، ذلك أن روما تأكدت من أن نجاح مهمتها متوقفة على كسب الدعم الإفريقي، وأن فشل الحملات الأولى يعود إلى غياب دعم الأهالي، وقد نجحت في ذلك، بعد أن كسبت مسينيسا إلى صفها، هذا الأخير الذي اتخذ من الأحداث التي تلت سنة 206 ق،م سببا في التقرب من روما، فهذه الأحداث التي تلت عملية استخلاف غايا بعد وفاته، وتدخل قرطاج فيها، ثم مساندتها لسيفاكس في سيطرته على مازيسيليا سنة 205 ق،م، كما أن مسينيسا وجد نفسه مجبرا أن يختار شرا كان قائما حين ذاك، وهو قرطاجة، وإما أن يختار شرا محتملا وهو رومـا، بينما كانت ظـروف وخلفيات وراثة العرش النوميدي إثر وفاة غايا سببا في اختياره للشر الثاني.

مكن هذا التحالف مسينيسا من التخلص من سيفاكس وقرطاجة، وفي فترة زمنية قصيرة استطاع أن يظفر بما كان يريده، بعد أن أحسن استغلال أحد بنود معاهدة زاما، وبذلك أصبح يمتلك مملكة قوية واسعة الأرجاء، وبدأ يتطلع لأن يكون قوة أخرى منافسة لقرطاجة وروما،

إذا كانت المصادر الرومانية أرجعت هذا النصر لروما، ثم منحته لمسينيسا بعد أن عينته ملكا بالوكالة على أرض انهزم فيها أعداء روما، وهي بذلك هي حق للشعب الروماني، كما زادت هذه الفكرة تجدرا في إطار الصراع بين الديمقراطيين الذين استندوا إلى طبقة العوام أواخر العهد الجمهوري والأرستقراطيين الذين يمثلون النبلاء، فالطرف الأول كان ينادي بضرورة انتفاع الشعب بأرض المهزومين، ومنها أرض سيفاكس التي آلت إلى مسينيسا بالوكالة، فإن المصادر اليونانية قد فندت ذلك، وأن مسينيسا –حسبها- تربطه علاقة تحالف وصداقة مع روما، ولا مجال للتبعية فيها، ولكنه صديق للشعب الروماني، وشأنه شأن معاصريه المقربين للجمهورية الرومانية، ولا مجال لفكرة العطاء التي روج لها ساليست و تيت ليف.

ومن جهة أخرى منذ متى روما تفتح أراضي وتمنحها لغيرها، لو كان ذلك صحيحا لماذا تدخلت فيما بعد، عندما رأت أن توسعات مسينيسا على حساب قرطاجة تشكل خطرا على مصالحها، وقررت وضع حد لقوة مسينيسا المتنامية بالتخلص من قرطاجة سنة 146 ق،م، ومصلحتهم تكمن في وضع حد لطموح مسينيسا، ومنع قيام دولة إفريقية قوية، وهذه الدولة القوية ستعرقل السياسة الرومانية الرامية إلى بسط نفوذها في الحوض الغربي للمتوسط خاصة أن إشارة أبيان تؤكد أن الماسيل وضعوا بين يدي مسينيسا مملكة آبائه، و هم سعداء بأنه سيكون ذلك الملك المرتقب منذ أمد بعيد.

وفي باقي مسيرته الطويلة، احتفظ الملك مسينيسا بصداقته مع روما، وهذا ما تدل عليه العديد من البعثات المتبادلة، والتي يسودها حسن الاستقبال من الطرفين، إضافة إلى المساعدات التي قدمها العاهل في مختلف المجالات، فكان بذلك حليفا لا يستهان به لدى الرومان، ففي العلاقات الاقتصادية التي أثبتتها المصادر القديمة، تدل بحكم التعاون والتحالف التي كانت بينه وبين روما، فإذا

كان تيت ليف يذكر أن هذه المبادلات ما هي إلا هبات قدمها العاهل لروما كعربون صداقة، بحيث أورد تيت ليف تصريحا لابن مسينيسا الذي أوصل المساعدات إلى روما جاء فيه بأن أباه مدين للشعب الروماني ولا يحق له قبول هذه التعويضات، لكن تيت ليف روى خبرا ونسب كلامه لأمير نوميدي أمام مجلس الشيوخ مضمونه اعتراف بالتبعية دون سند تاريخي، كما أن بعض الإشارات الواردة في بعض المصادر الأدبية تبين أن هذه الكميات التي أرسلها كانت صفقات تجارية بين الطرفين، فتيت ليف أشار إلى أن مسغبا تحدث أمام مجلس الشيوخ الروماني عن المساعدات المقدمة من طرف والده مسينيسا سواء العسكرية أو الاقتصادية، وكذا الأموال التي قام الرومان بإرسالها إلى العاهل النوميدي مقابل القمح المقدم، و في إشارة ثانية ذكر أن الملك مسينيسا تأسف عندما دفعت روما سعر القموح التي قدمها لها سنة 170 ق،م، كما كان لإصدار العملة علاقة بسيادة الدولة النوميدية واستقلالها، فكان بذلك عملا سياسيا و إشهاريا كبيرا، فضلا عن كونه عملا اقتصاديا أو تجاريا.

أما قضية تقسيم روما للسلطة بعد وفاة مسينيسا فإن اختلاف الرأي بين المؤرخين القدامى حول موضوع استقلالية المملكة أو تبعيتها لروما ترك الباب مفتوحا لاجتهادات المؤرخين المحدثين، فحاول بعضهم دراسة هذه الاشكالية على ضوء النصوص القديمة و استقراء الأحداث المتعلقة بالعلاقات النوميدية الرومانية، فمسينيسا ترك مقاليد المملكة موزعة في الظاهر بين ثلاثة من أكبر أبنائه، ولما وصل القنصل سكيبيو و حضر مراسيم توزيع المهام بينهم، ففهم من ذلك أنه وزع السلطة بينهم، وهكذا فسواء أوصاهم أبوهم بالاحتفاظ بمهامهم مع طاعة كبيرهم المستلم لخاتم الملك أم أنه أبلغ وصيته لممثل حلفائه الرومان لأمر في نفس مسينيســا، فإنه لم يحدث أي تغيير في شؤون نوميديا من بعده.

أما فيما يخص إشارة ساليست إلى أن مكيبسا تبنى يوغرطة بإيعاز من سكيبيو، فإننا لا نجد ما يدعم هذه الفكرة في الواقع، إذ تشير كل الدلائل، أن مكيبسا تبني يوغرطة عندما اشتد به المرض، خاصة وأن ساليست لم يحدد بدقة كيفية انتقال السلطة بعد مكيبسا، غير أن وصية مكيبسا فيها

إشارة للتنظيم استخلافه، بالإضافة إلى أن هذا الحكم لم يكن بالجديد على مملكة نوميديا، وربما مكيبسا مزج بين النظامين القديم والجديد.

والشيء نفسه بالنسبة لقضية تقسيم السلطة بعد وفاة مكيبسا سنة 118 ق،م، فهو لا يستند إلى حقائق تاريخية ثابتة تبين تدخل روما في ذلك، غير أن الأحداث التي ميزت نوميديا بعده تبرز مدى تدخل روما الصريح في شؤون المملكة، حيث أوفدت لجنة لتقسيم تراب المملكة بعدما فشل الملوك النوميد في تسوية خلافاتهم، ولم يلبث هذا التدخل حتى تحول إلى عمل عسكري مارسته روما ضد يوغرطة الذي رفض الانصياع لإرادتها منتهجا سبيل الاستقلال بالرأي والتخلص من الوصاية الرومانية، فالمقاومة التي قدها يوغرطة تنم عن ما للنوميد من إحساس بالوطنية والحفاظ على السيادة، عكس ما ذهب إليه ساليست الذي اعتبر حالة الحرب التي قامت في نوميديا على يد يوغرطة هي تمرد عن السلطة الرومانية وليس نزاعا بين طرفين.

وبعد انتصار روما على يوغرطة اعتبرت نوميديا ملك عام للشعب الروماني المنتصر، فكان متيسرا على روما أن تعلن نوميديا المهزومة إقليما رومانيا، لكنها أبقت على نوميديا في صفة دولة تابعة أكثر منها حليفة، وفتحت المجال واسعا أمام تجارها وطبقة الفرسان والباحثين عن الثروة، وعدم ضم روما لنوميديا باعتبار أرض انهزم فيها أعدائها، شكلت في أوساط أعضاء السيناتو من ذوي الاتجاه المعادي للأرستقراطية المسيطرة على هذا المجلس نقطة صراع كبيرة.

وفي إطار الحروب الأهلية الرومانية، أصبحت إفريقيا ملجأ للقادة العسكريين مثل ماريوس ومن بعده أنصار بومبي، وهذا ما جعل إفريقيا مسرح لصراعات الرومان فيما بينهم، وقد استغل بعض الملوك النوميد هذه الاضطرابات، للقيام بمحاولات تحررية، خلال هذه الهزات السياسية الرومانية، ولعل أبرز هذه الثورات الوطنية هي ثورة الأمير النوميدي هيرباص الذي استغل الصراع بين ماريوس وسيلا، وتمكنت حركته من انتزاع السلطة من خصومه مسينيسا و هيرباص الثانيين أتباع بومبي لكن حركته ما لبثت أن أخفقت أمام قوات سيلا، واستطاع هيمصال أن يحتفظ بسياسة متميزة وطيبة مع الرومان طيلة مدة حكمه وهذا ما جعل شيشرون يقر بأن هيمصال حصل على لقب الملك الحليف.

إذا كان البعض يرجع وقوف يوبا الأول مع أنصار بومبيوس إلى أن والده هيمصال كان يدين بعرشه لبومبي الذي أعاد له السلطة بعد انتصاره على ماريوس، فإنه شخصيا كان يكن ضغنا لقيصر وكوريو، لأن الأول حمى مزينتا الفار إلى روما، ولأن الثاني عندما كان ممثلا للعامة سنة 50 ق،م اعتزم على استصدار قانون يقضى بتحويل نوميديا إلى مقاطعة رومانية.

كان يوبا الأول يسعى من خلال مشاركته في الحرب الأهلية الثانية إلى استرجاع مقاطعة إفريقيا التي احتلها الرومان إثر سقوط قرطاجة، إذ وعده أنصار سكيبيو بالتخلي له عن مقاطعة إفريقيا كجزاء مساعدته العسكرية بناء على ما ذكره ديون كاسيوس.

انهزام يوبا الأول في معركة ثابسوس 46 ق،م مثلت نهاية السيادة النوميدية، وتحققت أهداف قيصر التوسعية، وكأن قيصر يقول شنيتي يحتفل بالذكرى المئوية لاحتلالها، بضم أراضي جديدة، كانت سابقا أراضي لدول حليفة، كثيرا ما وقفت الأرستقراطية حجر عثرة في وجه الاتجاه الشعبي، فكانت نهاية لمرحلة طويلة من التدخل الروماني في شؤون المملكة، ابتدأت بعد الانتصار في الحرب البونية الثانية وانتهت في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد.

قام قيصر بإنشاء مقاطعة إفريقيا الجديدة على أراضي المملكة التي لم يسلمها لبوخوس وسيتيوس، وعين عليها ساليست بصفة بروقنصل يزود بكامل الصلاحيات التي استغلها في ابتزاز السكان، كما منح إقطاعات في إفريقيا للجنود الذين فضلوا الاستقرار على الفور، وبذلك بدأت حملة الاستيطان الروماني في بلاد المغرب بشكل واسع.

اغتنام أرابيون فرصة الموالاة لحاكم إفريقيا الجديدة لينتقم من سيتيوس ويسترجع الجزء الغربي من مملكة نوميديا، كما كانت قبل قدوم قيصر، لكن عمله لم يدم طويلا بعد أن قام سكسيوس بقتله.

وحاصل القول أن إدعاء ساليست وتيت ليف بتبعية المملكة النوميدية لروما مستخلص من رأي عام تكون طائفة من دعاة ضم أراضي الشعوب المجاورة للمقاطعات الرومانية وهو رأي ساد الأوساط السياسية والشعبية في روما أثناء حرب يوغرطة واستغله بعض أعضاء السيناتو من ذوي الاتجاه المعادي للارستقراطية المسيطرة على هذا المجلس، فأوهموا الناس أنه كان على أرباب السلطة في روما

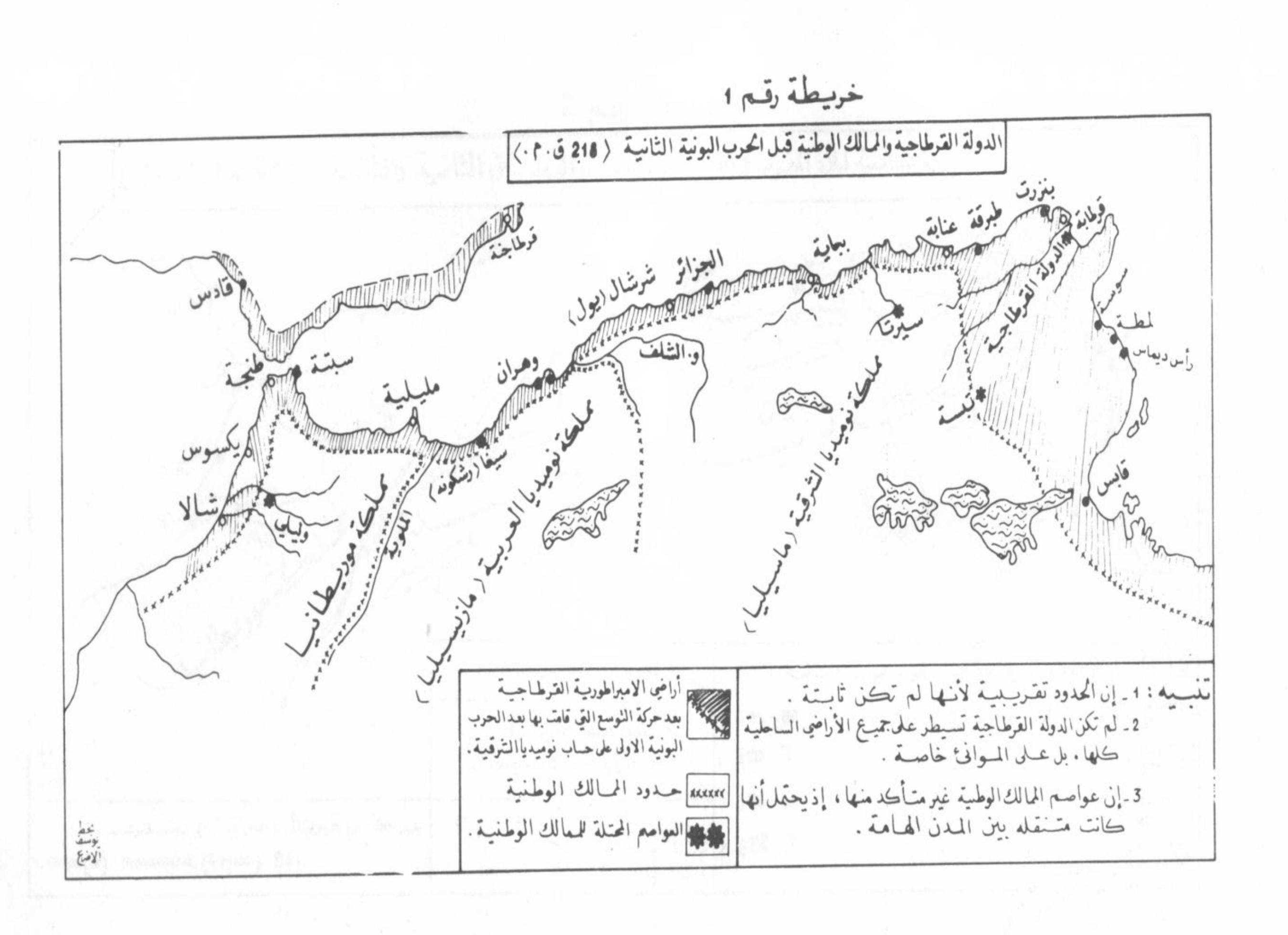
ألا يتركوا الفرصة للنوميديين حتى يصبحوا في مستوى الخطر الذي ظهر به يوغرطة على روما وأنه يجب على الأرستقراطية الحاكمة أن تتصرف بطريقة أخرى تجعل من مملكة نوميديا إقليما رومانيا منذ انتصار الجيش الروماني في إفريقيا استنادا إلى العرف الروماني القديم.

و لما انتصر الديمقراطيين بزعامة يوليوس قيصر كان يجب أن يزيل المملكة النوميدية من الخريطة السياسية، وتعيين ساليست حاكم عليها، الذي كان يبحث عن مبررات لهذا المصير المشؤوم متخذا من ادعاءات أفراد تسوقهم أهواء سياسية وضغائن شخصية مستندات تاريخية لتبرير قرار قيصر بإسقاط العرش النوميدي نهائيا بدعوى حق الشعب الروماني في هذه المملكة منذ القدم.

لقد استخلصنا من خلال تتبع الوقائع التاريخية أن الملوك في بلاد المغرب القديم لم يستوعبوا الوضع بخصوص التحالف والتحالف المضاد الذي اندفعوا فيه تباعا، فمنذ أن أوقع الرومان بين مسينيسا وسيفاكس إلى مقتل أرابيون لم تتوقف الخلافات بين الممالك النوميدية وحتى بين ملوك المملكة الواحدة، وهو ما استنزف طاقاتها وأكثر من ذلك كانت نهاية عدة ملوك(سيفاكس، يوغرطة، يوبا الأول، أرابيون) الأسر أو القتل غيلة وغدرا على أيدى الرومان، وكان الأجدر أن يستوعب هؤلاء تفاعل الوقائع وتداعياتها، وأن يفهموا حقيقة واحدة وهي أن المستفيد الوحيد من التحالف مع هذا الطرف الروماني أو ذاك هي روما لا غير.

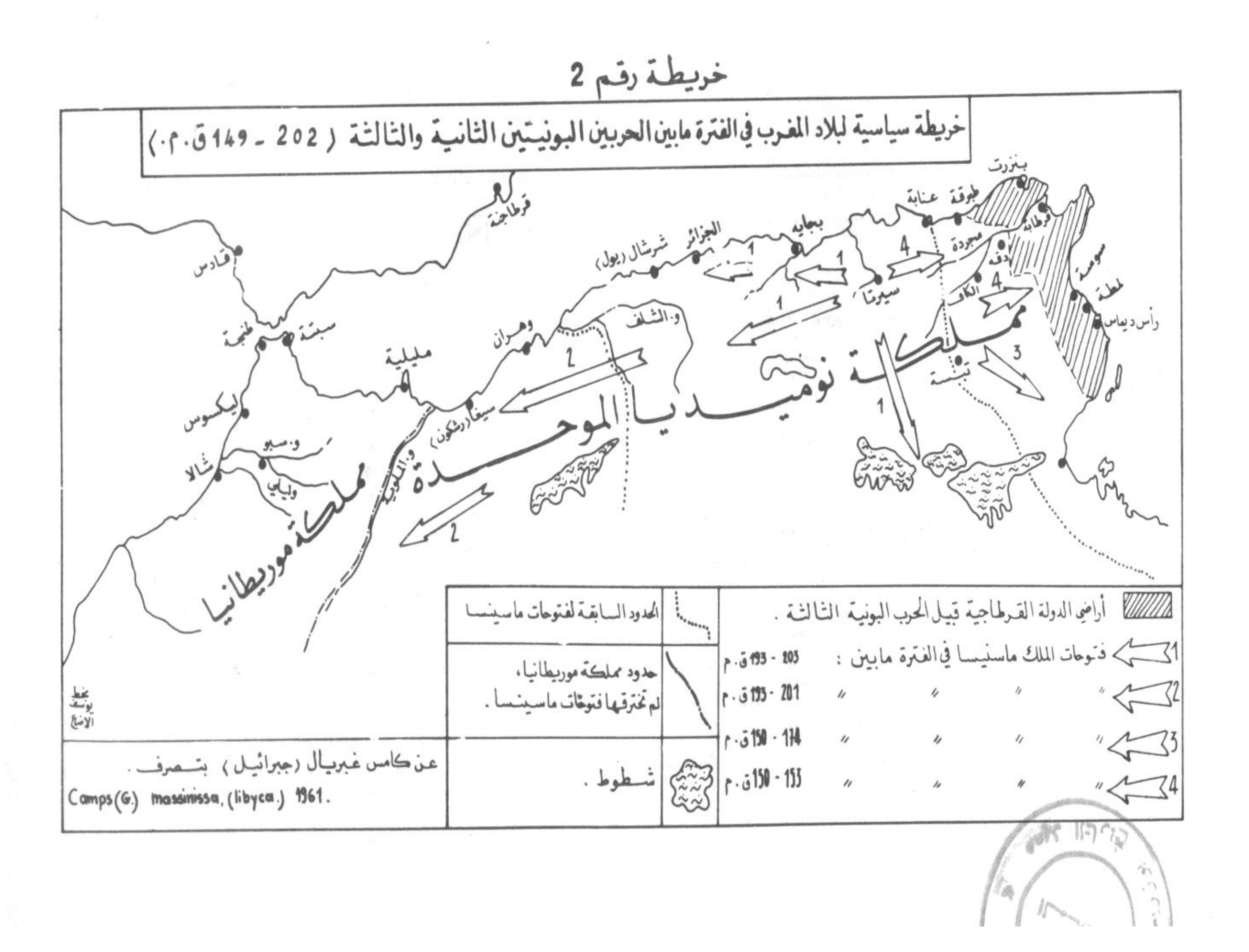
فإذا كان حلم معظم الملوك هو توحيد بلاد المغرب في مملكة واحدة، بما فيها تحرير قرطاجة، فإن تقاطع الوقائع التاريخية ما بين هذا الطموح ومشروع روما التوسعي في المنطقة حال دون ذلك، لأن الطموح يطغى عليه الأمل والتمني، أما المشروع فهو أدوات ووسائل تنفيذ، وبذلك تحقق المشروع لدى الطرف الروماني وخاب الطموح لدى الطرف النوميدي، فلم ينجح الملوك النوميد رغم جهودهم بقدر نجاح الرومان في ذلك.

ملحق رقم 01.



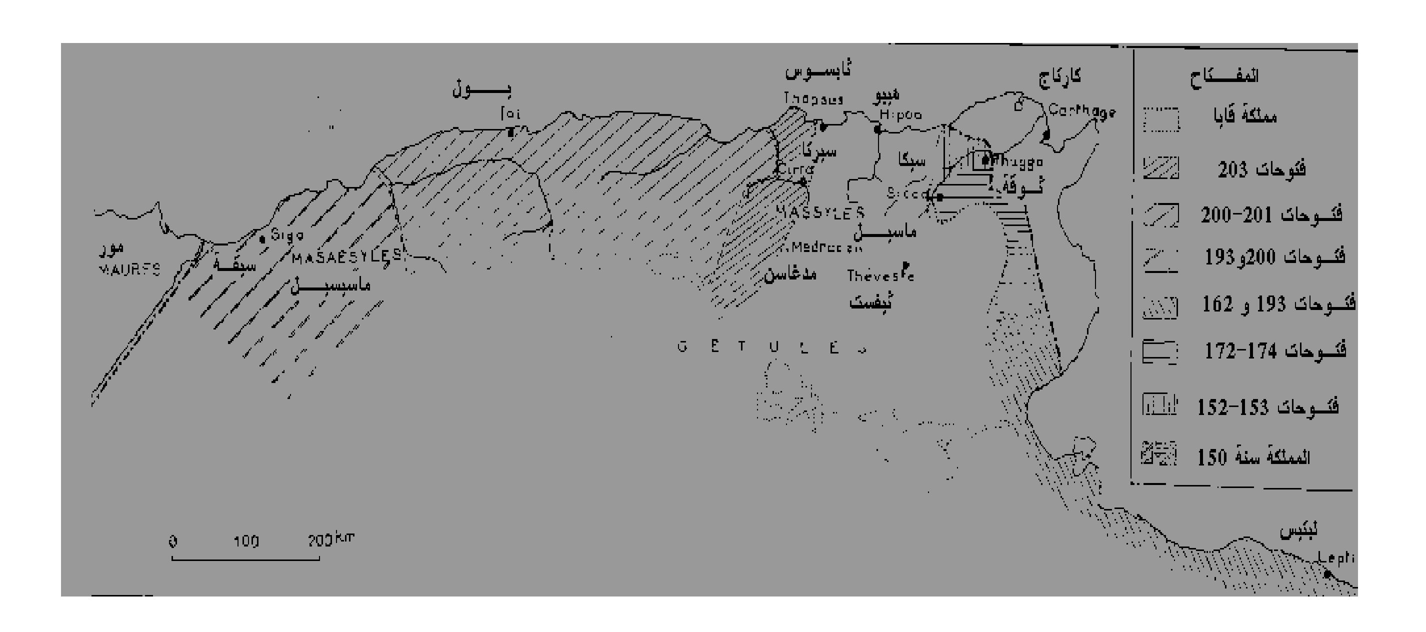
المرجع: شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 52.

ملحق رقم: 02.



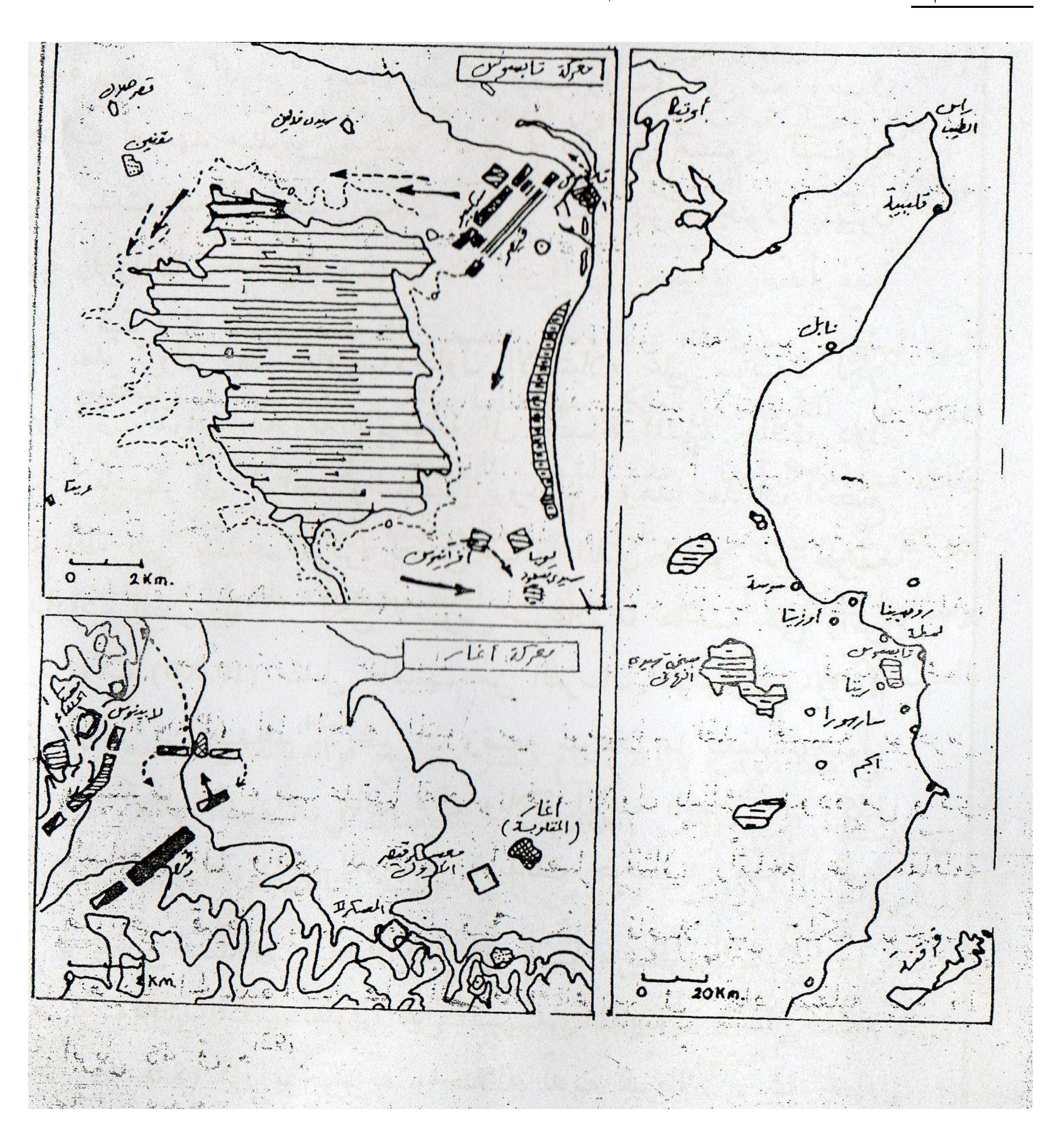
المرجع: شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 53.

ملحق رقم: 03. توسعات مسينيسا بعد 203 ق،م.



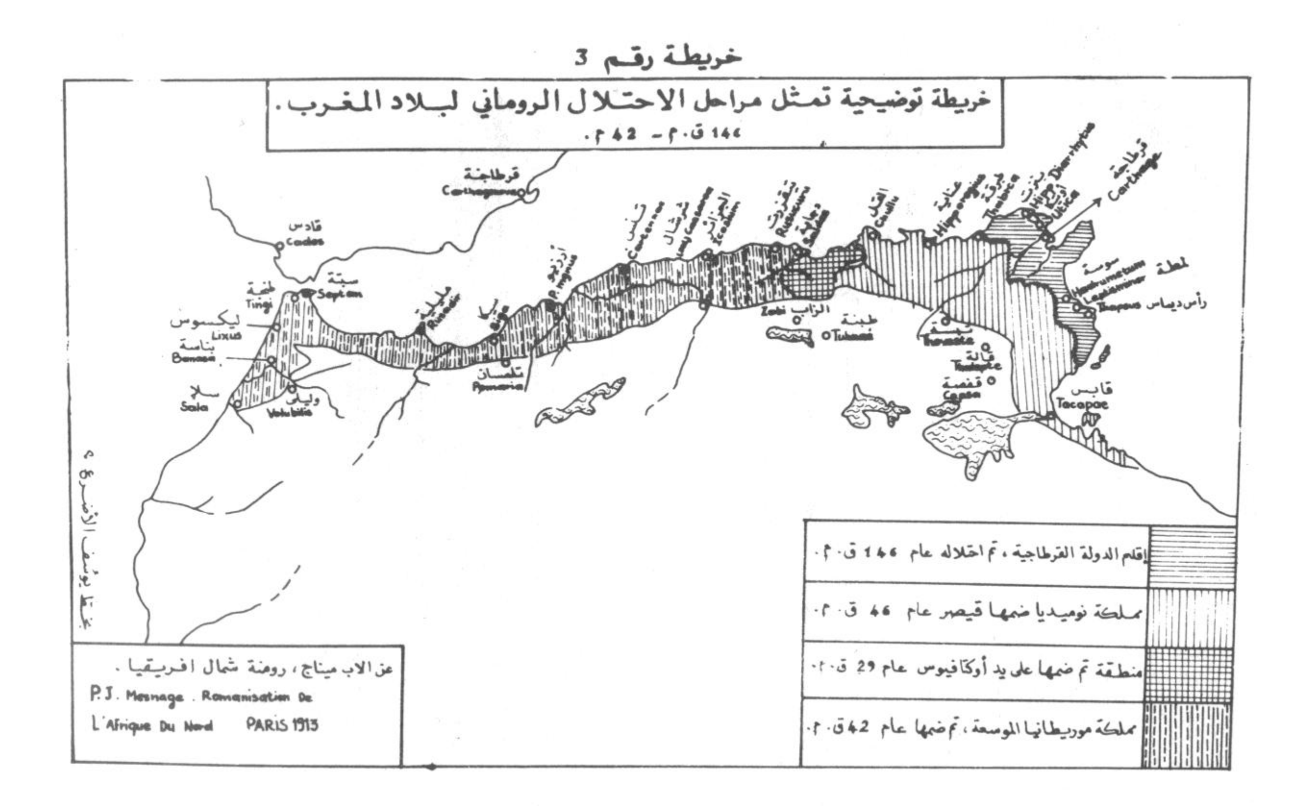
Camps G., , *Massinissa*…. p 227.

ملحق رقم: 04. معركة ثابسوس 46 ق،م.



حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي... ص 81

ملحق رقم: 05.



المرجع: شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 54.

ملحق رقم:06.

عملات الملوك النوميد.

عملة سيفاكس. عملة فرمينا.



عملات لمسينيسا.



عملة مكيبسا. عملة غلوسة.



Ouvrage collectif, L'Algérie au temps des royaumes numides, á l'occasion de l'année de l'Algérie en France, Ministère de la communication et de la culture , Alger, 2003.

ملحق رقم: 07.

عملة هيمصال الثاني.

عملة أذربعل.



عملة يوبـــــــا الأول.

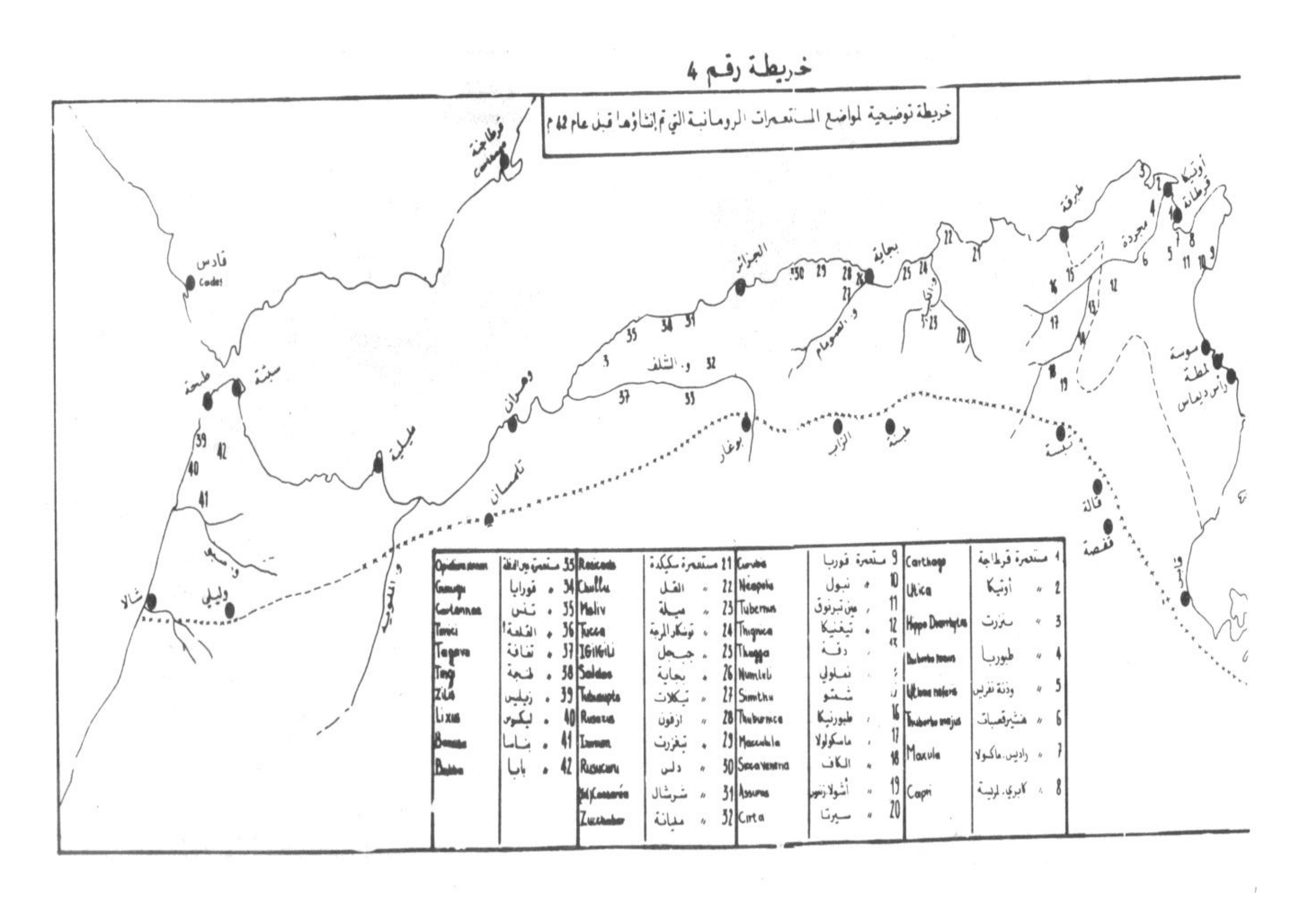


عملة هيرباص.



Ouvrage collectif, L’Algérie au temps des royaumes numides, á l’occasion de l’année de l’Algérie en France, Ministère de la communication et de la culture , Alger, 2003.

ملحق رقم: 08.



المرجع: شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 54.

قائمة المراجع والمصـــــادر المعتمدة

أولا / المصـــــادر :

1/المصادر المترجمة إلى العربية:

- **أورسيوس باولوس**، تاريخ العالم، الكتاب الخامس، الترجمة العربية القديمة، تحقيق و تقديم عبد الرحمان البدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982.
- **بطليموس كلاوديوس**، جغرافية ليبيا و مصر، تر. محمد المبروك الدويب، دار العلم، القاهرة.
- **سالوستيوس كايوس كريسبوس**، حرب يوغرطة، تر. محمد الهادي حارش ،منشورات دحلب، 1999.
- **فرجيل**، الانيادة، تر. عنبرة سلام الخالدي، دار العلم للملايين، بيروت، 1995.
- **يوليوس قيصر**، حرب إفريقية (47-46 ق،م)، تر. محمد الهادي حارش، دار هومة، الجزائر، 1991.

2/ المصادر المترجمة إلى الفرنسية:

1- **Appien A.**, *Histoire des guerres civiles de la république romaine (Iber, Lib)*, Trad. par Combes dounous, imp. des frères Mama, paris, 1808.
2- **César J.,** *La guerre D'Afrique*, trad par A. Bouvet, les belles Lettres, paris, 1949.
3- **Censorius mitulius**, *sur la loi Agraire*, trad. A. Boulanger, édit. les belles lettres, paris, 1921.
4- **Columelle L.J.M.**, *L'Economie rurale*, VII, trad Dudois louis, édi C.L.F, Panckoucke, Paris, 1845.
5- **Diodore de cisile**, *bibliothèque Historique*, trad. par A .F .Miot, Paris, 1934.
6- **Dion Cassius**, *Histoire Romaine*, traduit par E. Gros. Edi Librairie de Firmin Didot frères, Paris, 1945.
7- **Eutrope FI.**, *Abrégé de l'Histoire Romaine*, L.V, Trad. N. A. Dubois, Librairie Garnier Frères, Paris, 1863.
8- **Hérodote**, *Histoire*, trad. par PH. E, Le grand, 5e Edi, les belles lettres, paris, 1972.
9- **Méla Pomponius**, *Géographie*, trad. M, Louis purosoir, Panckoucke, paris, 1865.
10- **Pline L'Ancien**, *H. N*, Liv., V, trad. Jehan Desanges, éd les belles lettres, paris, 1980.

11- **Plutarque**, *Les vies des hommes illustrés*, T.2, trad. Jacques Amyot, éd. Gallimard, Paris, 1985.
12- **Polybe**, *Histoire romain*e, trad. D, Rourrel, édi Gallimard, Paris, 1970.
13- **Salluste**, *Guerre de Jugurtha*, trad par : Charles du rozier et Yves Germain, éd Paléo, Paris, 2003.
14- **Salluste**, *Conjuration de Catilina*, traduit par F. Richard, édi les belles lettres, Paris, 1954.
15- **Suétone**, Les douze césars, trad, Maurice Rat, éd. Garnier fréres, Paris, 1955, Vie de Terence.
16- **Strabon**, *Géographie*, T3 – la Libye- trad. Par : Amédée Tardieu, Librairie Hachette, Paris.
17- **Tite-Live**, *Histoire romaine*, trad. M. Nicard, J, J, Duboucher et Coupagne, Paris, 1941.
18- **Tite-Live**, *Histoire romaine*, trad. M. Nicard, J, J, Duboucher et Coupagne, Paris, 1941.
19- **Velleius Paterculus Caius**, *Histoire romaine*, Liv., II, Trad, M. Després, Paris, C.L.F. Panckoucke Editeur, 1825.

ثانيا/ المراجع العربية:

1) المؤلفات (**الكتب**).

- **أحمد علي عبد اللطيف**، التاريخ الروماني من تيبريوس جراكوس الى أكتافيوس أغسطس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ب–ت.
- **جاردنر ألن**، مصر الفراعنة، تر. نجيب ميخائيل، مر. عبد المنعم ابوبكر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
- **أيوب إبراهيم**، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، لبنان ، 1996.
- **أندري ايمار**، **جانين أوبويه**، تاريخ الحضارات العام، المجلد 2، روما وإمبراطوريتها، تر. فريد، م. داغر، وفؤاد ،ج، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 1981.
- **ابن خلدون عبد الرحمان**، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مجلد 3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968.
- **جوليان شارل أندري**، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر. محمد المزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط 4، تونس، 1983.

- **حارش محمد الهادي،** التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري من فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1992.

- **حارش محمد الهادي**، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، ط 1، الجزائر، 2001.

- **حارش محمد الهادي،** التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203- 46ق،م) دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ب-ت ، ص.

- **حجازي عبد العزيز**، روما و إفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006،

- **الحسيني معدي،** يوليوس قيصر رجل كل العصور، مراجعة، طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، ط. 1 ،القاهرة، 2010.

- **روستوفتزف** ج.، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي نجيب، محمد سليم سالم، النهضة العربية، ب-د.

- **زرقانة إبراهيم،** الحضارة المصرية في فجر التاريخ، دار المعارف، القاهرة، 1948.

- **الزوكة محمد خميس،** جغرافية العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، ط 3، الإسكندرية، 2006.

- **سالم عادل عبد الحق،** روما والشرق الروماني، العصر الجمهوري حتى نهاية قيصر، سلسلة محاضرات، دمشق، 1959.

- **سليم حسن،** مصر القديمة، ج7 "عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث، ولمحة من تاريخ لوبية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

- **شنيتي محمد البشير**، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- **شنيتي محمد البشير**، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق،م-40م) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، الجزائر، 1985.

- **شنيتي محمد البشير**، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الاحتلال، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012.

- **شنيتي محمد البشير**، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (دراسات وبحوث)، دار الحكمة، الجزائر، 2003.

- **شارن شافية و آخرون**، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- **صبحي بكري حسين**، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني، ط1، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1985،
- **الصفدي هشام**، تاريخ الرومان من العصور الملكية، الجمهورية، الإمبراطورية حتى عهد الإمبراطور قسطنطين ،ج1، دار الفكر الحديث، 1967.
- **عقون محمد العربي**، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
- **غانم محمد الصغير**، المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998.
- **غانم محمد الصغير**، مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، الجزائر، 2005.
- **فرحاتي فتيحة**، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني،213-46 ق،م، منشورات أبيك، الجزائر، 2007.
- **فنطر محمد حسين**، يوغرطة، الدار القومية للنشر، تونس، 1970.
- **كامبس غبريال**، "من ضفاف البحر الأبيض المتوسط الى أطراف الصحراء - البربر- تر عبد الرزاق الحليوى، ط1 ، منشورات البحر الأبيض المتوسط ، تونس، ب- ت.
- **الناصري سيد أحمد**، تاريخ حضارة الرومان من ظهور القرية إلى سقوط الجمهورية، دار النهضة العربية، 1982.
- **نصحي ابراهيم**، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى 133 ق،م، ج 1، مكتبة الأنجلو – المصرية، مصر، 1983.
- **الناضوري رشيد** ، تاريخ المغرب الكبير ،ج1، (العصور القديمة أسسها التاريخية و الحضارية و السياسية) دار النهضة العربية ، بيروت، 1981.

2) المقالات (الدوريات).

- **بشاري محمد لحبيب**، "علاقة روما بالممالك الإفريقية بعد زوال قرطاجة"، **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية**، ع19، تصدر عن قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، جوان 2012،.
- **حارش محمد الهادي**، "أصول الزراعة في بلاد المغرب القديم" ، **كتاب المؤتمر الثاني عشر للإتحاد العام للأثريين العرب**، ج1، القاهرة، 2009.

- **حارش محمد الهادي**، "حول أصول الكتابة الليبية "، **كتاب المؤتمر الثاني عشر للإتحاد العام للأثريين العرب**، ج1 ، القاهرة،2009.
- **حارش محمد الهادي**،"ساليستيوس وحرب يوغرطة"، **مجلة الدراسات التاريخية** ، تصدر عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، ع 5، 1988.
- **علوات محمد**، "جغرافية ليبيا القديمة عند سترابون و بطليموس"، **مجلة آراء وأبحاث في التاريخ والآثار القديمة**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2012.
- **شنيتي محمد البشير**، "نوميديا الشعب والمملكة في الجزائر النوميدية"، متحف سيرتا، 2007.
- **شنيتي محمد البشير**، نوميديا العملة والسيادة، **الجزائر النوميدية، متحف سيرتا**، قسنطينة، 2010.
- **شنيتي محمد البشير**، "قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع5، يصدرها معهد التاريخ، جامعة الجزائر ، 1988.
- **عقون محمد العربي**، "ماسينيسا من استعادة حقه في العرش الماسيلي الى بناء الوحدة النوميدية"، **مجلة الجزائر النوميدية تاريخ و حضارة**، قسنطينة، 2008.
- **منصوري خديجة** ، "العلاقات الخارجية بين مملكة نوميديا و دول الضفة الشمالية لحوض البحر الابيض المتوسط من خلال النصوص القديمة"، **مجلة الجزائر النوميدية**، قسنطينة، 2010.
- **مهنتل جهيدة** ، "النوميديون ضحية المصادر القديمة"، **مجلة آراء و أبحاث في التاريخ و الآثار القديمة**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2012.

3) المؤلفات الاجنبية:

- **Benabou M.**, *La résistance Africaine à la romanisation*, éd. Maspéro, Paris, 1975.
- **Berthier A.,** *La Numidie, Rome et le Maghreb*, éd. Picard, Paris, 1981.
- **Boissier G.**, *L'Afrique Romaine*, édi Saint Germain, Le Rov, S.D,
- **Boissiere G.**, *Esquisse d'une histoire de la conquête et de L'administration Romaine dans le nord de L'Afrique*, édi. Hachette, Paris, 1878
- **Cagnat R.L.V.,** *L'armée romaine et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Imprimerie nationale, Paris, 1913.
- **Camps G.**, *Berbères aux marger de L'histoire*, Hespérides, France, 1980.
- **Carcopino J.**, *le Maroc antique*, éd, Gallimard, Paris, 1943.
- **Carcopino J.,** *La république romaine (133-44 Av. J.C)*, presses universitaires de France, Paris, 1935-1950,
- **Carette E.**, *Origine et migration des principales tribus de l'Algérie*, Imprimerie Impériale, Paris, 1853.

- **Charrier L.**, *Description des Monnaies de la Numidie st de la Mauritanie et base sur le dege de roretè*, frères, 1912.
- **Dahmani S.**, *Les Royaumes Numides, (L'Algérie au temps des Royaumes Numides Ve siècle av. J-C – 1er siècle AP. J-C),* Smogy éditions d' Art, Paris, 2003.
- **Decret F., Fantar M.,** *L'Afrique du nord dans L'antiquité (dés origine ou Ve siècle)*, Payot, paris, 1981.
- **Djennas Messaoud**, *La Saga des rois Numides*. Alger, Edit. Casbah, 2006.
- **Dureau de la malle, Lacrois Louis**, *L'Afrique Ancienne ; Numidie et Mauritanie*, TII, Edi Bouslama, Tunis, (S,D).
- **Dureau De la Malle, Yanoski M.J.**, Carthage (Afrique ancienne), tome.2, Fermin Didot frères, Paris, MDCCCXLII.
- **Dureau De la malle**, *l'Algérie, histoire des guerres des romaines, des Byzantins et des Vandales*, édition. Firmin Didot, Paris, 1852.
- **Duruy V.**, *Histoire romaine jusqu'à l'invasion des barbares*, XXII, Edit. 3, Librairie Hachette, Paris, 1855.
- **Evelyne P.**, *Sophonisbe reine de Numidie (Algérie au temps des royaumes Numides, Ve siècle avant J-C- 1er siècle après J-C),* Smogy éditions d'art, Paris, 2003.
- **Gaid M.**, *Aguellids et romains en berberie*, SNED, Alger, 1972.
- **Gaid M.**, *Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina*, Tom.1, éd. Mimouni, Alger, 1990.
- **Garimal p.**, *les fouilles de siga*, M.E.F.R, paris, 1937.
- **Gsell St.**, *Histoire ancienne de l'Afrique du nord, (8 v),* libraire Hachette, paris, 1920.
- **Gsell St.**, *Hérodote, textes relatifs à l'histoire de L'Afrique du nord,* topographie Adolph Jourdan, paris, 1915.
- **Gostynski T.**, *L'Afrique du nord dans L'antiquité*, Edi de librairie Chah Ahmed, Marrakech (s.d).
- **Guischardt Charles.**, *Mémoires Militaire sur les Grecs et les Romains*. Lyon, Jean Marie Bruyset, Imprimeur Libraire.

- **Hagoniot Christophe**, *Rome et Afrique, de chute de Carthage au début de la conquête arabe,* Champs Université, Flammarion, 2000.

- Huet p.d., histoire du commerce et de la navigation des Anciens, éd. Fournier Rabat, 2004.

- **Kadra –Hadjadji H.,** *Jugurtha un Berbère contre Rome*, Casbah éditions, Alger, 2007
- **Kort Benali.**, *Syphax et Massinissa contre L'impérialismes romains et carthaginois*, Enterprise nationale de livre, Alger, 1984.
- **Lamartine Alphonse.**, *Vies de quelques hommes illustres (Homère, Cicéron, César)*. T.34, Edit, chez l'Auteur, Paris, 1863.
- **Lancel S.**, *Hannibal*, éd. Cérès, Tunis, 1995.
- **Mazard jean.**, *Corpus de Monnaie de la Numidie et de Maurétanie*, édit Art Et Matier graphique, paris, 1955.
- **Mercier E.**, *Histoire de L'Afrique Septentrional (berbéris) depuis ls temps les plus recules jusque la conquête française (1830)*, T2, paris, 1888.
- **Mommsen Th.**, *Histoire Romaine, (8v)*, Trad, C.A Alexander, édi A.L. Harold (Librairie Afrawk) Paris, 1863.
- **Monceaux P.**, *Grecs et Maures d'après les Monnaies Grecques du musé D'Alger*, B.C.A. T2, 1884.
- **Morel J.P.**, *Recherches stratigraphiques à Hippone*, BAA, 1868.
- **Muller L.**, *Numismatique de L'ancienne Afrique*, T3, Imprimerie de biance luno, Copenhague, 1865.
- **Nicol cl.**, *Rome et la conquête du monde méditerranéen (264-27 Av J.C)* 2vol, éd , presse universitaire de France, Paris , 1977.
- **Peyronnet Ra.**, *Le problème Nord Africain*, T1, édition Peyronnet, Paris, 1970.
- **Picard G.Ch .,** *La Civilisation de l'Afrique romaine*, éd .Plon, Paris, 1959.
- **Piganiol A.**, *La Conquête Romain*e, Edi P.U.F.Paris, 1924.
- **Sahli M.Ch.**, *Le message de Yougourtha*, éd. En-Nahda, Alger, 1947.
- **Sempere H.**, *Les Ports et la vie Maritime, de L'Afrique du Nord Antique de Carthage à Tanger*, D.E.S, Faculté des lettres. Alger, 1957.
- **Soumagne .Ch.**, *La Numidie et Rome*, P. U. F., Paris, 1966.
- **Toussel Marcel**, *le Trésor Monétaire de Tiddis*, R.S.C.T, T66, 1948.
- **Walter G.**, *La destruction de Carthage 264-146 av.J.C*, édi ALBIN Michel, Paris, 1947.

4) المقالات الأجنبية (الدوريات).

- **Béquignon Yves**, *Études thessaliennes*. XII**. Bulletin de correspondance hellénique**. V 98, liv. 1, 1974.
- **Bonnel**, *Monuments gréco-punique de la souma*, **Recueil de Constantine**, T49, 1945.

- **Camps G.**, *Aux Origines de la berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire*, **in Libyca, Archéologique Epigraphie**, T., VIII, 1960, p 26.
- **Camps G.**, *Les numides et la civilisation punique*, dans **Ant. Afr** , 1979.
- **Charles Picard Gilbert**, *La civilisation de l'Afrique romaine*, **Population**, n°5, 1959.
- **Carcopino J.**, *Le culte des Cereres et les Numides*, **Rev. Hist**, T. CLIX, 1928.
- **Chaligne C.**, *Occupation romaine de l'Afrique*, **R.S.A.C**., (1921-1922).
- **Desanges J.**, *Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nile*, **in l'antiquité classique**, Dakar, 1962.
- **Frezouls E.**, *Les Baquates et la province romaine de Tingitane*, T, II, **Bull, d'Archéol**, Maroc, 1957.
- **Henri Glaesener**, *Un mot historique de César*. **L'A. C.**, T. 22, 1953.
- **Kantarini V.N.**, *Le Roi Hiempsal II de Numidie et Rhodes*, **L'A. C**, T.44, 1975.
- **Lacroix FR.**, *Afrique Ancienne, procède végétaux*, **Rev. Afr**, T13, 1870.
- **Lacroix M.F.**, *L'Afrique ancienne*, **Rev. Afr**., N°.14, 1870.
- **Lancel S.**, Suburbures et Nicives, une inscription de Tigisis, in libyca, archéologie- épigraphie, T.III, 1955.
- **Locoq A.**, *Le commerce de L'Afrique Romaine*, **B.S.G.O**, T32, 1912.
- **Mazard j.**, *Numismatique des Rois Massyles 104-40 Av.J.C*, **cahiers Byrsa**, T3, 1953.
- **Moinier col.**, *Une expédition en Afrique*, **Rev. Afr.**, T44, 1900.
- **Moinier colonel.**, *Compagne de J. César en Afrique (47-46 a. J.-C.)*, **Rev. Afr**, Vol. 45, office des publications universitaires, Alger
- **Moncaux P.**, *Grecs et maures d'après les monnaies Grecque du musé d'Alger*, **Rev. C. Afr**, T2, 1884
- **Nicole Boëls Janssen**, *Le passage du Rubicon dans le Bellum Ciuile de César*. **Vita Latina**, N°173, 2005.
- **Pallu de Lessert M.C.**, *Fastes de la Numidie sous la domination romaine*, **R.S.A.C**, Vol XV, 1888.
- **Poulle Ch.**, *A travers la Maurétanie Setifienne*, **R.S.A.C.,** T7, 1863.
- **Richard J.C.**, *La victoire de Marius*, **M.A.H**, vol.77, N°.01,1965
- **Rinn L.**, *Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha*, **Rev. Afr**, T.29, 1885.
- **Soumagne Ch.,** *La manœuvre de Zama*, **cahier de Tunisie**, T.10, 1962.

- **Saumagne Ch.**, *Le champ de bataille du Muthul*, **Rev. Tun.**, n1, 1930.

4) القواميس والموسوعات:

- **Camps G.**, *Hiempsal*, **Ency.ber**, XXIII, EDISUD, France, 2000.
- **Camps G.**, *Jugurtha*, **Ency.ber**. T.XXVI, 2004.
- **Camps G**., *Arabion*, in **Encyc. ber**, VI, EDISUD, France, 1989.
- **Frédouille J.C.,** *Dictionnaire de la civilisation romaine*, édit.2, Larousse, Paris, France, 1999.

5) الرسائل الجامعية:

- **بن السعدي سليمان**، علاقات مصر ببلاد المغرب القديم من فجر التاريخ إلى القرن السابع قبل الميلاد، رسالة الدكتوراه دولة في التاريخ القديم تحت إشراف محمد البشير شنيتي، 2008-2009.
- **خلفة عبد الرحمان**، الديانة الوثنية المغاربية القديمة من النشأة الى سقوط قرطاج سنة 146ق،م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، نوقشت في 17ماي2008، جامعة منتوري قسنطينة.
- **زغبيب حسيبة**، الحروب الاهلية في روما و أثرها على بلاد المغرب (88-31 ق،م)، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2011-2012،
- **شارن شافية**، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (العهد الإمبراطوري الأول) ، دكتوراه دولة، ج1، الجزائر، 2001، ص 496 .
- **شعبان، على أحمد**، السياسة الخارجية لمملكتي نوميديا وموريطانيا قي عهد الممالك من القرن الثالث قبل الميلاد إلى 40م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009-2010.
- **عقون محمد العربي**، الاتحاد السيرتي من استيلاء سيتيوس على سيرتا (46 ق،م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، رسالة دكتوراه ، في جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005.
- **مسعودي آسيا**، التبادل التجاري بين ايطاليا و المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول (القرن الأول- القرن الثاني) رسالة ماجستير في التاريخ القديم، الجزائر ، 1988.

فهرس الأعلام والأماكن:

فهرس الأعلام:

الشعوب والقبائل:

الأمـــاكن:

فهـــرس المحتــــــوى.